عرفه عبده علـى

تحالف الحاخام والجنرال...!



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٢

تصـــمـــيم الغـــلاف
والإشـــــراف الفنـى: صـبـرى عـبـدالواحـد
الإخـــــــراج الفنـى: أمـيـمـة على أحـمـد
التنفيذ على الكمبيوتر: إدارة الجمع التصويرى

إلى أرواح شهداء وشهيدات فلسطين المحتلة...

الذين أضاءوا مشاعل جديدة.. للثأر والكرامة

فى زمن العجز والعهر السياسى!...

إلى أطفال الحجارة...

من أبواب المخيمات إلى أبواب الحرم

الذين حطموا بأيديهم أساطير «سلام المنتجعات»!

ونزعوا ورقة التوت عن أرباب «الحكمة والعقلانية»

الذين ماتت ضمائرهم، وسلموا الخريطة العربية...

والتاريخ.. والمعتقدات.. إلى أصحاب «البيت الأبيض»!

وفلسطين المغتصبة تستصرخ «المعتصم» فلا تجد غير الصدى!!

مقدمة

عندما قال دافيد بن جوريون: «إن يهودا قامت بالحديد والنار والدم...» وإسرائيل قامت أيضاً وستبقى بالحديد والنار والدم!!... كان فى أعلى حالات الصدق وما أندره عند قادة الكيان الصهيونى!!

فالإرهاب هو الذى قدم «الدولة الصهيونية» وعليه قامت!.. وزعماء دولة الإرهاب لايمثلون سوى صورة واحدة من الوجه الآخر للعملة التى ضربتها الصهيونية،وعلى وجهها الأول - دائماً - الزعيم الروحى «بن جوريون»!!

وقد يختلف زعماء إسرائيل فى أسلوب التنفيذ السياسى من حيث المرونة أو الشدة - إلا أن أحدهم لا يجرؤ ولا يسمح له بالخروج عن التوجه السياسى للدولة وفى إطار الأهداف التى حددها بن جوريون فى مؤتمر «بالتيمور» عام ١٩٤٣، وأكدها عند تأسيس وإعلان قيام الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ ... وجوهرها تحقيق حلم الصهيونية العالمية بقيام «دولة إسرائيل الكبرى» أو مملكة داود.. من النيل إلى الفرات.. المجسم حدودها على خريطة بالكنيست الإسرائيلى!!.

و «صحيفة سوابق» دولة الإرهاب الطافحة بالجرائم - تتوارى أمامها خجلاً جرائم النازية!... ومن إسرائيل الصغرى إلى إسرائيل الكبرى أصبحت «معركة السلام» أصعب.. مع دولة عنصرية قامت على أسطورة «تفوق» و«تميز» الشعب اليهودى!... مع دولة يتحالف فيها الإرهابى والحاخام والجنرال!!

وعقدنا الآمال الكبار على الولايات المتحدة الأمريكية «راعى السلام»!.. وموقفها يتراجع عاماً بعد عام!.. فقط أذكر بموقف «جولدبرج» المندوب الأمريكى فى الأمم المتحدة بعد أيام من حرب يونيو ١٩٦٧ حين قال: «إن احتلال القدس عمل غير مشروع»!.. وموقف الرئيس «كارتر» الذى وصف تشييد المستعمرات اليهودية على الأراضى العربية المحتلة بأنها «عمل غير قانونى وغير مشروع»!... وموقف الكونجرس الأمريكى بعد ثلاثين عاماً - الذى أيد اعتبار «القدس عاصمة موحدة أبدية لإسرائيل»!!... ولا داعى للتذكير بـ «الفيتو الأمريكى» ضد قرارات الأمم المتحدة.. والذى عبرت عنه «مادلين أولبرايت» بأن «أى قرار من مجلس الأمن يعطل السلام»!!

ويتلخص موقف الإدارة الأمريكية فى مقولة «نيتنياهو» رئيس الوزراء السابق «لقد أنعم الله على العرب بالبترول.. وأنعم علينا بستة ملايين يهودى فى أمريكا يضعون القرار الأمريكى فى جيوبهم»!!

والإسرائيليون يريدون أن يحصلوا على كل شيء دون أن يدفعوا المقابل وبدلاً من إعادة الأرض مقابل السلام، خرجوا علينا بالسلام مقابل السلام!.. واستفادوا من مدريد وأوسلو التى أعادت علاقاتهم بدول العالم باسم «مفاوضات السلام»!.. وبظهور نيتنياهو بدأ التنصل من مدريد وأوسلو وظهرت لاءاته الشهيرة.. لا لتقسيم القدس.. لا للتخلى عن الجولان.. لا للانسحاب من جنوب لبنان.. لا لعودة اللاجئين.. ولا للدولة الفلسطينية!!.. ولم يكن ذلك مجرد «برنامج انتخابى».. ولم يأخذ العرب من المفاوضات غير «المائدة».. ومن السلام غير «الكلام».. كما يقول كاتبنا الكبير «كامل زهيرى».. والذى أشار أكثر من مرة إلى قصة «الحاخام والخنزير».. وتقول القصة:

«أن يهودياً مسكيناً كان يسكن تعيساً فى غرفة ضيقة مع أولاده السبعة وأمه وزوجته، وشكا اليهودى للحاخام حاله، فنصحه الحاخام أن يأتى بخنزير إلى غرفته وأطاعه المسكين، فتدهور الحال مع كثرة العيال وقذارة الخنزير وضيق الغرفة، وعاد اليهودى يشكو للحاخام، فنصحه أن يتخلص من الخنزير وحينئذ أحس اليهودى بالراحة، ورضى بما قسم له»!!.

وهكذا يضيف المفاوض الإسرائيلى خنازيره، ثم يسحبها،ويتخيل من يتفاوض معه أن الحال أفضل!!.. ويأيها السلام كم يرتكب باسمك من جرائم وكم يرتكب أيضاً من.. مفاوضات!!!

الفصل الأول

الصراع بين التطرف والعلمانية..
وأزمة الهوية؟

تصاعد التطرف الدينى اليهودى

فى خضم الفراغ الأيديولوجى الذى تعانى منه إسرائيل فى مواجهة دوامة التيارات الدينيـة المتطرفـة، وازدياد مشاعـر القلق وانعدام اليقين ومـخاطر اندلاع حـرب جـديدة... يرحل آلاف الإسرائيليين الذين باتوا مقتنعين أن الصهيونية خلفت للشعب اليهودى مشاكل أكثر مما حلت، وانتقلوا بذلك إلى صفوف ملايين اليهود فى أنحاء العالم الذين يصلون من أجل نجاح التجربة الإسرائيلية، ولكنهم غير مستعدين أن يضحوا بمصيرهم وحياتهم من أجل تحقيق هذا الهدف، غير أن هؤلاء يظلون أقلية، أما أغلبية الإسرائيليين فقد أصبحوا فريسة للتمزق بين دعوات السلام ونداء التطرف يبحثون عن قيم قوية يستطيعون التعلق بها وكان دين الآباء والأجداد الذى صاروا يتحولون إليه بأعداد متزايدة مخرجاً لهم من حيرتهم وتمزقهم.. فبالنسبة لهؤلاء صارت أمور السلام والحرب والاقتصاد كلها أموراً زائلة بالمقارنة بالحفاظ على تعاليم الدين الذى بات يمثل المصلحة العليا للشعب اليهودى بدلاً من دولة إسرائيل.

فالدين كما تمثله الأحزاب الدينية الصهيونية والذى يعتبر مصير الشعب اليهودى مرتبطاً بمصير دولة إسرائيل، لم يعد يكفيهم، بل إن أموراً محرمة مثل اختفاء دولة إسرائيل صار ممكناً إذا كانت هذه هى «إرادة الرب»، فالمهم بالنسبة لهم هو استمرار دين اليهود وليس دولتهم، فالدولة العلمانية ـ التى خلعها المتمردون على الرب لعدم إنقاذه الشعب اليهودى من مذابح الحرب العالمية الثانية ـ ليست سوى حلقة فى تاريخ الشعب المختار!

ويترك الطيارون سلاح الجو «العمود الفقرى» للجيش الإسرائيلى، والضباط الشباب يتركون سلاح المدرعات الاستراتيجى، وغيرهم كثيرون يطلبون فسخ عقودهم مع الجيش، أو عدم تجديدها أو يرفضون التطوع لفترات إضافية وذلك بصورة متزايدة «ليعودوا إلى الدين» من خلال المدارس الدينية التى يطلق عليها بالعبرية اسم «بعلية يتشيفا» أى «مدارس التأبين»...

هذه العودة إلى الدين هى فى واقع الأمر فرار من الواقع، فهؤلاء الشباب الذين تعلموا تعليماً غربياً فى ظل دولة اشتراكية، لم يستطيعوا التكيف مع واقع إسرائيل اليوم، حيث يتصادم الحق الإسرائيلى مع حق آخر هوالحق الفلسطينى.. وهذه الأزمة الأخلاقية تقودهم إلى البحث المتردد عن هوية تقع فيما وراء الانتماء للدولة العبرية، وينتهى بهم البحث بالفرار إلى الدين وهكذا بدأ المتطرفون أو «الهاريديم» يتزايدون ليصبحوا ظاهرة تشمل المجتمع الإسرائيلى بأسره، وهم لا يتمسكون بالملابس التى كان اليهود يرتدونها فى (الجيتو) فى بولندا وروسيا منذ ثلاثة أو أربعة قرون فحسب، بل يتمسكون «بالهالاخا» أى قواعد الشريعة اليهودية وفقاً لصورتها التى تحدد قواعد السلوك اليومية والأخلاقيات العامة وتنهى عن وسائل التربية الحديثة وأدوات الحضارة الحديثة وفى مقدمتها التليفزيون!!

ما بين الجغرافيا والتاريخ:

سبب آخر لصعود قوة المتطرفين فى إسرائيل يكمن فى إهمال الحركة الصهيونية منذ البداية لعامل الجغرافيا وتركيزها على التاريخ - تاريخ اليهود فى أوروبا على وجه التحديد - فالآباء المؤسسين للدولة، كانوا ينظرون إليها كرأس حربة للحضارة الغربية فى قلب العالم العربى المعادى والمتخلف، ولم يكن يعنيهم بحال من الأحوال الاندماج فى الشرق، فقد حملوا أوروبا معهم إلى الشرق، فالمنازل التى قاموا بتشييدها لاعلاقة لها بالبيئة المحيطة، بل إنها نسخ طبق الأصل من منازلهم فى «وارسو» فى بولندا أو «منسك» فى روسيا والتقاليد الأوروبية لليهود «الأشكيناز» لم تستمر فقط فى جوانبها المادية ولكن فى قيمها الثقافية، غير أن هذا السراب الأوروبى سرعان ما تبدد فى بداية الخمسينيات بوصول نوع جديد من

اليهود إلى إسرائيل، وذلك خلال موجة الهجرة الكبرى لليهود الشرقيين أو «السفارديم» وهى كلمة عبرية تطلق على جميع يهود الدول العربية والإسلامية، فخلال فترة زمنية قصيرة صار «السفارديم» يشكلون أغلبية الشعب الإسرائيلى، وقد بدأ حينئذ قادة إسرائيل «الأشكيناز» يحذرون من فقدان إسرائيل لطابعها الأوروبى والغربى لتتحول إلى إحدى دول الشرق الأوسط.

«الابارتهايد الثقافى» وتمرد السفارديم!

وقد عانى اليهود الشرقيون من جراء هذا الوضع نوع من «الابارتهايد الثقافى» ومن التمييز الاجتماعى، وهو ما أدى إلى تمردهم مرتين: الأولى فى عام ١٩٥٦ وهو الذى أطلق عليه «تمرد المغاربة»، والثانى فى عام ١٩٧١ وهو التمرد الذى أطلق عليه «تمرد الفهود السوداء»، ورغم وجود وزراء ونواب فى الكنيست وعمد من اليهود الشرقيين، ورغم أنهم باتوا لا يخجلون من هويتهم وأصولهم، فإن الهوة ما زالت قائمة سواء على الصعيد الاجتماعى أو الاقتصادى أو الثقافى.

غير أن التمرد الثالث جاء فى مكان غير متوقع ألا وهو المعابد والمدارس الدينية اليهودية، فقد تعرض اليهود الشرقيون لدى وصولهم إلى دولة إسرائيل لضغوط عديدة ومستمرة لنزع ثقافتهم وتحويلهم إلى عمال فى الدولة الجديدة، فبحث البعض عن ملجأ فى الدين، ولكن نظراً لأن عملية التغريب التى تعرضوا لها تمت على يد حكومات عمالية فقد ترك ذلك أثره فى وعيهم فى صورة كراهية دفينة لليسار، كما أن ظهور الانحراف والمخدرات والأمية لدى أبناء اليهود الشرقيين فى مجتمع غربى لم يعد الأب يقوم فيه بدوره القديم كعائل ومحدد لمعايير السلوك، كرس كراهية الآباء والأبناء للنخبة الإسرائيلية الحاكمة والمكونة أساساً من اليهود الغربيين اليساريين، وبما أن محاولات اليهود الشرقيين لإنشاء أحزاب سياسية خاصة بهم لم تلق أى نجاح فى المرحلة الأولى فقد دفع بهم هذا الوضع إلى أحضان «مناحيم بيجين»، ولم يكن «الليكود» ليس سوى مرحلة فى تمرد السفارديم على أوضاعهم!

مجانين الرب:

ودائماً.. فى الأوقات الحرجة، خاصة فيما يتعلق بمصير الأراضى العربية المحتلة والانسحاب منها.. يتزايد الصراع فى الساحة العامة بين العلمانيين والمتدينين وبين المتدينين المعتدلين والمتطرفين المتشددين الذين يطلق عليهم اسم «مجانين أرض إسرائيل أو مجانين الرب»، وفى مقدمتهم «جوش أمونيم» التى أسسها الحاخام المتطرف المقتول «مائير كاهانا»، أيضاً الجماعات الإرهاربية اليهودية التى تستند إلى فكرة بناء المعبد الثالث بعد تدمير المسجد الأقصى والتى قام بتشكيلها متطرف يدعى «يهودا أتسيون» يعتقد أن الشعب اليهودى فقد عقله بالانسحاب من سيناء!!

وقد قامت هذه الجماعات الإرهابية بعدة عمليات قبل أن تسعى إلى تنفيذ خطتها الجنونية، بتدمير المسجد الأقصى فى عام ١٩٨٤ وقبل إلقاء القبض على أعضائها.

وهكذا يتصاعد التوتر السياسى فى إسرائيل فى ظل الإرهاب الإسرائيلى الذى باستناده إلى التطرف الدينى والتعصب الوطنى بات يهدد المجتمع الإسرائيلى بالانفجار!

وقد حذر الكاتب الإسرائيلى «آموس أوز» فى يونيو ١٩٨٩ فى مظاهرة لحركة (السلام الآن) الإسرائيليين قائلاً: «إن هؤلاء يناضلون من أجل الحفاظ على الخليل ونابلس، أن ما يريدون هو إسرائيل الكبرى والغاية عندهم تبرر الوسيلة حتى لو كانت إراقة دم اليهودى، وهدفهم الحقيقى هو فرض صورة كريهة ومشوهة لليهودية وهم يريدون طرد العرب لقمع اليهود وفرض طغيان أنبيائهم المزعومين وأسلحتهم فى النهاية ستوجه إلى صدور الإسرائيليين أنفسهم»!.

إن الخيار الذى يجب على الإسرائيليين القيام به يتوقف عليه مستقبل المنطقة بل ومستقبل العالم، فالدين اليهودى يبرر الحرب كما يبرر السلام، والمتطرفون منقسمون ليس فقط حول الطقوس واللاهوت ولكن حول ما إذا كان رب اليهود رب حرب أم رب سلام!!

أزمة الهوية فى المجتمع الإسرائيلى

إن النهر يتغير كل لحظة، مع أن الذى يراقبه يعتقد أنه ثابت لا يتغير، وإسرائيل اليوم هى ليست إسرائيل التى أعلنها «الآباء المؤسسون» فى الخامس عشر من مايو عام ١٩٤٨، إنها دولة أخرى مجتمعها غير المجتمع السابق وأمواج الهجرة التى تلاحقت خلال أكثر من نصف قرن من السنوات واختلاط «الفلاشا» الأثيوبيين الأفارقة بالروس القادمين من صقيع سيبيريا واختلاط جميع هؤلاء بقادمين من أربع رياح الأرض، أوجد مجتمعاً مفككاً بقيم مختلفة وثقافة مشوشة!.

فى البدايات، عندما أنشئت الدولة الإسرائيلية، وقبل ذلك وبعد ذلك بقليل، كان «الآباء المؤسسون» يسعون لإقامة مجتمع متماسك ثقافته واحدة تستند إلى أساطير وخرافات «التوراة» المزعومة، وتستمد صمودها من إشعار الجميع بالاستهداف والخوف من الآخرين، لكن تطورات السنوات اللاحقة، والحروب والهجرات وبروز الهوية الفلسطينية وانتهاء الحرب الباردة، جعلت إسرائيل الحالية غير إسرائيل السابقة وغير إسرائيل التى جرى رسم صورتها حسب المواصفات التوراتية!

لم تصمد العقيدة الصهيونية مطولاً أمام المعطيات اللاحقة، وكان أول اهتزاز لهذه العقيدة فى حرب أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٧٣، إذ بدل أن يتحقق الحلم التوراتى بتمدد

دولة إسرائيل إلى الفرات شرقاً وإلى النيل غرباً،أصيب الإسرائيليون بهزة ضميرية عنيفة وهم يرون جيشهم الذى لا يقهر، يتراجع وأحلامهم التى جاءوا بها إلى فلسطين ترتطم بحقائق تختلف عن الأوهام التى فى رؤوسهم.

هذه كانت أول هزة للعقيدة الصهيونية، ثم بعد ذلك تلاحقت الهزات، الدخول إلى بيروت بعقلية المنتصر، الذى يحتل أول عاصمة عربية، ثم الخروج تحت جنح الظلام، واستخدام أشد وأقسى أنواع العنف ضد أول انتفاضة فلسطينية، ثم التسليم بالأمر الواقع والاضطرار للجلوس على طاولة المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية والتفاوض على الأرض التى وصفتها الأساطير التى حُشيت رؤوس الإسرائيليين بها، بأنها الأرض الموعودة.

لم يعد ياسر عرفات ذلك الإرهابى الذى لا حوار معه إلا بالرصاص، واضطر جنرال الجيش الإسرائيلى «إيهود باراك»، الذى ذهب إلى بيروت وتونس لمطاردة القادة الفلسطينيين واصطيادهم إلى الاعتراف بحق لهؤلاء فى «الأرض الموعودة» فتهاوت كل مفاهيم «الآباء المؤسسين»، واتسعت دائرة المساومات لتشمل حتى القدس، التى كانوا يقولون إنها ستبقى موحدة وعاصمة إسرائيل إلى الأبد ولتشمل حتى «جبل الهيكل» الذى يعتبرونه قدس الأقداس.

لم تعد إسرائيل هى إسرائيل السابقة، واصطدام مفاهيم السلام المستجدة بالخرافات والأساطير، التى حُشيت بها رؤوس الإسرائيليين عندما قام «الآباء المؤسسون» دولتهم وقبل ذلك وبعد ذلك، أصاب المجتمع الإسرائيلى بكل هذا الإرباك، الذى تجسد صراعات وخلافات وصلت إلى حد اغتيال رئيس الوزراء الأسبق إسحق رابين، الذى كان يعتبر «محرر» القدس وأحد أبطال الوعد التوراتى المزعوم عملاً بطولياً فذاً، وتجسيداً لمشيئة إله الجند، الذى أغضبته العملية السلمية!.

وهنا وإذا أردنا المزيد من التحديد، فإن كل ما جرى من حرب أكتوبر (تشرين الأول)، إلى غزو لبنان والخروج منها بهزيمة نكراء، إلى الانتفاضة الأولى، والذهاب إلى مدريد، ثم

اتفاقيات أوسلو، وكل المحادثات اللاحقة، إلى انتفاضة الأقصى، قد أصاب إسرائيل بأزمة عقائدية حادة، ولذلك فإننا نرى كل هذه الانقسامات والتعارضات فى المجتمع وفى الأحزاب كلها اليمين واليسار بدون استثناء.

أصبح الإسرائيليون بعد كل هذه التطورات يتساءلون: إذا كان وجود إسرائيل فى هذه المنطقة تجسيداً لرغبة ووعد «إله الجند» فلماذا إذن كل هذه المساومات على «الأرض الموعودة»، وعلى القدس، وعلى «جبل الهيكل»؟.. ولماذا يقبل قادتنا التفاوض لعودة اللاجئين الفلسطينيين حتى إلى الضفة الغربية وغزة، إذا كانت هذه هى الأرض التى منحت لليهود وحدهم..؟.

وإلى جانب ذلك، فإن المتنورين والأكثر انفتاحاً والأقل استسلاماً للأساطير والخرافات التاريخية من الإسرائيليين، باتوا يشعرون بتهاوى القيم التى تعلموها من «الآباء المؤسسين»، بالترافق مع قيام دولة إسرائيل، وهم يرون جنودهم يطاردون الأطفال الفلسطينيين فى المدن والقرى وعلى الطرقات ويمزقون أجسادهم بالرصاص بكل دم بارد!

ولعل ما أدى إلى تعميق أزمة الهوية لدى المجتمع الإسرائيلى، بكل فئاته وأحزابه، أن قانون الهجرة والاستيعاب، الذى بدأت إسرائيل بتطبيقه فور قيامها، والذى طبقته الحركة الصهيونية بالتنسيق والتعاون مع الانتداب البريطانى على فلسطين، قد جلب لهم فى السنوات الأخيرة أكثر من مليون مهاجر من روسيا، تشير التقديرات إلى أن نحو أربعين فى المائة من هؤلاء من الأرثوذكس، أصبحوا مجتمعاً قائماً بذاته له لغته وقيمه وصحافته وأحزابه ومفاهيمه ومعتقداته.

لم يعد الإسرائيلى التوراتى يستوعب كيف أن الدولة التى من المفترض أنها دولة اليهود وحدهم، قد تحولت إلى لوحة «أثنية» فسيفسائية فيها القادمون الروس، الذين حملوا معهم كل تأثيرات قيام دولة شيوعية لأكثر من سبعين عاماً، وفيها «الفلاشا» الأفارقة، الذين يشعرون بالعزلة وبأن لعنة لونهم الأسود تطاردهم حيثما أقاموا وعملوا، وفيها الفلسطينيون العرب الذى أثبتوا فشل كل محاولات استيعابهم وتجسدت هويتهم الحقيقية من خلال

المشاركة فى انتفاضة الأقصى الأخيرة، واختلطت **دماء شهداء الناصرة وأم الفحم** وشفا عمرو بدماء شهداء جنين وطولكرم والقدس ونابلس **ورام الله والخليل وقطاع غزة**.

لقد أصبح المجتمع الإسرائيلى، «**مجتمع الدولة الفاضلة**»! **مستودعاً** للتناقضات والكراهية، فالسود من«الفلاشا» حاقدون، لأنهم يعاملون معاملة دونية، ولأن الاعتراف بيهوديتهم لم يكتمل بعد، والروس يحاولون فرض قناعاتهم ومفاهيمهم وثقافتهم ولغتهم أيضاً على الدولة، والعرب رغم وجود ممثلين لهم فى الكنيست الإسرائيلى، يشعرون بأن هذه الدولة ليست دولتهم وأن المواطنة الإسرائيلية مفروضة عليهم بالقوة والقهر.

ومما يزيد الطين بلة، كما يقال، أن الهوة بين المتدينين والعلمانيين وصلت حدود الانقسام فى السنوات الأخيرة، فمقابل حركة «شاس» التى غدت بمثابة بيضة القبان بالنسبة لتشكيل الحكومات، سواء كانت «ليكودية» أم «عمالية»، هناك تيار علمانى يحاول فرض **مشيئته على الدولة والمجتمع الإسرائيلى** وينطلق من أن دولة تستند إلى قيم بالية وإلى **هذيان تاريخى، لا يمكن أن تصمد أمام** معطيات القرن الواحد والعشرين والتطورات التقنية **الهائلة**.

هناك حرب طاحنة **الآن بين هذين** التيارين، ولقد وصل الاستقطاب ذروته بين **الانعزاليين الانكفائيين، الذين يتعاملون مع** الحاضر وينظرون إلى المستقبل من ثقب **الأساطير والمفاهيم** «**التوراتية**» **والتلمودية** البالية، وبين العلمانيين الذين يرون بأن لا مستقبل لهذه الدولة ما دام أنها تُحرِّم الخروج من المنازل يوم السبت وتعتبر حركة الطائرات والسيارات فى هذا اليوم إلحاداً وتحدياً للتعاليم الإلهية.

ثم وفى هذه الأثناء، وبينما المجتمع الإسرائيلى يعانى من أزمة هوية ومن أزمة قيم ومن تمزق أثنى آخذ فى الاستفحال، ومن تناحر بين المتدينين وصل حدود المواجهة واغتيال «إسحق رابين» بالطريقة المعروفة، جاءت «العولمة» بمفاهيمها واستحقاقاتها لتعمق المأزق الإسرائيلى ولتجعل هذه الدولة المهجنة المصطنعة أمام خيارين، فإما الذهاب مع عقلية «الجيتو» حتى النهاية والانتحار، وإما القبول بالحقائق التى فرضتها التطورات على صعيد الكون وعلى صعيد المنطقة ومواجهة احتمالات الزوال والاندثار.

لا يمكن التوفيق بين عقلية «الجيتو» واستحقاقات العولمة، ولذلك، وللخروج من هذا المأزق فقط، طرح «شيمون بيريز»، الذى يعتبر آخر من تبقى من «الآباء المؤسسين» فكرة الشرق الأوسط الجديد، التى وقف لها المتدينون والتوراتيون فى منتصف الطريق وقاومها «بنيامين نيتنياهو» أكثر مما قاومتها الأحزاب والتيارات القومية العربية والتنظيمات الإسلامية.

فهل يوجد ارتباك وتمزق أكثر من هذا الارتباك والتمزق، ولعل ما يجب أخذه بعين الحذر الشديد، أن هذا الغليان المتصاعد فى المجتمع الإسرائيلى، قد يدفع أى رئيس وزراء إسرائيلى، وبخاصة إذا كان «آرييل شارون» بدمويته، إلى مغامرة عسكرية لتصدير أزمة إسرائيل المتعاظمة إلى الخارج وللسعى لتوحيد الإسرائيليين وتقليص هوة التباعد بينهم تحت وطأة الخوف والاستهداف.

لا يمكن لهذا الاحتقان الذى يعانى منه المجتمع، إلا أن ينفجر بشكل من الأشكال وبطريقة من الطرق، ولذلك وما دام أن المتدينين، بقيادة حركة «شاس» والتيارات الأخرى أصحاب الكفة الراجحة، فإن خطر المغامرة العسكرية، فى اتجاه لبنان أو فى اتجاه سوريا أوالعراق، أو فى اتجاه السلطة الوطنية الفلسطينية والشعب الفلسطينى، سيبقى قائماً!

صحيح أن الحرب لن تحل، على المدى البعيد، الأزمة التى يعانى منها المجتمع الإسرائيلى، وصحيح فى ضوء التجربة اللبنانية التى لا تزال ماثلة للعيان وفى ضوء تجربة احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة، أن أى مغامرة عسكرية لن تزيد الوضع إلا تأزماً وبالتالى فإن المؤكد أنها ستؤدى إلى المزيد من تفاقم المأزق الإسرائيلى، لكن ورغم كل هذه الاحتمالات فإن رجلاً بعقلية «شارون» وبعُقَدِ وبالأساطير التى تعشش فى رأسه، من غير المستبعد أن يرتكب حماقة كهذه!

لا أخطر من أن يصل أى مجتمع من المجتمعات إلى ذروة التوتر والاستقطاب، وبخاصة إذا اقترن ذلك بالقوة وبالعقلية العسكرية الغارقة فى نشوة القوة، وهذا ما كان عليه الوضع فى كل الفترات التى شنت فيها إسرائيل حروبها المتلاحقة ضد العرب بما فى ذلك غزو لبنان فى عام ١٩٨٢.



دولة مقيدة بالتمائم الدينية!!

صاحب انكماش الحلم الصهيوني.. وتضاؤل الآمال اليهودية في تحقيق مشروع «الدولة الكبرى».. خضوع المجتمع الإسرائيلي للعديد من المشكلات الداخلية المتجذرة في هذا المجتمع.. ولعل المشكلة الحقيقية الأولى المتغلغلة في إسرائيل منذ قيامها، وهي مشكلة يؤكدها السلوك العام الإسرائيلي، ممثلة في شعور قوي ومركب من القلق العميق المصحوب بعقدة الذنب لدى الغالبية العظمى من الإسرائيليين تجاه الفلسطينيين، ولا يعني القلق ذلك النوع المتعلق بوجود الكيان الصهيوني.. الذي يتحدث عنه يهود الشتات عندما كانوا يتذكرون تاريخهم عبر القرون الماضية.. خاصة في أوروبا التي شهدت ألوان من الاضطهاد، فيهود إسرائيل أقل شعوراً بهذا النوع من القلق من يهود الشتات.. ولقد كان أحد أهداف إقامة دولة إسرائيل، هو التخلص من ذلك القلق.. ويبدو أن هذا الهدف قد تحقق فعلاً.. ولكن بالنسبة لليهود المقيمين خارج إسرائيل، أما اليهود الإسرائيليون فقلقهم من نوع مختلف.. فهو مرتبط بأسلوب قيام الدولة.. وكيفية تعاملهم مع شعب فلسطين.. وما اقترفوه معه من جرائم وأعمال عدوانية وحشية على مدى الخمسين سنة الماضية.. فمهما كذبوا وزيفوا التاريخ للآخرين، حول حقيقة ما حدث.. فإنهم يعرفون هذه الحقيقة.. وما زالوا

يحتفظون بفكرة راسخة عن أعمال العنف والقتل والتشريد الذى ألحقوه أو ألحقه آباؤهم بالشعب الفلسطينى صاحب الأرض، لكى يغتصبوها ويقيموا عليها «وطناً» لليهود!

والغريب حقاً أنه برغم وجود الشعور بالذنب بين الكثيرين من الإسرائيليين.. فإن عقدة الخوف المركبة.. كثيراً ما تتغلب على عقدة الذنب، وليس أدل على ذلك مما يفعلوه الآن للشعب الفلسطينى فى الأراضى المحتلة.. بل وللفلسطينيين المقيمين فى إسرائيل.. وهو لا يقل عنفاً ووحشية عما حدث فى مرحلة فرض الدولة العبرية على أرض فلسطين.. وبقدر ارتفاع معدلات القمع والإرهاب للشعب الفلسطينى.. تزداد عقدة الخوف تعقيداً، بينما تزداد عقدة الذنب رسوخاً.. وإذا كان هناك خوف من الفلسطينيين أصحاب الأرض الأصليين.. فهناك خوف آخر من الاعتراف بإنسانية الفلسطينيين وحقهم فى الحياة.. الأمر الذى يدفع الكثير من اليهود الإسرائيليين إلى محاولة تجنب التعاطف مع القضية الفلسطينية.. غير أن اشتعال الانتفاضة الفلسطينية فرضت واقعاً جديداً وكشفت حقائق عديدة.. وأوجدت الكثير من المستجدات على مشكلة الصراع الإسرائيلى/ الفلسطينى.

دوائر الفكر اليهودى.. التى بدأت تطرح تساؤلات جوهرية لم يسبق طرحها.. حول مصير الكيان اليهودى فى إسرائيل.. وإمكان التوصل إلى حلول مستقبلية ناجحة للمعضلة اليهودية. ذلك لأنه أصبح من الصعب على الأوساط المنحازة لإسرائيل والموالية لها والمؤيدة لسياستها.. أن تستمر فى التستر على جرائم إبادة الشعب الفلسطينى.. والتى غدت تشكل عبئاً ثقيلاً ليس فقط على الوعى اليهودى، ولكن كذلك على الوعى الغربى.. برغم استمرار النخبة السياسية والفكرية الإسرائيلية فى إنكار هذه الحقيقة.

ويقول الكاتب اليهودى «چيرالد شفير» فى مقال له منشور فى صحيفة (لوموند) الفرنسية فى أكتوبر الماضى.. «إن إسرائيل فقدت ذاكرتها اليهودية.. وكل ما ترمز إليه تجربة الاضطهاد والتيه والتمييز العنصرى، فمن سخرية التاريخ أن تكرر الدولة اليهودية التجربة نفسها ضد شعب آخر، ويتساءل الكاتب اليهودى: ألم تتعلم إسرائيل شيئاً من القرن المنصرم.. وهل أصبحت سياسة القوة هى المثال الأوحد لإسرائيل؟ وهل هذا هوالمعنى الذى أرادت أن تعطيه للهوية اليهودية؟».

الثورة العلمانية وهيمنة الأحزاب الدينية:

كل هذه التساؤلات تجسد حقيقة الخلاف الشائع فى **المجتمع الإسرائيلى.. وما فجره** من جدل شعبى يهودى واسع النطاق.. لا يخص مستقبل الصراع العربى - الإسرائيلى فحسب.. بل يخص كذلك مستقبل إسرائيل وصورتها **المستقبلية، وقد فجر «عامى أيالون»..** الذى كان رئيساً لجهاز (شاباك) الإسرائيلى.. جدلاً داخلياً **يدور جوهره** حول مسألة «الديمقراطية واليهودية».. بمعنى ضرورة أن يحسم المجتمع **الإسرائيلى القدر** الذى يريده من الديمقراطية.. الذى يتناسب فى نفس الوقت مع وجود «**الدولة اليهودية، ويطرح** «أيالون» سؤالاً يقول: هل يمكن أن تتعايش الديمقراطية مع احتلال **أراضى الغير (إضافة إلى وجود** أقلية عربية كبيرة فى إسرائيل محرومة من معظم **حقوق الإنسان.. وتشكل ٢٠٪ من** السكان).. وإذا استمر الاحتلال الإسرائيلى للأراضى الفلسطينية، **فإلى أى مدى** سيكون الإسرائيليون ديمقراطيون حقيقيون وإلى أى مدى تكون دولتهم **يهودية؟**

ولا يقتصر الحوار الدائر داخل إسرائيل على القضية الفلسطينية، **أو قضية الديمقراطية** واليهودية.. بل يمتد البحث إلى قضية لا تقل أهمية.. إن لم تزد **عليها.. هى قضية العلاقة** بين العلمانيين والمتدينين.. أى بين الشخصية القومية الصهيونية **من جانب، والديمقراطية** فى دولة إسرائيل من جانب آخر.. وبرغم أن الجدل حول **الانتفاضة قد خفف مؤخراً من** حدة هذا الجدل الداخلى.. فإن المشكلة قائمة بكل **أبعادها وإشكالياتها.. وسوف تطرح فى** أجندة النقاش الشعبى فى هذا العام الانتخابى.

ففى خطاب الاستقالة أعلن «إيهود باراك» تمسكه بـ «**الثورة العلمانية**».. ويمثل هذا الإعلان الرصاصة الأولى فى المعركة الدينية - العلمانية **فى إسرائيل، فقد فاجأ** «باراك» الوسط السياسى الإسرائيلى فى أغسطس الماضى بفتح **الملفات الداخلية على مصراعيها** من خلال اقتراح ما سماه «الثورة العلمانية» القائمة على صياغة **دستور لإسرائيل لأول مرة** فى تاريخ إسرائيل يضمن المساواة ويخفف من **هيمنة الأحزاب الدينية.. وإقرار قانون الخدمة** الوطنية الإلزامية الذى يسمح بتجنيد طلاب المدارس الدينية، **وكذا الزواج المدنى**، وهى

محاولة واضحة هدفها تحجيم نفوذ التيار الدينى لصالح التيار العلمانى، وقد أعاد «باراك» تأكيد حرصه على «الثورة العلمانية» فى خطاب استقالته إذا أعيد انتخابه.. تأكيداً لما تمثله الفكرة من سياسة ثابتة مستقبلية لـ «باراك» ولحزب (العمل)، الأمر الذى يعطى مؤشراً لازدياد فى تطرف المواقف وفى عمق الشرخ الداخلى فى المجتمع الإسرائيلى، خاصة إذا تحول الحوار إلى جدل سياسى يؤثر فى مجالات الحياة الإسرائيلية الأخرى.. وقد ينعكس على الصراع الفلسطينى - الإسرائيلى، كذلك من المنتظر أن تلجأ الأحزاب الدينية الإسرائيلية إلى أسلوبها المعتاد.. القائم على ابتزاز السلطة مقابل التصويت فى مجالات أخرى لا تمسها مباشرة،وسيزداد عمق الشرخ الداخلى بين العلمانيين والمتدينين بسبب موضوعات مختلفة أبرزها موضوع تجنيد طلاب المدارس الدينية فى الجيش.

تفاقم التيار الدينى ومخاطره:

لاشك أن الظواهر اليمينة المتطرفة والمتفاقمة فى إسرائيل.. قد انعكست بشدة على الأوضاع الحكومية.. فتعددت الأزمات وتناوب الحكم فى إسرائيل خلال السنوات الخمس الماضية.. أربع حكومات إسرائيلية بين اليمين واليسار (رابين وبيريز ونيتنياهو وباراك)، ومع استمرار حالة الأزمة فى كل هذه العهود.. تحولت إلى مرض مزمن وخطير.. يهدد المجتمع الإسرائيلى ذاته، فهناك أحزاب متطرفة يمينية ودينية وعنصرية تطفو على السطح وتتنامى كالفطريات.. وتكتسب شعبية متزايدة.. وهى اتجاهات تدعو إلى العنف والتدمير والقتل وطرد العرب.. بل واغتيال من تسول له نفسه المضى فى مسيرة السلام من زعماء إسرائيل كما حدث لرابين.

ويلاحظ تناقض التفسيرات الإسرائيلية وتضاربها، حول أسباب تنامى هذه الظواهر، فقد اعتبرها البعض محاولة لإفشال المفاوضات ورفض التسوية السلمية، أو التخلى عن أى شبر من القدس.. أما البعض الآخر - وهو الأكثر دقة - فهو يعتبر ما يجرى فى المجتمع الإسرائيلى.. انعكاساً لواقع المجتمع نفسه.. والانقسامات التى يعانيها، حيث تتمرد الطوائف الشرقية على الواقع وترفض هيمنة الطوائف الغربية والعلمانية على إسرائيل منذ عام ١٩٤٨،

ومع هذا فهناك ربط يجمع بين التفسيرين.. هو معاداة العرب نتيجة لموجة التطرف والتعصب المتصاعدة.. ورفض السلام عن اقتناع بأنه سيؤدى إلى تفجر الصراع الداخلى فى إسرائيل.. بعد زوال الخطر الخارجى وتحييد العدو الرئيسى وهوالعرب، الأمر الذى قد يؤدى إلى وقوع مصادمات دامية وصراعات اجتماعية ودينية وعقائدية.. بين العلمانيين والمتدينين.. بين الفقراء و لأغنياء.. بين الشرقيين والغربيين..

ولاشك فى أن كل هذه الظروف المعقدة ومخاطرها الجسيمة، هى التى دفعت «إيهود باراك» إلى إعلانه عن الثورة العلمانية، وإلى أن ينجلى الموقف بعد الانتخابات، ومع استمرار الانتفاضة.. تنامى موجة العداء الصهيونى ضد العرب.. ويتنافس الصهيونيون فى تهديد الفلسطينيين بالقتل والتشريد وبناء الهيكل المزعوم، هذا الواقع المتردى يمكن أن نلمسه تماماً من خلال متابعة الجدل الدائر فى إسرائيل الآن.. والمخاوف التى يبديها العديد من الكتاب والمفكرين الإسرائيليين.. ويتحدث الكاتب اليهودى «أهارون أمير» عن تنامى التيار الدينى.. فى صحيفة «معاريف» فيقول: «إننا إذا كنا نعيش الآن فى دولة تنقسم ليس فقط بين الدين والعلمانية.. بل كذلك بين الألفية الثالثة بعد الميلاد، والألفية الثالثة قبل الميلاد، وبين مكانة قوة إقليمية ودولة تعيش داخل (الجيتو).. وبين قمة التقدم العلمى والتكنولوجى، وقمة التخلف الفكرى والروحى.. ويعود هذا الوضع إلى القرارات البائسة التى اتخذت منذ قيام الدولة، فى ظل تشوه ذهنى جماعى.. وكانت النتيجة المأساوية هى أنه ليس لدينا دولة مقيدة بالقوانين، بل دولة مقيدة بالتمائم الدينية..!!

الفصل الثانى

من زعامة العصابات الإرهابية
إلى مواقع السلطة الرسمية

من زعامة العصابات إلى مواقع السلطة الرسمية!

الحقيقة التي تحكم المجتمع الصهيوني ـ وستظل تحكمه ـ أن العقول التي عششت فيها فكرة الإرهاب والتي استمتعت بالعمل السري لم تستطع التخلص من كابوس ممارسة الإرهاب، فقادة عصابات الإرهاب في الأربعينيات قد انتقلوا من مواقع زعامة هذه العصابات إلى مواقع السلطة الرسمية، ومنهم من تولوا رئاسة الوزراء: «بن جوريون»، «مناحيم بيجين»، «إسحق شامير»... «إسحق رابين»!.. وعقيدتهم المستمدة من الفكر الصهيوني الموبوء بالتعصب والعدوانية وعقدة الاضطهاد والشعور بالنقص، قد تأصلت فيهم وانتقلت معهم بحيث أصبحوا يمارسونها بشكل رسمي وعلني فاضح، بعيداً عن السرية المعهودة!

والإرهاب هو السمة البارزة للكيان الصهيوني.. فقد برع فيه زعماء هذا الكيان بما لهم من خبرة جيدة في هذا المجال، وتتواصل ممارستهم له حتى يومنا هذا!.. وجيش الحرب الإسرائيلي نفسه قد ورث تقاليد وتاريخ المنظمات الإرهابية الصهيونية، وبجانب «الإرهاب الرسمي» فقد نشأ مايمكن أن نطلق عليه «الإرهاب شبه الرسمي» وهي الظاهرة التي برزت في أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ والاحتلال الصهيوني للمزيد من الأراضي العربية، ولكن هذه الظاهرة تبلورت بشكل واضح في مطلع السبعينيات، وتمثلت في تنظيمات صهيونية عنصرية إرهابية ترفع شعار «أرض إسرائيل الكاملة» وتدعو إلى طرد العرب من فلسطين

المحتلة والاستيلاء على أراضيهم وممتلكاتهم. وضم الضفة الغربية وقطاع غزة إلى مايسمى «إسرائيل الكبرى»، وفرض السيادة والقانون الإسرائيلي عليهما! وهو مايتوافق مع اتجاهات الحكومة الإسرائيلية وممارساتها، فالهدف واحد ومحدد بين من يمارسون السياسة كمحترفين وبين من تحكمهم اعتبارات العمل السياسى وقيوده!

ويأتى على رأس هذه المنظمات الإرهابية المتطرفة: حركة كاخ، جوش ايمونيم، منظمة الإرهاب ضد الإرهاب (T.N.T) ورابطة الأمن، حركة الحشمونيين، حركة أمناء جبل البيت وغيرها... بالإضافة إلى الأحزاب الدينية المتطرفة وعلى رأسها: حزب شاس، وحزب أجودات إسرائيل، وحزب يهوديت هاتوراه.. وتمول الصهيونية العالمية هذه المنظمات الإرهابية، كما تتلقى الدعم من وزارات الزراعة والإسكان والتجارة والصناعة والدفاع، وكذلك من دائرة الاستيطان فى الوكالة اليهودية!!

ومما سبق يتبين لنا إذا كانت السلطة فى الكيان الصهيونى تمارس الإرهاب بشكل رسمى، وبأساليب لم يسبق لها مثيل على مدار التاريخ - فإن عصابات المستوطنين تمارس ما أطلقنا عليه «الإرهاب شبه الرسمى» وهذه العصابات تتلقى الدعم والتأييد من السلطة الحاكمة، خاصة أن زعماء هذه العصابات الإرهابية بعضهم أعضاء فى الكنيست، والبعض الآخر وزراء فى حكومة إسرائيل، بالإضافة إلى عدد كبير من كبار ضباط الجيش الإسرائيلى!

وتسليح هذه العصابات يأتى معظمه بطريق مباشر بقيام السلطة بتسليح أفراد المستوطنات فى إطار «خطة الدفاع القومى»، أو بطريق غير مباشر بسرقة مستودعات الأسلحة والذخيرة التابعة للجيش وتواطؤ السلطات بالتغاضى عن ذلك!

وتشارك هذه التنظيمات الإرهابية فى محاولات قمع المقاومة الفلسطينية، حتى أن «إسحق رابين» رئيس الوزراء الأسبق كان قد أبلغ لجنة الأمن والشئون الخارجية فى الكنيست، بأنه منح المستوطنين اليهود سلطة إطلاق الرصاص على المتظاهرين!. الذين لم يكونوا ينتظرون هذا التفويض للمشاركة فى ارتكاب المجازر ضد الفلسطينيين العزل، إذ يعتبرون المخزون البشرى للفاشية الصهيونية الجديدة، وأهدافها التوسعية الاستيطانية

وأفكارها الدموية، وكل مايحدث هو مجرد إجراءات تحيط بها العناية الإلهية لشعب الله المختار! لتبرير الممارسات الإرهابية الإجرامية ضد كل العرب وسط ضجيج دعائى لفكرة السلام!.

ويمكننا القول بأن المجتمع الإسرائيلى هو «مجتمع متطرف» «بدرجات متفاوتة!!.. وأكثر قطاعاته تطرفاً جماعات «الهاريديم»... وقد استخدمت الحكومات الإسرائيلية هذا التطرف لمصلحتها السياسية، للضغط بهذه الورقة فى المفاوضات مع العرب، كما تضغط بها على الولايات المتحدة الأمريكية!

والحكومات الإسرائيلية تتغاضى عن الأعمال الإجرامية لهذه المنظمات الإرهابية طالما أنها موجهة ضد العرب!!... ولكن يد إحدى هذه المنظمات «المنظمة اليهودية المنتقمة» طالت «إسحق رابين» رئيس الوزراء الأسبق.. صاحب «القبضة الحديدية» الذى فشل فى قمع الانتفاضة الفلسطينية وسمح للمتطرفين اليهود بإطلاق الرصاص على الفلسطينيين!... فاغتاله «إيجال عامير» يوم الرابع من نوفمبر عام ١٩٩٥ .. وبمباركة من حاخامات إسرائيل!!

ومابين يوم وليلة.. أصبح رابين «قديساً للسلام» و.. «شهيد السلام»!... بكاه بعض الإسرائيليين... والملك الحسين و... عرفات!!

إسحق رابين (١٩٢٢ـ١٩٩٥)

رئيس وزراء إسرائيل ورئيس الأركان السابق، ولد فى القدس عام ١٩٢٢، ونشأ فى تل أبيب حيث درس الزراعة، وانضم إلى البالماخ عند تكوينها، واشترك مع ديان فى مهام استكشافية لصالح قوات الحلفاء التى غزت سوريا عام ١٩٤١، كما اشترك فى عمليات ضد حكومة الانتداب البريطانى فى فلسطين، وقد تولى منصب نائب قائد البالماخ عام ١٩٤٧، ثم تولى قيادة اللواء الثانى من البالماخ عام ١٩٤٨، وهو اللواء الذى كان يتولى العمل فى منطقة القدس، وفى نفس العام ساهم فى العمليات التى أدت إلى الاستيلاء على منطقتى اللد والرملة.

وقد أرسل بعد ذلك إلى بريطانيا حيث درس فى كلية الأركان، وتخرج منها عام ١٩٥٤، ليتولى إدارة التدريب فى الجيش الإسرائيلى، ثم تولى القيادة الشمالية لإسرائيل فى الفترة ٥٦ ـ ١٩٥٩ قبل أن ينتقل إلى هيئة الأركان حيث رأس فرع القوى البشرية، وقد ارتبط اسمه بالخطة الإسرائيلية فى حرب ١٩٦٧، مما أضاف الكثير إلى الهالة المحيطة به، وقد عين سفيراً لدى واشنطون فى مارس ١٩٦٨، ولعب دوراً هاماً فى تنسيق العلاقات بين البلدين، وكان يتقاضى أجراً على محاضراته التى كان يلقيها أمام منظمات يهودية فى الولايات المتحدة، وقد توترت علاقاته مع وزير الخارجية إيبان، كما أثار ردود فعل متباينة

داخل الولايات المتحدة وبين يهودها وفى إسرائيل، بسبب تصريحاته حول السياسة الأمريكية وتعضيده العلنى لإعادة انتخاب الرئيس نيكسون!

وفى عام ١٩٧٣ عاد رابين إلى إسرائيل، وقد استدعى للخدمة مع عدة جنرالات سابقين إبان حرب أكتوبر، ثم طلب منه رئاسة لجنة لجمع التبرعات لصالح إسرائيل، ثم اختارته «جولدا مائير» وزيرا للعمل فى حكومتها قصيرة المدى، وهو يعد أحد الجنرالات الإسرائيليين القلائل الذين لم تهتز سمعتهم بسبب حرب أكتوبر، وكان هذا أحد العوامل التى شجعت على ترشيحه من جانب حزب العمل لرئاسة الوزارة الإسرائيلية، بالإضافة إلى تفهمه للسياسة الأمريكية فى المنطقة ودفاعه عنها إزاء بعض الانتقادات التى وجهت لها فى الصحافة الإسرائيلية بعد الحرب!

وقد حاول «وايزمان» الحيلولة دون تعيينه رئيساً للوزراء فكشف النقاب عما يسمى بـ «مذكرة وايزمان» وهى وثيقة كان الجنرال المذكور قد تقدم بها للوزارة الإسرائيلية عام ١٩٦٧ - وظلت فى طى الكتمان منذ ذلك الوقت - ذكر فيها أن رابين انهار قبل حرب ١٩٦٧ وأنه فكر فى الاستقالة!

وبرغم كل ماقيل فى الصحافة العالمية من أن وصول رابين لهذا المنصب مؤشر على تولى جيل جديد زمام السلطة وسقوط آخر بقايا الحرس القديم، فإن السياسات التى اتبعها رابين منذ توليه رئاسة الوزارء لم تظهر تغيراً جوهرياً بالقياس إلى من سبقوه، كما تضمنت تصريحاته الإصرار على الحدود الآمنة ومعانى التوسع وتجاهل الطبيعة القومية للقضية الفلسطينية.

وفى عام ١٩٨٧ عندما اندلعت الانتفاضة الفلسطينية واجهها رابين بـ «القضية الحديدية»، وقاد رابين حزب العمل لمرحلة جديدة من المفاوضات السلمية مع الدول العربية، كان قد سبق إليها الإرهابى إسحق شامير رئيس الحكومة الإسرائيلية الاسبق فى مؤتمر مدريد للسلام!

وحصل رابين فى عام ١٩٩٤ على جائزة نوبل للسلام لدوره فى التوصل لاتفاق أوسلو مع الفلسطينيين عام ١٩٩٣، كما وقع اتفاقا للسلام مع الأردن عام ١٩٩٤.

اغتيال رابين:

في يوم ١٩٩٥/١١/٤ بينما كان إسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل يشارك أكثر من ١٠٠ ألف إسرائيلي وعدد من المراقبين في تجمع في ميدان «ملوك إسرائيل» في تل أبيب للتعبير عن مساندة خطوات السلام، تعرض رابين لثلاث رصاصات أودت بحياته.

وقد قام بإطلاق الرصاص شاب يهودي متطرف يدعى «إيجال عامير» ينتمي لمنظمة إسرائيلية متطرفة تدعى «المنظمة اليهودية المنتقمة».

وعقب الاغتيال مباشرة، ووفقاً للتقاليد الديمقراطية في مواجهة حدث غير ديمقراطي، اجتمعت الوزارة الإسرائيلية واختارت «شيمون بيريز» ليكون رئيساً للوزراء بالإنابة حتى تتم مواجهة الموقف مباشرة.

وقد تعهد شيمون بيريز رئيس الوزراء بالإنابة بالاستمرار في مسيرة السلام، لأنه لا بديل أمام إسرائيل إلا الاستمرار في الطريق الذي رسمه رابين ووصفه بالقائد العظيم!!

وقال المتطرف القاتل أنه:

* قتل رابين بأمر من الله وأنه غير نادم!
* واتهم الإسرائيليين بتجاهل مافعله رابين من تشجيع قيام دولة فلسطينية!
* وإن الاغتيال كان واجباً دينياً!
* وإن من تتنازل عن «أرض إسرائيل» هو خائن يستحق القتل!
* وقد ألقت سلطات الأمن القبض على آخرين منهم شقيق القاتل بتهمة المشاركة.

واستنكر قادة حزب الليكود المنافس الحادث، ودعوا مختلف الاتجاهات الإسرائيلية إلى الوحدة في مواجهة هذه الكارثة، وعبر رئيس الحزب عن تأييده لاستمرار ترشيح بيريز ليتولى رئاسة الوزارة دون منازعة من حزبه واتهمت بعض دوائر حزب العمل حزب الليكود بالتغذية الدعائية التي أدت إلى اغتيال رابين، وانحسر التأييد الإسرائيلي الداخلي من قبل الرأي العام للمتطرفين اليهود، وتعهد وزير الداخلية الإسرائيلي بسحق تيارات اليمين المتطرف، وحذر زعيم «الليكود» في محاولة للتنصل من أي اتهام من الاتصال باليهود المتطرفين في أمريكا، وهي إشارة مفهومة للرأي العام الإسرائيلي، وحذر إسحق شامير

رئيس الوزراء الأسبق «الليكود» من اندلاع حرب أهلية فى إسرائيل ودعا إلى انتخابات مبكرة لحسم الخلاف.

وأعلنت جماعات التطرف الدينى الإسرائيلى ابتهاجها باغتيال رابين.. وقد اتهمت أرملة رابين كتلة الليكود المعارضة بالتورط فى الحادث!!

شيمون بيريز (١٩٢٣ - ....) :

رئيس الوزراء الإسرائيلى - بعد اغتيال رابين فى ١٩٩٥/١١/٤ حيث كان وزيراً للخارجية.

ولد فى روسيا عام ١٩٢٣، ثم هاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٤ حيث تلقى تعليمه فى تل أبيب، وقد أوفده الماباى إلى المؤتمر الصهيونى الثانى والعشرين فى مدينة بال عام ١٩٤٦ ممثلاً له، ثم انضم إلى الهاجاناه وقاد وحداتها البحرية فى حرب ١٩٤٨، وقد ترأس بعثة وزارة الدفاع الإسرائيلية فى واشنطن سنة ١٩٥٠ حيث درس فى جامعة هارفارد، كما تولى منصب المدير العام لوزارة الدفاع ٥٣ - ١٩٥٩ حيث وجه جهوده لتدعيم الصناعات الحربية لتفادى مخاطر الاعتماد المطلق على مصدر خارجى للتسلح وهى أخطر مشاكل إسرائيل.

وقد لعب بيريز دوراً واضحاً فى فضيحة لافون، كما عمل نائباً لوزير الدفاع من عام ١٩٥٩ حتى عام ١٩٦٥. وهو عضو بالكنيست منذ عام ١٩٥٩، وقد رأس عدداً من البعثات العسكرية إلى فرنسا.

وكان مع موشى ديان من أبرز حلفاء «بن جوريون»، حيث شارك معهما فى تأسيس حزب رافى عام ١٩٦٥، وتولى منصب سكرتير الحزب كما تولى منصب نائب السكرتير العام لحزب العمل الإسرائيلى الموحد.

وفى عام ١٩٦٩ تولى منصب وزير الدولة بالوزارة مع توليه مسئولية إدارة الشئون الاقتصادية فى المناطق التى احتلت عقب حرب يونيو ١٩٦٧، وفى عام ١٩٧٠ تولى منصب وزير النقل والمواصلات مع احتفاظه بعضوية اللجنة الوزارية لشئون الأمن والخارجية.

وعقب حرب ١٩٧٣، حاول بيريز الوصول إلى السلطة فقام بترشيح نفسه للحصول على تزكيه حزب العمل له كرئيس للوزراء، إلا أنه خسر أمام رابين بأغلبية ضئيلة ودخل الحكومة الجديدة كوزير للدفاع، وحاول منذ البداية إثبات جدراته بتوجيه سلسلة من الضربات العسكرية ضد لبنان ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين، كما تبنى الدعوة لأسلوب جديد فى مكافحة المقاومة الفلسطينية من خلال تشكيل جماعات مسلحة غير رسمية، وتصفه الصحافة الإسرائيلية بأنه «رجل عملى تكنوقراطى من جيل مابعد الأيديولوجية»، وبيريز له مؤلفان هما: «المرحلة القادمة»، «ومقلاع داود»...!!

صعود بيريز:

فى اللحظة التى دفن فيها بيريز آماله وتطلعاته فى أن يكون الرجل الأول، عندما قبل التعاون مع غريمه الأزلى، فلم يعد ينازعه الرئاسة... فجأة يجد بيريز نفسه على رأس الحكومة فى أحلك الظروف مأساوية فغداة اغتيال رابين واجهت بيريز تحديات ثلاثة.. كان عليه أولاً إنقاذ تماسك المجتمع الإسرائيلى ثم متابعة مسيرة السلام وأخيراً تحقيق رغبته فى أن يترك بصمته فى تاريخ السياسة الإسرائيلية... وهو الذى يحظى بثقة الغرب لثقافته وتجاربه العريضة فى حلبة السياسة ولم يحدث أن أثرت فيه اتجاهات الرأى العام أو أجبرته على تغيير مفاهيمه.. فهو من أشد المعجبين بالتقاليد البرلمانية الديمقراطية الأوروبية، وحاول دائماً أن يطبقها فى الحياة السياسية فى بلاده والتى تزخر بالقلق وأصوات الانفجارات والخوف، وكان أول سوء حظ واجهه هو اتهامه بأنه منفتح الذهن بأكثر من اللازم، وقد اكتسب هذه الميزة من كثرة معاصرته لأستاذه مؤسس دولة إسرائيل «دافيد بن جوريون».

واشتهر بيريز بوصفه رجل النعم والـ لا فى نفس الوقت!... كما يشتهر بالحذق فى تكتيكاته بأكثر من كونه رجل دولة، ولأنه يفتقد حب وتقدير الإسرائيليين فإن بيريز يشعر بالألم والظلم ويقول: شىء واحد يغضبنى ويخرجنى عن طورى إنه الاغتيال السياسى ومحاولات الهدم النفسى!.... وهو ماتعرض له كثيراً.. ولقد أطلقوا عليه كثيراً الاتهامات بلا مبرر وأحيانا بلا أساس مما أشعره بالظلم المضاعف، ومن أقواله: إن الموت السياسى أشد

قسوة من الموت الطبيعى، ومثله مثل كل المراقبين فإن بيريز يرى فى قمة أوسلو أهم منجزاته تتويجاً لمسيرته السياسية التى امتدت لما يقرب من نصف قرن، وحقق كل هذا الإنجاز وهو فى المنصب الثانى وليس الأول!

ولفهم شيمون بيريز يجب العودة إلى الوراء، عشية انتخابات يونية ١٩٩٢، فمنذ استعادة الأغلبية فى ١٩٧٧ والتى وضعت نهاية لهيمنة حزب العمل على مقاليد الحكم والتى كانت قد بدأت مع تاريخ إنشاء الدولة الإسرائيلية، نجد أن اليسار تحت قيادته لم يتمكن قط أن يهزم الليكود، وفى أفضل الأحيان كان يحقق التعادل الذى ينتهى بتشكيل حكومة ائتلافية، وفى هذه المرة عام ١٩٩٢ لاح الأمل من جديد، وكان قادة الحزب قد أجمعوا على أن يضعوا قيادتهم العليا بين أيدى من يستطيع أن يؤمن لهم استعادة مقاليد السلطة والحكم، وكان اختيارهم لإسحق رابين على الرغم من تقديرهم وإعجابهم بشيمون بيريز الذى استبعده، كان الاختيار أمر طبيعى - حيث لم يكن اختيار بتوجيه من «القادة» وإنما من «تجمعات» أعضاء الحزب وذلك لأن إسحق رابين يتمسك بأسلوب الأولويات الأمريكى، ورأى فيه أعضاء الحزب أنه أسلوب يحقق الانتصار بل يؤمن الفوز، أما شيمون بيرز فكان يتمسك بالأسلوب القديم ويعتمد على الـ ١٥٠٠ عضو باللجنة المركزية والذين يتباهى بمعرفتهم كلهم معرفة شخصية إلا أنه لم يكن فى استطاعته معارضة هذا الانفتاح الديمقراطى!

ولكن رابين الذى كانت تنقصه الشعبية فى محيط الحزب، كان يتمتع بمساندة المؤسسين.. وظل التنافس قائماً لمدة عشرين عاماً بين رابين وبيريز، وكان رابين يركز حملته حول محور أنه الزعيم الوحيد القادر على إعادة الحزب لمقاليد الحكم بل وتعهد رسمياً فى حالة الفشل ألا يعود أبداً لزعامة الحزب...! وكان أن فاز رابين وكلف بتأليف الحكومة ويتقدم فى ١٣ يونيو ٩٢ إلى الكنيست للفوز بثقته!.

كان بيريز يجلس ويتابع باهتمام بالغ خطاب رئيس الوزراء ومنذ بضعة أيام كان قد قبل عرض رابين بتوليه منصب وزير الشئون الخارجية ونائب رئيس الوزراء فى حالة غيابه، وفى أثناء هذه المقابلة التى وصفت بأنها كانت متوترة، طالب شيمون بيريز بمنحه

اختصاصات واسعة لإقامة أساس لمسيرة السلام مع الدول العربية وبالذات مع الفلسطينيين، وبحذر يقرر رابين الاحتفاظ بكل الأوراق بين يديه لأنه كان يخشى أن يتبع بيريز سياسة خارجية مستقلة بأكثر من اللازم فالمثل اليهودى يقول: القط الساخن يخشى الماء البارد!... فالتعاون بين الرجلين لم يكن مثالياً فى أى وقت أثناء فترة الحكومة السابقة فيما بين عامى ١٩٧٤، ١٩٧٧ فبينما كان شيمون بيريز وزيراً للدفاع حقق رابين فوزاً فى المجال العسكرى، فيصفه بيريز فى مذكراته والتى نشرها بعد انسحابه من الحكومة بالمقامر الذى لايكل!.... وإذ يكرس بيريز اهتماماته فى مهام منصبه «ورسالته المقدسة» فى تحويل إسرائيل وقيادة خطواتها للتقدم فى طريق مسيرة السلام فيتخلى رويداً رويداً ويتخلص من ضرورة أن يبدو محبوباً ويبرر خطواته ولكنه كرس كافة مجهوداته ليعطى أفضل ماعنده!.. فى إطار سياسة الدولة الإرهابية!

حكومة رابين - بيريز:

وإذ يتم تشكيل الوزارة، صارت المنافسات والعداءات السابقة ذكريات من الماضى وعلى الرغم من استعداد بيريز للقيام بدوره، فسرعان ماظهر أنه الرجل الذى لايقبل الاستكانة، إذ يتعدى الاختصاصات التى منحها له رئيس الحكومة إسحق رابين، فبدأ يستكشف أغوار إمكانية التقارب مع الفلسطينيين بهدف إقناعهم بالانضمام لمسيرة السلام!

وإذ يعتريه اليأس من الرئيس «الأسد» للتوصل إلى اتفاق بين سوريا وإسرائيل فيقوم بتركيز جهوده ويوجهها إلى الجانب الفلسطينى، وبناءاً على نصيحة قدمها «يوسى بيلينى» بدأت الخيوط تنسج للبدء باتصالات شبه رسمية فى العاصمة النرويجية وبمساندة وزير خارجية النرويج المتحمس، ومن القدس ظل شيمون بيريز يتابع أنباء التقدم والتقهقر، والانتكاس والتردد التى يحيطه يوسى بيلينى بها ليقوم بإبلاغها لرئيس الحكومة، وقبل أن يشرع فى طريق أوسلو فإن شيمون بيريز لم ييأس فى شحذهم زعماء الفلسطينيين فى الضفة الغربية للتفاوض مباشرة حول مستقبل حكم ذاتى لهم، هذا الأمل كثيراً ماراود كل الحكومات الإسرائيلية منذ حرب الستة أيام، إذ وجدت إسرائيل نفسها دون خطة من جانبها أمام أراضى محتلة وعليها إدارة شئونها بنفسها وكثيراً ماكانت الحجة بعدم وجود من يمكن

التحدث معه لأن منظمة التحرير الفلسطينية «الإرهابية» لم تكن مهيأةً أبداً لتكون «شريكاً شرعياً مقبولاً» !!..

وعندما كان وزيراً للدفاع فى الحكومة الائتلافية كان شيمون بيريز قد وضع آمالاً كبيرةً فى تكوين إدارة مستقلة قادرة على توقيع اتفاقية سلام «محترم» وإجراء انتخابات حرة فى المناطق المحتلة، ولكن رابين عندما تولى رئاسة الحكومة فى يونية ١٩٩٢ فقد الأمل فى تحقيق مثل هذا «الوهم الخادع» !...

بينما شيمون بيريز يستخلص الدرس والعبرة من فشل الماضى، توصل إلى أنه لابديل لياسر عرفات بشرط أن يتخلى عن طريق الكفاح المسلح ويعترف بشرعية وجود الكيان الإسرائيلى، وبهذا وحده يمكن أن تصبح منظمة التحرير الفلسطينية هذا «الشريك» الذى طال البحث عنه، وازداد اقتناعه بذلك إثر المفاوضات الرسمية بين الفلسطينيين والإسرائيليين التى جرت فى واشنطون.

وفى صيف ١٩٩٣ شعر بيريز أن التحول التاريخى يقترب فيسارع بإبلاغ ممثليه فى أوسلو بالسعى قدماً.

ويتم التوقيع بالأحرف الأولى فى يوم ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ على اتفاق أوسلو فى احتفال تاريخى فوق مروج البيت الأبيض الخضراء.... وبعد أن تقدم رابين ليوقع يتقدم شيمون بيريز بدوره ليضع توقيعه على اتفاق المبادىء والاثنان نيابة عن الجانب الإسرائيلى ثم ياسر عرفات نيابة عن السلطة الفلسطينية ثم الرئيس بيل كلينتون المضيف والشاهد فى نفس الوقت ثم ممثل روسيا. ولم يستطع رابين إخفاء تحفظه وهو يصافح ياسر عرفات ولكن على العكس فقد كانت يد شيمون بيريز تبدو مفعمة بالحرارة!... وهذا الاختلاف يعكس التناقض بين الاثنين: رابين وبيريز!.

وبعد اغتيال رابين وجد شيمون بيريز نفسه وحيداً، ومن الموقع الذى كان قد تقبله ليكون «الرجل الثانى»... فجأة يصل إلى الموقع الذى طالما رنا إليه، كان رابين الرجل الذى كرهه فيما مضى ومع ذلك تعاون معه تعاوناً وثيقاً فى إطار «شراكة» غير مسبوقة!... فجأة يجد بيريز نفسه وحيداً يرزح تحت عبء المسئولية خلال الساعات الأولى التى أعقبت حادث الاغتيال.. كان يشعر بوحدة قاسية وحائراً ومضطرباً، ويقول أقرب معاونيه يوسى

بيلينى لن أنسى ماحييت هذا المشهد الذى رأيته عندما دخلت مكتبه والساعة تدق الثامنة... فوجدته واقفاً ووجهه للحائط دون أية تعبيرات لدرجة اللاحياة، ثم ينخفض الوجه نحو الأرض ممتقعاً، واعتقدت أنه على وشك الانهيار فى أى لحظة... وانتابتنى رغبة ملحة فى البكاء!! شفقة عليه... إذ بدت التجاعيد تظهر بوضوح على قسمات هذا الوجه ونظراته صارت أكثر كدراً وجفونه الكثيفة تكاد تحجب عينيه تماماً... كانت البلاد كلها تنتظر فى قلق رد فعله أينهار أم سيتماسك؟!

وغلبت عليه طبيعته وسرعان مااستفاق فقد كان عليه أن يمسك البلاد بيد حازمة... بلاد كادت أن تغرق فى أتون الفوضى.. كان بيريز ودائماً يدرك إدراكاً يصل إلى حد الاقتناع بأن لا أحد قادر على الإمساك بزمام الحكومة. إلا أنه لم يكن يدور فى خلده أن يصل لهدفه عن طريق درامى كهذا!!

وبيريز لم ينجح أبداً فى أى عملية انتخابية وسقط أربع مرات متتالية أمام زعماء الليكود: ففى ١٩٧٧ عام التحول الهائل الذى أتاح لمناحم بيجين وضع نهاية لتسعة عشر عاماً من هيمنة حزب العمل على المسرح السياسى دون منازع، ومرة أخرى ينهزم شيمون بيريز إثر حملة انتخابات ١٩٨١ الضارية ويفور بيجين عليه مرة ثانية ومرة ثالثة أمام إسحق شامير ويحدث تعادل فى انتخابات عام ١٩٨٨ ويتم تشكيل حكومة إئتلافية «تبادلية»!.

ومع ذلك نجح بيريز فى تحقيق نصرين سياسيين عامى ١٩٨٤، ١٩٨٦ أولهما انسحاب القوات الإسرائيلية عام ١٩٨٥ من لبنان حيث كانت متورطة فى أوحال معارك شنّها مناحم بيجين منذ ثلاث سنوات بقيادة «شارون» إثر عملية «السلام من أجل الجليل - القدس» وثانيهما وقف التضخم المتصاعد... والذى كان على وشك إغراق الاقتصاد الإسرائيلى وفى عامين استطاع إعادة معدل التضخم إلى ٢٠٪ وكان من قبل قد وصل إلى ٤٠٪. وعلى الرغم من ذلك ظل بيريز لايتمتع بحب أو تقدير مواطنيه الإسرائيليين سواء أنصار اليمين أو أنصار اليسار!

بيريز الحائر المضطرب!

كان بيريز يخشى أن يلقى نفس مصير رابين... فالرجل الذى كان يجسد فى عيون الإسرائيليين ولدى أوساط الرأى العام الدولى نموذج رجل السلام ومسيرة التصالح مع الفلسطينيين... هذا الرجل أصبح مشلولاً، فالمرة الأولى فى تاريخ دولة إسرائيل يغتال رئيس الحكومة بيد يهودى ولأسباب سياسية ودينية بحتة!! ولم يكن بيريز يعتقد أبداً أن مسيرة السلام والتصالح مع الفلسطينيين يمكن أن تكلف إسرائيل هذا الثمن الفادح، ويصيبها كذلك بتلك الصدمة النفسية. وكان بيريز يدرك أن اغتيال رابين إنما يعرض «تماسك وترابط» المجتمع الإسرائيلى للمخاطر!.

وفى الأيام الأولى لعملية الاغتيال قرر بيريز إجراء انتخابات مبكرة عام ١٩٩٦، فالمنطق يقتضى انتهاز آثار الصدمة الشعبية لإزالة تداعيات تصرف القاتل وذلك بتنظيم انتخابات فورية، فالمعارضة كانت تعانى من اتهامها بأنها المتسببة فى حدوث هذا التصرف الغير مسبوق ويعنى هذا صدور الحكم عليها بالموت السياسى لفترة غير محددة من السنوات، وكانت التنبؤات واستطلاعات الرأى تشير إلى تقدم شيمون بيريز على بنيامين نيتنياهو بنسبة ٣٠٪.

إلا أن رئيس الحكومة يتجاهل نصائح كثير من المقربين إليه الذين يخشون أن صورته «السلبية» لدى الرأى العام، ستدفع هذا الرأى العام إلى الاعتقاد بأن هناك مناورة سياسية جديدة تتمثل فى استغلال دنىء لآثار جريمة كبرى تحقيقاً لمكاسب سياسية جديدة!! وبيريز يرفض أية مجازفة طالما أنه هذه المرة «مقتنع تماماً» بأنه مهما كان موعد الانتخابات فسوف يفوز وهو يريد هذا الفوز كله لصالحه ولايريد دخول التاريخ على أكتاف سلفه أو نتيجة لما تعرض له!!.

موعد الانتخابات:

وينصحه الكثيرون بتقديم موعد الانتخابات وبالذات نسيم زفيل N. ZVIL سكرتير عام حزب العمل قائلاً: أصداء الاغتيال لازالت فى ذاكرة الجميع ومن الضرورى أن نحصل على توكيل مجدد من الشعب.. واشرح للناس أنك مضطر لتقديم موعد الانتخابات لأن

الحزب لم يحصل على توكيل لإدارة البلاد، وأنك لاترغب أن تترك القاتل «يحدد من يقود الحكومة الإسرائيلية»!.. ودون استبعاد هذه المبررات نهائياً فقد كان يرد عليها بقوله بأنه من الضرورى أولاً استقرار أوضاع البلاد السياسية بأكثر من حاجتنا لإجراء انتخابات متعجلة ربما تهز كثيراً بلداً لازال يعانى من الصدمة.. وكان فى نفس الوقت يشير إلى ضرورة متابعة مسيرة السلام وفى نفس الوقت العمل على الفوز فى الانتخابات!.

ثم يستطرد بيريز فيقول: لقد وقع اختيارى على أولوية ماعلينا عمله فاللمرة الأولى يقتنع الأمريكيون باحتمالات حقيقية للتقدم نحو السلام مع سوريا، ويستغل بيريز هذه المعلومات بحماس شديد، فإذا ماتأكدت هذه المعلومات، التى جاءته من الأمريكيين فسوف يتاح له دخول التاريخ على قدم المساواة مع بيجين الذى اتفق مع مصر ورابين مع عرفات والملك حسين، وهو «بيريز» يستطيع توقيعه مع الأسد!

وفى ديسمبر ١٩٩٥ فى واشنطون، يصمم لدى الأمريكيين على استئناف المفاوضات مع دمشق بدءاً من اتفاق ضمنى تتقدم به إسرائيل للجلاء عن الجولان مقابل الوصول إلى سلام شامل. وبيريز يعتقد أن مثل هذه المعاهدة قريبة المنال إذا ما أعطيت لمسيرة السلام دفعة قوية. وفى طريق عودته من واشنطون يتوقف مرة أخرى ولبضع ساعات فى الرباط ليطلع الملك الحسن الثانى ملك المغرب على مباحثاته فى واشنطون ويطلب منه بصفة خاصة إقناع الرئيس حافظ الأسد لمقابلته وجعلته حرارة الاستقبال من جانب مضيفه يشعر بقرب التوصل إلى شرق أوسط جديد طالما تنبأ به!! وفى مثل هذه الظروف.. لم يكن هناك مايدعو لإجراء انتخابات مبكرة ومع ذلك، بعد شهرين، وفى فبراير ١٩٩٦ يقرر بيريز فجأة تقديم موعد إجراء الانتخابات من ٢٩ أكتوبر إلى ٢٦ مايو!!.

بيريز والجنرالات السياسيين!

وعندما يدرك بيريز أن لا أمل فى تحقيق اتفاق سلام إسرائيلى سورى يصل به للفوز بالانتخابات، يقتنع بالاستماع لرأى مستشاريه فى الاستفادة من سخونة موقف «التعاطف» مع حكومته بعد اغتيال رابين وكانت استطلاعات الرأى تشير إلى تقدمه على منافسه بنسبة ٣٠٪ وأنسته هذه الاستطلاعات والتنبؤات أن جزءاً لابأس به من الناخبين الإسرائيليين يكنون احتقاراً شديداً يصل لحد الضغينة من نزوات حزب العمل، فى الوقت الذى كان فيه

اليمين يستفيد من تحولات وتغيرات حقيقية ذات نفوذ بين كافة الأوساط: الإدارة والجيش والبوليس والعدل والمالية، وبيريز يهمل هذه التحولات وسرعان مايرتكب سلسلة من التصرفات الخرقاء. إذ انحصرت اهتماماته فى تدعيم مكانته على قمة الحزب، فبعد اختفاء رابين يحتفظ لنفسه بمنصب وزارة الدفاع بدلاً من إسنادها لرئيس الأركان الجنرال إيهود باراك الذى وبفضل سمعته العسكرية - من وجهة النظر الإسرائيلية كان قادراً على اجتذاب أصوات شعبية نحو حزب العمل، وإذ يشعر بيريز بالإرهاق فهو يخشى أن يغضب «بارونات الحزب» فباراك لم يدخل ميدان السياسة سوى منذ عدة شهور فقط والسرعة فى ترقيته ترقية ملكية يثير حنق البارونات... ورابين كان قد دفع به بالكاد وزيراً للداخلية!..

وكان بيريز يستشعر خطراً محتملاً من شعبية باراك.. فهذه الانتخابات يريد الفوز بها وحده دون التماس مساندة من أحد، فيحقق لنفسه مركز رجل الدولة. وقبل موعد الانتخابات المبكرة بأسبوع يقول حاييم رامون الذى تولى إدارة الحملة الانتخابية لبيريز فى شبه توسل: إذا كنت تريد الفوز عليك إسناد وزارة الدفاع لباراك فهو قادر على أن يجلب لك ٥٪ من الأصوات وهى نسبة تكفى لفوزك ويرد بيريز عليه: كيف ذلك... إن إسناد وزارة الدفاع لباراك يؤدى إلى فزع كل من السوريين والفلسطينيين فهو بالنسبة إليهما «صقر من الصقور» هذا بالإضافة إلى أنه امتنع عن التصويت بالموافقة على اتفاقية أوسلو وهذا ما أثار سخط ودهشة رابين وقتئذ!!

وفى ١٤ ديسمبر ١٩٩٥ بعد عدة أسابيع من اغتيال رابين كان الجنرال اسحق موردخاى قد توصل لعقد مقابلة مع بيريز وإذا كان موردخاى مقتنعاً بأن حزب العمل هو الذى سيشكل الحكومة فعرض على بيريز أن ينضم لصفوف حزب العمل مقابل إسناد إحدى الوزارات إليه، ولم يشأ بيريز التعهد بذلك طالباً منه ببساطة التقدم للانتخابات كأى مرشح من مرشحى الحزب. وإذ يتمتع الجنرال موردخاى بشعبية جارفة، يبدأ فى اليوم التالى مباشرة الانضمام إلى نيتنياهو الذى وعده بتحقيق كل مايصبو إليه... وهكذا تمضى السياسة فى إسرائيل!!

وكان انضمام الجنرال موردخاى إلى حزب الليكود ضربة معلم «لنيتنياهو» بقدر ماكان خطأ يضاف إلى أخطاء شيمون بيريز!.

وبعد عدة أشهر من المحاولة الثانية للاعتداء المسلح على الحافلة ١٨ فى القدس، يتوجه الجنرال شارون لمقابلة شيمون بيريز مقترحاً عليه تعيينه وزيراً للدفاع، ويؤكد له أنه قادر فى مدى سنة من الانتخابات على وأد حركة «الإرهاب»!... ولكن بيريز لا ينخدع إذ كان شارون يخشى بالذات أن يستفيد نيتنياهو فى المعركة الانتخابية من عمليات حماس الفدائية، وينصح المستشارون المقربون من بيريز بقبول العرض الذى عرضه شارون الذى «سوف ينتزع من نيتنياهو» ويحرم الليكود من أضخم أسلحته ثقلاً فى الشارع السياسى الذى يموج بالغليان، إلا أن قادة حزب العمل يعترضون ويصل المدى بيوسى بيللينى إلى أن يقول: إن خسارة الانتخابات أهون عندى من رؤية شارون وزيراً للدفاع!.

مهندس حماس:

فى تلك الأثناء لاحت فى الأفق بوادر اتفاق بين حماس والسلطة الفلسطينية لوضع نهاية للعمليات الفدائية من إسرائيل، حيث قدم عرفات من جانبه الضمان لتوفير الأمان لقادة حماس وبالذات العناصر التى تبحث إسرائيل عنها لتقديمها للمحاكمة، وطبقاً لمصادر المخابرات الفلسطينية فإن يحيى عياش على رأس من تبحث إسرائيل عنهم لاعتقالهم، وكان يحيى عياش فى ذلك الوقت قد أرهقه الهرب وأبدى استعداده لتسليم نفسه للسلطة الفلسطينية معتقداً بقرب توقيع اتفاق مع شيمون بيريز وبعد أن كان عياش قد توقف عن تفجير القنابل، قبل عدة أشهر من اغتيال رابين، والتجأ إلى قطاع غزة وأقام فى دار أحد قادة حماس «أسامة أحمد».... ويستلم أسامة أحمد هدية من عمه المقاول فى قطاع غزة عباره عن تليفون محمول ورقمه ويهديه بدوره إلى يحيى عياش الذى يخفيه فى قبو داره ويتميز «المهندس» وهو لقب أطلق عليه بخبرته الطويلة فى التعامل مع المفرقعات، وبحذر يقوم بفك الجهاز لكى يتأكد أنه ليس فخاً منصوباً ولم يبح بالرقم إلا لوالده الذى يقيم فى أحد معسكرات اللاجئين فى الضفة الغربية ويطلب منه ألا يستخدمه إلا فى حالات الضرورة القصوى. وقبل بضعة أيام من المحاولة التى كلفته حياته يتصل يحيى عياش تليفونياً بوالده لمقابلته يوم الجمعة ٥ يناير ١٩٩٦ صباحاً، وفى هذا اليوم ترد لأسامة أحمد مكالمة تليفونية من عمه يطلب فيها توصيل جهاز التليفون المحمول حيث أنه لايستطيع توصيله برقمه العادى، وبعد

عدة دقائق يرن جرس التليفون المحمول ولم يكن المتحدث على الطرف الآخر العم وإنما والد يحيى عياش الذى يطلب التحدث مع ابنه شارحاً أن الخط العادى مقطوع، فينزل أسامة أحمد إلى القبو ويمد يده بجهاز التليفون المحمول إلى يحيى عياش ويعلنه بقوله:.. إنه والدك! وما إن عاد ليصعد درجات السلم حتى سمع دوى الانفجار الذى وضع نهاية لحياة «المهندس»!!

وكانت الفرحة عارمة فى إسرائيل، على الرغم من إعلان الحكومة بعدم مسئوليتها ويصرح شيمون بيريز أنه لايعرف مرتكب هذه المحاولة إلا أنه كان فى قرارة نفسه مرتاحاً لتخلص بلاده من واحد من أكبر أعدائها!

إلا أن مراحل العملية وبهذا القدر من الإتقان يؤكد ببساطة إنها تحمل بصمات أجهزة الأمن الإسرائيلية وأنها كانت «هناك»!!

ونتيجة لهذه الملابسات وتداعياتها على مسيرة السلام فقد كان مؤكداً أنه لولا نور أخضر صادر من وزارة الدفاع التى يتولاها شيمون بيريز ومعاونيه وعلى رأسهم أورى أور ORI ORR لما تم تنفيذ العملية. ومايبعث على الدهشة هو كيف ولم أصدر رئيس الحكومة هذا الأمر وفى مثل هذه الظروف مما يثير احتمال عودة العمليات الانتقامية؟! لم يستطع أن يقاوم الإغراء فى أن يبرهن للذين يتهمونه بالضعف والتخاذل أنه قادر أن يحاكى سلفه ونتساءل ألم يكن يدرك آثار مثل تلك المحاولة واحتمال عودة سلسلة الأعمال الانتقامية... عموماً فإن ردود أفعال هذه الحادثة كانت أضخم وأثقل مما كان بيريز يتوقعه، فبعد مرور أربعين الحداد على موت رابين عادت الأحداث تتفاقم من جديد، وفى مدى أسبوعين اثنين **من نهاية فبراير حتى بداية مارس ٩٦ سقط ٥٩ من القتلى فى كل من القدس وعسقلان وتل أبيب ومئات من الجرحى... وأعيد طرح السؤال: هل من الممكن تفادى هذه الحلقة المفزعة والجهنمية والمميتة؟ عموماً فإن نائب وزير الدفاع أورى أور والمسئول عن تصرفات أجهزة الأمن «الشاباك - Shabak» والمعروف بصراحته يعترف بصعوبة التوصل لمعرفة الحقائق، ولكن من المؤكد أن كل من قام بدور سواء عن عمد أو حتى سياسى يفتقد البصيرة السياسية واحتساب ردود الأفعال!.**

الأخطاء..... والصعوبات... تتجمع:

بالإضافة إلى الصعوبات الموضوعية فى الموقف السياسى/ الدبلوماسى لايجب أن نغفل قصور الجهاز الانتخابى لحزب العمل، ففى كتاب أصدره ثلاثة من الصحفيين الإسرائيليين هم كنعان كرستال وبن كاسبيت وإيلان كيفير بعنوان: انتحار: «حزب يتخلى عن السلطة» نقرأ تلك الخلاصة التى توصل إليها الصحفيون الثلاثة: بيريز وحزب العمل باشروا المعركة الانتخابية فى إطار ظروف غير مواتية فقد كانوا يركزون كثيراً على استطلاعات الرأى... بل وأكثر من اللازم، فقد كان لديهم قائمة بأسماء المرشحين الذين يتمتعون «بقبول» من جانب الناخبين واستعانوا بخبير انتخابات أمريكى ذكر لهم أن المعسكر المعادى منقسم.. وشبه لهم المعركة الانتخابية بأنها ليست أكثر من مباراة كرة قدم!

كان هدف بيريز عبور الحملة دون إحداث هياج مرتكزاً على منصبه كرئيس للحكومة للارتفاع فوق صخب المعركة وتجاهل غريمه بتعال تمثلاً بالقول المأثور الذى اتخذه شعاراً له: ينجح كل من يرتكب أخطاء أقل. لم يكن ينقصه بكل تأكيد أسباباً تدفعه للزهو بنفسه فبخلاف سمعته على المستوى الدولى فقد كان يحظى بمكانة مؤثرة لدى الطبقات الموسرة وصفوة الأشكيناز وعرب فلسطين والدروز والبدو وشباب الناخبين الذين وصفتهم الصحافة بأنهم «أيتام رابين»!!.... ولم ينقصه سوى بضعة آلاف من الأصوات يقتطعها بسهولة من المعتدلين من حزب الليكود!... ومن الأحزاب الدينية... كان بيريز يريد أن يتهرب من الاتهام الذى لاحق رابين طوال فترة حكمه: حكم دولة يهودية بأصوات عربية! فالأسابيع الأليمة علمته أن السلام مرتبط بحد أدنى من ترابط كافة قطاعات الناخبين اليهود من كل التيارات السياسية، ولذا فقد كان من الأفضل له الفوز بأغلبية الأصوات اليهودية لكى يدفع بعملية السلام إلى طريق اللا عودة!!

ويشجع بيريز على اختياره كل من حاييم رامون قائد الحملة الانتخابية وإيهود باراك على الرغم من أنهما يختلفان تكتيكياً عنه، فمن رأى حاييم رامون ضرورة تفادى مواجهه عنيفة بين اليسار واليمين حتى لاتؤدى مثل هذه المواجهة إلى إثارة غضب الساخطين من حزب الليكود، أما إيهود باراك فكان يتمنى دفع المعركة الانتخابية لتتخذ منحنى أكثر عنفاً فاقترح التركيز على قلة خبرة نيتنياهو والتركيز على الأخطار التى قد تواجه إسرائيل إذا

ماوصل نيتنياهو للحكم. ولم يتوصل أى منهم لإدراك ضرورة أن تتمحور المعركة الانتخابية حول حادثة اغتيال رابين وذلك بإظهار مسئولية كل أتباع اليمين وكل الأحزاب الدينية الذين أثروا اختيار الاحتفاظ بالمستوطنات والأراضى «المقدسة» بدلاً من السلام!!

وبينما ينطلق نيتنياهو إلى خضم المعركة الانتخابية بكل قواه حتى بدون تفكير عقلانى، كان بيريز يتصرف كواحد من «عظماء السياسة»!... وقليلاً ماكان يشعر بأن هناك خطأ مافى استراتيجيته، ومع ذلك فهو يلم تماماً بمدى ماتنطوى عليه عمليات الانتخابات من مجازفات وتحديات فهى.. كما يقول دائماً ويشرحها للمقربين إليه من أنصاره: سوف تحدد ما إذا كنا نتجه نحو الاستقرار وتعميق مسيرة السلام تجاه شرق أوسط جديد أو العكس من ذلك... وإننى أخشى لو فقدنا هذه الفرصة النادرة.. أن نندم عليها للأجيال القادمة!!

حملة انتخابات تحت تأثير المخدر!

منذ دخوله معترك السياسة وبيريز يتمتع بصلابة الرأى والعناد، ومعظم المحيطين به لايوافقونه أحيانا كثيرة على رأيه ومن بين هؤلاء جان فريدمان J. FRIDMAN من أنصار الخط المتشدد «الذى يستدعى خبيراً إعلامياً من فرنسا هو جاك سيجويلا J. SEGUELA» الذى ارتبط اسمه بانتصارين حققهما فرانسوا ميتران خلال حملتين رئاسيتين ويتأثر الخبير الإعلامى الفرنسى بشيمون بيريز ويقارنه بـ فرانسوا ميتران ويبدى رغبته فى «تسويقه» للإسرائيليين كما سبق وفعل مع ميتران عندما نجح فى تسويقه للفرنسيين... رجل دولة... عملاق لانظير له بين أقرانه من السياسيين!... صاحب رؤية سوف يجعل السلام يعم والانطلاق ينتعش فى الشرق الأوسط وصورة شيمون بيريز وهو يبتسم مع شعار يقول «المستقبل لكم»!!... واستكمالاً لهذه الحملة يعرض سيجويلا فيلماً صغيراً يبدو فيه طفل صغير يجلس بجوار قنبلة موقوتة قبيل انفجارها وينطلق يقول «لاتتركوا حماس تقرر مستقبلكم»!

وإذ يتحمس بيريز فيدعو الخبير الفرنسى لعرض خطته للحملة الانتخابية على ثلاثين من المسئولين المقربين إليه... هنا تحدث موجه من الذهول من تفاهة الخطة ولم ينبس بيريز ببنت شفة... ويعود سيجويلا إلى باريس... ويزداد انفعال فريدمان فيتهم رامون بأنه

يعمل لصالح نيتنياهو!!! ولم يستطيع فريدمان أن يجعل رئيس الوزراء يقتنع بضرورة الحذر عندما يبلغه أن استطلاعات الرأى تشير إلى تقدمه بنقطة أو نقطتين على غريمه نتنياهو زعيم حزب الليكود. ويقول: فريدمان لم يكن يريد أن يسمع أو يرى شيئاً وقلت له «كل من يحاول إقناعك بأنك ستفوز فهو مخطئ تماماً»... إنهم يكذبون عليك... أنهم يغشونك.. لماذا لم يثيروا ذكريات حملة تشهير نيتنياهو برابين؟ لماذا يخفون أصداء الاغتيال فيرد بعد تردد ويقول: إن مستشارى السياسيين أقنعونى بألا أصدم الناخبين المترددين الذين يحتمل أن يصوتوا لصالحى... فقلت له: إن أكثر الناخبين المترددين معنا فيقول شيمون بيريز.. عزيزى جان فريد مان أمامى دولة وعلى قيادتها فمتى تريد منى أن أجد وقتاً لشن حملة انتخابية؟... وعندما استطردت قائلاً له: كل هذا ممكن أن ينتهى بمأساة! فيقول إن مستشارى ضمنوا لى الفوز!!!

ويكتب بيريز خطاباً إلى سيجويلا (الخبير الإعلامى الفرنسى) يعترف فيه بأخطائه.. كان تاريخ هذا الخطاب اليوم التالى لظهور نتيجة الانتخابات وهزيمة بيريز!

وفى الواقع، كان اليسار الإسرائيلى يعتبر عودة مقاليد الحكم إليه أمر طبيعى ومنطقى، فخصومة على أحسن تقدير دخلاء متطفلين بل وفاشيون ثم إن عدد الجنرالات المكللة هاماتهم بكل الانتصارات التى حققها جيش الدفاع الإسرائيلى هم جميعاً من بين صفوف حزب الليكود. وعلى الرغم من ذلك فإن حزب الليكود كثيراً ماكان يشك فى ولاء العسكريين حتى القلة التى كانت بين صفوفه، والتاريخ يحكى لنا كيف أن مناحم بيجين لم يجد صعوبة فى إزاحة منافسه وهو من ألمع جنرالات سلاح الجو الإسرائيلى عزرا وايزمان وأيضاً إسحق شامير الذى لقبوه بالرجل الباهت وكيف تمكن من هزيمة آريل شارون وهو من الجنرالات المرموقين وأزاحة عن زعامة الحزب!.

وأدرك الليكود ـ المعارض لاتفاقية أوسلو ـ أن عليه الآن أن يمتلك ناصية مسيرة السلام وشن حملة شعارها «السلام المؤكد» ومن جانبه وبحثاً عن صورة جديدة يواجه بها الجماهير أطلق معسكر حزب العمل شعاراً ينادى «أن إسرائيل أقوى مع بيريز» مرتكزاً على مايتمتع به بيريز من أهمية وتقدير فى المحيط الدولى وكان بيريز قد سافر مرتين أثناء الحملة الانتخابية وكانت هذه الرحلات من أكبر الأخطاء الجسيمة التى يقع فيها كثير من

المرشحين الذين يعطون اهتماماً أكثر لقادة وزعماء العالم بدلاً من تركيز هذا الاهتمام على الرأى العام الإسرائيلى وربما لهذا السبب أطلقوا على بيريز لقب «رئيس الحكومة الطائر»!

وهذا أيضاً يفسر كيف يمنح ثقته فى الاتجاه الغريب «بألا حملة هناك» ... يكفى الحكومة أن تحكم لتفوز بالانتخابات!! وعلى ذلك لايجب «تنشيط الحملة الانتخابية أو إشعال أوارها وإنما إنامتها»! ورامون بذلك ينسى ماضى حزب العمل وعجزه وشعوره بالتعالى ويقينه الزائف بأنه «خلق ليحكم» ثم أليس ذلك مما يجعل الحزب الذى لايعير التفاتاً للمعركة الانتخابية واثقاً من نفسه كل الثقة فيتعرض للظهور بمظهر المحتقر للشعب!

وقبل ثلاثة أيام فقط من يوم الانتخابات وخلال مناظرة تليفزيونية بين المرشحين المتنافسين، أنهى الصحفى دان مارجاليت MARGALIT الحوار موجهاً سؤاله للمرشحين الاثنين أن يوجه كل منهما للآخر سؤالاً أخيراً، فلا يحصل نتينياهو سوى على رد غامض من جانب منافس لم يتنازل مرة واحدة أن يكلف خاطره بالنظر إلى وجه غريمه طوال فترة المناظرة تعالياً! ولما جاء دوره يرد بيريز بكل عجرفة بأن ليس لديه ما يرجهه!.. ولم يستطع نيتنياهو إخفاء شعوره بالمهانة!

ويبدو أن كل من بيريز ونيتنياهو قد اتفقا ضمنياً ألا يثيرا الأمور، وحاول كل منهما تخدير الناخبين وإغراقهم فى متاهات الحيرة والارتباك فحزب العمل سكت عن اغتيال رابين، ونيتنياهو يسكت عن استغلال العمليات الفدائية وجاءت نتيجة هذا «التواطؤ» مدمرة لمرشح حزب العمل وشعار: إسرائيل قوية مع بيريز. فيرد أنصار نيتنياهو: السلام فى ظل الأمان!.. وكل منافس يحاول إقناع الناخب الإسرائيلى الحائر بين الشعارين وكل من الحزبين المتنافسين يحاول بأى ثمن محو آثار ماعلق بكل منهما من خشونة وحدة أيديولوجية سعياً لإغراء الأصوات «العائمة»! وكان التحول من جانب نيتنياهو مثيراً للدهشة حقاً، فهذا الشاب ابن العائلة والذى ترعرع بين شعبية سكان ضواحى المدن المحرومين والحوارى المخصصة للنازحين القادمين من روسيا، هاهو يطلق خطباً عاقلة منادياً بـ «التحرر الاقتصادى»!... واقتصاديات السوق.. مما أثار إعجاب الطبقة المتوسطة ركيزة الأحزاب اليسارية والدينية!

ومع أن ستة أشهر من حكم حكومة بيريز كان من الممكن أن تحقق تحولاً كبيراً فى مسيرة السلام وتدفع بالخطوات التى تدعمها وهو ماكان كثير من الإسرائيليين يتوقعونه من

اتفاقية أوسلو ومن الرجل الذى كان أول من رفع رايات السلام مع الفلسطينيين والبلاد العربية... ولكن بدلاً من ترجمة مرحلة السلام لتوطيد دعائم شرق أوسط جديد وزيادة فعاليتها اصطدم حزب العمل بعقبات مفاجئة هددت مسيرة السلام بالتوقف! إذ عادت بل وتصاعدت العمليات الفدائية وأجبرت حزب العمل وبيريز أن يحول اهتماماته لكسب الرأى العام الإسرائيلى الذى أصابه الذعر من جراء هذه الموجة الجديدة من العمليات الانتقامية فعلى مدى أسبوعين اثنين، فى القدس وتل أبيب، سقط عشرات من القتلى ومئات من الجرحى، وظهرت الحكومة الإسرائيلية بصورة الحكومة العاجزة.. قليلة الحيلة وبيريز «رجل كل الآمال» والذى كان قد بشر بقرب بزوغ فجر سلام جديد صار فجأة المسئول الأول عن حالة اللا أمن هذه التى يعيشها المجتمع الإسرائيلى!.

ثورة عرب إسرائيل:

إن سلسلة العمليات الانتقامية التى أغرقت إسرائيل فى حزن عميق فى بداية ١٩٩٦ والتى أعلنت «حماس» عن مسئوليتها عنها إثر عملية تصفية يحيى عياش الغادرة، أدت هذه الموجه ببيريز إلى ضرورة ملحة للتصرف بسرعة وبقسوة...

فترك أجهزة الأمن للرد بكل عنف مما أغضب أفضل مسانديه وبالذات العرب الإسرائيليين!

وتجاوباً مع الرأى العام واتجاهاته قرر رئيس الحكومة «وقف تنفيذ بنود اتفاقية أوسلو - بدون الإعلان رسمياً» عن قراره حتى لايصطدم باعتراض الأوساط الدولية والتى ولاشك «ستتفهم الأسباب» وأشاع أن هذا التوقف مؤقت! فالسلطة الفلسطينية ذاتها ونتيجة لعودة أعمال العنف والتى خرجت عن سيطرتها تبدو غير قادرة على وقفها.. وربما تقبلت على مضض هذا التجميد «المؤقت» بشرط أن لايسفر هذا التجميد عن تجميد التبادل التجارى... الذى يحرم العمال الفلسطينيين من دخول الأراضى الإسرائيلية وممارسة أعمالهم مما زاد من معاناتهم بل ووصل الأمر إلى حد طرد المرضى الذين كانوا تحت العلاج فى المستشفيات الإسرائيلية بلا رحمة أو شفقة!!

ومما زاد الطين بلة قرار الحكومة بسد المنافذ الفلسطينية!... وتعرض اقتصاديات غزة والضفة الغربية للشلل التام ويخيم شبح المجاعة على الشعب الفلسطينى!!

كان كل شىء يوحى بأن إسرائيل قررت معاقبة الفلسطينيين لحد الاختناق، ويدلى الجنرال دانى روتشيلد ـ منسق الأنشطة الإسرائيلية فى المناطق المحتلة ـ بحديث لصحيفه ـ يديعوت أحرونوت ـ فيقول: «انطباع الفلسطينيين عن الحصار الذى فرضته إسرائيل على المناطق سيجعل منها «ألبانيا جديد» مثل تلك التى كانت خلال أسوأ العهود الشيوعية تعيش فى آنية مغلقة منعزلة تماماً عن بقية الدنيا.. ولم تكن السلطة الفلسطينية قادرة على توفير فرص العمل لآلاف العمال الفلسطينيين فتحولت حياتهم إلى معاناة وفقر مدقع لا مثيل له.... وكل ذلك فى مستهل الفترة التى قيل عنها إنها فترة السلام!.... كان الفلسطينيين يعيشون فى يأس اضطرونا لأن نسلب منهم أغلى ماكانوا يحلمون به... الأمل»!!

وبعد عملية عياش أصبح الانسحاب من الخليل ومن جديد موضع جدال وكان قد تقرر الانسحاب منها، إلا أن بيريز فجأة يرجئ الانسحاب بعد الانتهاء من الانتخابات (وكان رابين فى ١٩٩٤ قد رفض الانسحاب منها بعد ارتكاب باروخ جولد شتاين جريمة قتل ٢٩ من المصلين فى الجامع الأقصى) اليهود يطلقون عليه اسم «قبو البطاركة» وكان الانسحاب من الخليل يعتبر من وجهة نظر السلطات الفلسطينية اختباراً لحسن نية حكومة بيريز، والتى حصلت بموجب أوسلو على حق إرجاء انسحاب قوات جيش الدفاع الإسرائيلى من الخليل حتى مارس ١٩٩٦.

وفى التاريخ المحدد يعاود بيريز التأجيل ويقول: ليس أمامى سوى الإرجاء فلقد جاءنى مئات من الحاخامات يتوسلون لى لحد البكاء، إرجاء الانسحاب من المدينة ولو لمدة شهرين!.... فقلت فى نفسى إن تأجيل الانسحاب عدة شهور لن يكون كارثة بالنسبة للفلسطينيين بل ربما يجعلهم يدركون أن «الإرهاب» لن يفيدهم فى شىء ولن يخضعونا بهذه التصرفات الحمقاء وقلت لياسر عرفات بأنه إذا نفذ وعوده بمجابهة «الإرهاب» فأنا أيضاً سأحترم تنفيذ بنود اتفاقية إعادة انتشار القوات!!

وفى هذه الفترة يقوم المستوطنون ورجال الدين بمحاصرة الحكومة لكى لاتبادر باتخاذ مثل هذه الخطوة التاريخية وبالذات قبيل الانتخابات التى لم يكن أمامها سوى شهرين...ويقتنع بيريز خاصة بعد النداء «المؤثر» الذى وجهه إليه الحاخام «أوفيدا يوسف» الزعيم الروحى لحزب شاس وهو الحزب الوحيد الذى قبل فى وقت ما أن ينضم لحكومة بيريز فى حالة فوزها فى الانتخابات!

ومنذ تقلده مقاليد السلطة على إثر اغتيال رابين كان بيريز يتمنى وضع نهاية للقطيعة مع الأوساط الدينية، وحاول التقرب إليهم بل ويؤكد لهم أن الاتفاق النهائى مع الفلسطينيين سيتضمن ضرورة الحفاظ على المستوطنات وأمن سكانها، وإنه على أى حال وقبل الانسحاب سوف يجرى استفتاء، حول مصير المستوطنات... ومن وراء ذلك كان الأمل يراوده أن يقدم عدد من الحاخام على دعوة أنصارهم للتصويت لصالحه، إلا أن النتيجة أثبتت أن هذا الأمل كان سراباً... فالمتطرفين تقريباً بالإجماع قد أدلوا بأصواتهم لصالح نيتنياهو! لاسيما وأن فريقاً منهم قد بارك اغتيال رابين!

وأثار هذا التأجيل عرب إسرائيل فلديهم هم أيضاً مطالبهم الضرورية، بالإضافة إلى تقرب بيريز من المتطرفين المتعصبين وحصار الأراضى وخنق الاقتصاد الفلسطينى وإرجاء الجلاء عن الخليل قد زاد من غضبهم وحنقهم... وكان عرب فلسطين مندهشين ويتساءلون كيف لحكومة يساندونها فى الكنيست (٥ نواب عرب) ولولا هؤلاء الخمسة نواب لفقدت الأغلبية والسلطة معاً، كيف لها أن تصدم أشقاؤهم الفلسطينيين فجأة بعد أن اعتقدوا أنهم قاب قوسين أو أدنى من تحقيق آمالهم واستعادة أرضهم... فجأة تتخلى الحكومة عن وعودها وتخرق بنود اتفاقية أوسلو!.. وبدأوا بالتحذير وقالوا لبيريز إن مساندتهم له لن تكون بعد اليوم بلا مقابل وأن أى انتهاك لاتفاقية أوسلو سيكون له آثار على موقفهم من الحكومة وفى التصويت النهائى وتأكيداً على تحذيرهم يسارعون بإرسال الحافلات مملوءة بالمواد الغذائية لإنقاذ أشقاؤهم المحاصرين الذين يتضورون جوعاً... على الرغم مما تفرضه السلطات الإسرائيلية من «حصار المناطق» وإعلان حالات الطوارئ... ولم يحدث قط قبل ذلك أن كانت ردود الأفعال الفلسطينية الغاضبة بمثل هذه الحدة وهذا الإجماع!.

مذبحة «قانا»:

وشيمون بيريز الذى كان يثقل كاهله آثار الأحداث الدامية التى وقعت خلال شهرى فبراير ومارس ١٩٩٦، وجد نفسه فى أبريل غارقاً فى موقف معقد لايحسد عليه. فخلال الاحتفالات بأعياد الفصح اليهودية قام أتباع حزب الله بإطلاق الصواريخ على مستعمرة «كريات شمونة» الواقعة شمال إسرائيل، ولم ترد قوات جيش الدفاع فيشعر السكان أن أحداً من المسئولين لم يعبأ بأوضاعهم وأمنهم... ويسارع نيتنياهو لنجدتهم وبصحبته قائد المنطقة

الشمالية السابق الجنرال اسحق موردخاى (الذى رفض بيريز عرضه للانضمام إلى صفوف حزب العمل)... وإذ تبدو حكومة بيريز عاجزة عن حماية مواطنيها فى شمال البلاد وتتهم باندفاعها المتزايد نحو مسيرة السلام والتصالح مع العرب، وحاول شيمون بيريز أن يواجه استغلال نيتنياهو للموقف فيسارع بزيارة المدينة التى كانت تعانى من قصف الصواريخ التى أطلقت عليها بالأمس ولكن السكان استقبلوه بفتور قائلين له: إن خير مايفعله هو العودة من حيث أتى!... ولبنان وجبهة الشمال كانت دائماً مصدر إقلاق وصدمات لكل من يتورط فى مستنقعاتها!!! وبيريز لايريد التورط مع أن قادة الجيش ويساندهم الوزير إيهود باراك كانوا مقتنعين بأن فى إمكانهم النجاح فى تصفية أوكار حزب الله بسهولة وطالبوا الحكومة بالموافقة على قيامهم بعملية «جراحية» تستهدف تدمير البنية الأساسية لحزب الله دون المساس كما ذكروا بالسكان المدنيين الذين سيضطرون لمغادرة جنوب لبنان! وبعد تردد دام ثلاثة أسابيع يمنح بيريز أخيراً موافقته على بدء عملية «عناقيد الغضب» وتحقق العملية أولى نجاحاتها بتدمير مواقع حزب الله بدون إصابة مدنيين مما شجعهم على توسيع نطاق ومدى العملية فأصيبت وحدة توزيع التيار الكهربائى بل امتد الاعتداء ليشمل مدينة بيروت نفسها!!

وفى مؤتمراته الصحفية كان بيريز يرتدى الزى العسكرى الذى كان رابين يرتديه. وفى خامس يوم منذ بدء العملية، حدثت التداعيات التى كثيراً ماكان بيريز يخشى وقوعها.. وكان ذلك بقرب قرية قانا حيث يوجد معسكر تابع للأمم المتحدة واعتقدت مئات من القرويات أن التجاؤهم لمعسكر الأمم المتحدة سيوفر لهم ولأولادهم الحماية من الغارات الإسرائيلية المكثفة، ولكن للأسف فقد تعرض المعسكر للإغارة عليه وأسفرت الغارات عن وقوع مائة قتيل تفحمت أجسادهم معظمهم من النساء والأطفال!... وأثار هذا العمل الوحشى الدامى غضب ودهشة العالم... وإذ ينتاب بيريز الذهول من هول ما سمع فيسارع بإصدار أوامره بوقف إطلاق النار فوراً ولكن بدلاً من الاعتراف بالواقع الأليم يوجه الاتهام لحزب الله بأنه المسئول عن هذه المأساة وذلك بدس مقاتليه لإخفائهم بين السكان المدنيين!!

ويقدم عرب إسرائيل اقتراحاً بقرار فورى لوقف الغارات على جنوب لبنان بلا شروط ورفع الحصار المفروض على المناطق، وطالبوا إسرائيل بسداد قيمة ماتكبده الفلسطينيين من جراء حصار المناطق، وفى نفس الوقت قرروا الاعتصام أمام مكتب رئيس الحكومة وتنظيم

مظاهرات شعبية ضد الحصار المفروض وأخيراً قرروا مضاعفة المعونات الغذائية للفلسطينيين.. وكان من بين أقسى وأعنف ما قرروه وكانت له آثار مدمرة على موقف بيريز هو نداءاتهم للناخبين العرب ألا يصوتوا لصالح شيمون بيريز ويلقوا ببطاقات التصويت (بيضاء) فى صناديق الانتخابات!

ومع ذلك لم يكن رئيس الوزراء يصدق أن تصل المقاطعة إلى هذا الحد، فلقد كان على اقتناع أن عرب إسرائيل سوف يتغلبون على غضبتهم وسينتهى بهم الأمر بأن لاخيار أمامهم سوى التصويت لصالحه... وكان بيريز يردد قائلاً... «أن ترك البطاقات بيضاء يعنى كارثة وكل بطاقة بيضاء تعنى صوتاً لنيتنياهو!! وفوز نيتنياهو يعنى تراجعاً لعملية السلام ونهاية لمحاولة إدماج العرب فى المجتمع الإسرائيلى!!.. ثم يستطرد فيقول... إن معاقبتى تعنى عقاب ذاتى لهم!... ومع ذلك فإن وزير السياحة أورى بارام لايشارك شيمون بيريز فى تفاؤله! ويقول: إن بيريز لم يقدر مشاعر غضب العرب حق قدرها ويعتقد واهماً أنهم فى جيبه وطوع بنانه وأنه يبدى اهتماماً أكثر بالأوساط الدينية المعتدلة... ويصرح واحد من النواب الشيوعيين العرب «هاشم محاميد»: إن بيريز يكافح دون أمل وبلا جدوى لخفض حدة الخلافات بين اليمين واليسار ويرفض منح العرب مايستحقون من عنايته وبذلك يهمل دروس التاريخ!!

ويوم الانتخاب أحجم العرب عن الإدلاء بأصواتهم وفى منتصف نهار يوم الانتخاب أسرع بيريز بإيفاد وزرائه لزيارة القرى العربية لإقناع السكان بأهمية التوجه إلى مقار صناديق الانتخاب ولكن هذه المساعى لم تحقق سوى نجاحاً بسيطاً لايذكر، وأثناء عملية فرز الأصوات وجدت عشرات الآلاف من البطاقات بيضاء!... ليسهم العرب فى هزيمة بيريز.... فكان ذلك تعبيراً عن احتجاجهم.. وكان احتجاجاً ليس له مثيل فى تاريخ إسرائيل!

مخاطر... الاعتذار:

ومرة أخرى يفشل شيمون بيريز - فقط ببضعة آلاف من الأصوات وهذه الهزيمة لم تتح له أية راحة خصوصاً وأنه ليس هناك مايبررها وغير مفهومه!... وماكان أشد إيلاماً

الاعتراف بها، وأن العرب ذوى الأصول المغربية من شمال أفريقيا يعاقبونه مرة أخرى على الرغم من أنه يتمتع بصداقات وإعجاب الكثير من زعمائهم بين اليهود ذوى الأعراق المغربية ومن بينهم زعيم حزب شاس الدينى أرييه ديرى ARIE DERY فيستفهم بيريز منه عن دوافع هذا التحول؟ فيرد ديرى عليه بقوله: «المغاربة لايحبونك لأنهم ليسوا مستعدين لنسيان كيف استقبلهم حزب العمل بفتور وعليك أنت وحزبك طلب الصفح لأنكم حملتموهم الكثير من المعاناة إذ قطعتم أواصر دينهم ودمرتم قيمهم الروحية وعرضتموهم للإذلال الروحى والجسدى.. يجب عليك أن تقول لهم.. لقد أخطأنا فى حقكم وظلمناكم ونطالبكم بالصفح... واعلم تماماً أن المغاربة ليسوا أبداً فى جيب الليكود كما قد تعتقد بل على العكس هم أناس معتدلين وسرعان مايتسامحون، وإذا ما استمروا يصوتون لصالح الليكود فهذا رد فعل للصدمات التى عرضتموهم لها فى معسكرات «الترانسفير»! ويرفض بيريز هذه النصائح فالثمن فادح: الاعتذار علنا!.. وهذا فى حد ذاته « إهانة للرواد الذى أسسوا دولة إسرائيل»!!

الهزيمة:

فى ليلة الانتخابات، نام بيريز مطمئناً إلى فوزه، فهذا ما أسفرت عنه النتائج الأولية، ولكن عند منتصف النهار، بدا تفوق نيتنياهو واضحاً... وعندما أعلنت النتائج النهائية كانت الهزيمة فاجعة!... فهذا الوافد الجديد - الغامض - قد أزاح واحداً من أشهر الساسة الإسرائيليين... ويعيش الإسرائيليون كابوس العودة إلى زمن الحرب... وتنطلق الإشاعات لتؤكد أن شيمون بيريز بصفة شخصية على وشك الانضمام لحكومة نيتنياهو، وعزز هذه الإشاعات حقيقة يجهلها كثيرون تتلخص فى أن شيمون بيريز تربطه علاقات بعائلة نيتنياهو، إذ توطدت علاقتهما بعد وفاة ابنه الأكبر يونى YONI قائد عملية «عنتيبى» ولذا فلا مجال للدهشة من ثناء نيتنياهو على سلفه أثناء شكره كل من ساهموا فى فوزه، لتنطلق عاصفة من التصفيق المتواصل حتى من بين صفوف الذين هاجموه أثناء الحملة الانتخابية بلا هوادة لتقديره للرجل السياسى الذى يمثل فى نظرهم أكبر من شارك فى دعم قدرة إسرائيل والحفاظ على أمنها!!

وفى نهاية المطاف فإن نيتنياهو ظل مدفوعاً بوساوسه وتخوفه من هذه المسيرة التى أطلق عليها مسيرة السلام وخشية قطع أواصر تحالفاته مع المتعصبين دينياً، فقام بإفشال كل محاولات تشكيل حكومة إئتلافية!

وإذ يستبعد شيمون بيريز عن السلطة، ظل لايريد التخلى عن القيام بالأدوار الأولى، فيجند الشهرة الدولية التى تمتع بها وينشئ ما أطلق عليه «مركز السلام» ويحمل هذا المركز اسمه، ويحظى باهتمام وتقدير العديد من المعجبين بشيمون بيريز ومبادراته، ويبتعد المركز عن المجال السياسى ويقصر نشاطه على مسيرة السلام، معتقداً بأن السلام بين الشعوب يمر عبر قنوات الاقتصاد، وبخلاف الأبحاث الأكاديمية يركز المركز نشاطه حول جلب الاستثمارات للمشروعات التعاونية بين الفلسطينيين والإسرائيليين والتى تقوم بتمويلها أساساً المؤسسات الأمريكية ويرفض باراك منحه الرئاسة الشرفية للحزب فينتهى الحال بشيمون بيريز إلى الاعتراف بالأمر الواقع والانضواء تحت راية حزبه!... ثم يضطر باراك لمنحه المنصب الثانى فى القائمة التى يترأسها فى الانتخابات عام ١٩٩٩ .. إلى أن عاد وزيراً للخارجية فى حكومة الحرب التى شكلها الإرهابى «شارون»!!

الفصل الثالث

بيبى.. ميراث التعصب

نيتنياهو!

في ٢٦ مايو ١٩٩٦ **أوصل الإسرائيليون نيتنياهو إلى الحكم وبأغلبية ضئيلة جداً** عبارة عن ٣٠ ألف صوت، **لا يعرفون عنه شيئاً، عمره ٤٧ عاماً قضى منها ١٨ عاماً** في الولايات المتحدة الأمريكية **وللمرة الأولى يتولى رئاسة الوزراء الإسرائيلية** رجل ولد بعد إعلان «الدولة» عام ١٩٤٨ . ولم يكن قد مر عليه سوى ثمانية أعوام في المعركة السياسية ليستحوذ على السلطة، وبدون برنامج حقيقي للحكومة وبأفكار سياسية جامدة! لم يكن بيبي Bibi (اسم الدلع) الذي اشتهر به قد أثار بعد كل المحللين السياسين، وصعوده السياسي المفاجئ تم بعد اغتيال رابين ببضعة شهور فقط.... ومن ذا الذي كان يجرؤ على المراهنة على أن هذا «المبتدئ» يمكن أن يهزم بيريز أكبر سياسي إسرائيلي حنكةً وشهرةً على الصعيد الدولي.

وهذا في الواقع كان حدثاً جديداً في إسرائيل، إنه ثأر كَسِبَه تَجَمُّع شَاَذّ ضم المتعصبين دينياً واليهود الشرقيين والنازحين الجدد القادمين من روسيا وسكان المستعمرات وضد من ... ضد أرستقراطية حزب العمل الذي بنى دولة إسرائيل. لقد أتى نيتنياهو إلى الحكم بتزاوج بين الأقليات التي تخشى السلام وتداعياته وتخشى أن تدعم «علمانية» و«تحرر» الدولة اليهودية على أنقاض عالمها الروحي!.. ومع ذلك فإن بيبي الذي فاز بفضل مجموعات هامشية، إلا أنه لم يكن ليرضى أي من هذه المجموعات إرضاءاً تاماً، فالمتدينون يعرفون تماماً ميوله المفرطة للنساء ولطبق البيض مع لحم الخنزير! وليس سراً لأحد أن يوم كيبور

المفضل، وفى عيون سكان المستوطنات فإن الرجل الذى «رد الخليل، و«صافح» يد عرفات ليس هو الرجل القادر على استكمال المسيرة، والإسرائيليون من أصول شرقية أو روسية يبدو أنهم تبنوا خطأ سياسياً ليس من عالمهم، كما كتبت جريدة نيو يوركر أن نيتنياهو مثله مثل رونالد ريجان (اوتسايدر - دخيل) وهو لا يجهل على أى حال أن فوزه يعود إلى «تحول» عميق حدث فى المجتمع الإسرائيلى، وهكذا نجده فى أبريل ١٩٩٨ يصرح لجريدة هاآرتس Haaretz : على نمط المجتمعات الأخرى فإن المجتمع الإسرائيلى يتطور، فرموز الصفوة القدامى أبعدوا إلى هامش الأحداث والقدماء تم إقصاؤهم والجدد الأوتسايدر اليوم يحتلون منتصف الحلبة... وتبوأوا مقاليد القيادة.. إنه تطور طبيعى!

لم يكن «الآباء» المؤسسين للدولة وورثتهم قد أدركوا بعد أنهم صاروا أقلية فمشروعهم الغير واقعى فى بناء رجل يهودى جديد... نموذج أوحد لليهودى الأشكنازى... الاشتراكى ... يرتدى البنطلون الكاكى ويقطن شمال تل أبيب... هذا النموذج عفى عليه الزمن... وللفوز بالانتخابات أدرك نيتنياهو من أين يمكنه الإمساك بهذا التطور، فبينما شيمون بيريز سعيد بأن يجوب بلاد العالم، نجد يتنياهو يجوب ضواحى المهاجرين وأحياء جيتو المتطرفين والمستوطنات اليهودية فى الضفة الغربية والمدن المتنامية والحوارى البائسة فى ضواحى هذه المدن الكبيرة والمحظوظة، حيث يبشر شيمون بيريز بالعولمة وتضامن الشعوب ورؤى شرق أوسط مزدهر ينعم بالسلام! أما نيتنياهو فكان يعزف على أوتار التقاليد والهوية الإسرائيلية وبينما شيمون بيريز يجذب إليه تلك المجموعة من مواطنيه الذين يأملون فى تحقيق حياة مستقرة وهادئة مع جيرانهم، كان نيتنياهو يمتدح ويتملق مشاعر وأحاسيس «المحاصرين» ويعزو شيمون بيريز... فوز نيتنياهو منافسه بأنه فوز اليهود على الإسرائيليين!!

من هو نيتنياهو

فى نظر المراقبين والمحللين السياسيين كان نيتنياهو يمثل لغزاً!... ولكل تفسيره الخاص... فالبنسبة للمادحين بإفراط فهو يتمتع بالذكاء والشجاعة ووطنى عنيد وبعيد النظر وقارئ مستوعب أمين لأفكار الفيلسوف «كانط» والزعيم الإنجليزى تشرشل، وبعض أصدقائه لا يكفون عن التبشير بأنه فى يوم ليس ببعيد سوف يثبت بالدليل الذى لا يمكن دحضه أن

لديه المرونة السياسية والأيديولوجية بل وقادر بأكثر مما حقق بيجين على رفع التقارب مع الدول العربيـة وأنه إذا مـا ابتعدنا عن المـثاليات ومـتاهاتهـا وتمسكنا بالواقع فلاشك أنه من الضرورى فهم شخصية نيتنياهو: فهو من حيث النشأة والتكوين متأثر بالنزعة الأمريكية التى عـاش فيـهـا ردحاً من الزمن ومن والديه اكـتسب نيتنياهو نوعاً من التصلب والتشدد الأيديولوجى والشك تجاه الآخرين وثقة زائدة فى النفس تجـعله غيـر مـهيـأ تمامـاً لإجـراء تفاوض أو حوار . أمل بيبى منحصر فى رغبته الجامحة للنجاح فى أية منافسة!... ولقد تمكن من تنامى «رغبة حب الظهور» لديه وطوع علاقاته مع الآخرين لتغذية شهيته النهمة للنجاح، وزوجاته الثلاث وغيرهن يعرفن الكثير، فهو إما طلقهن أو أبعدهن أو خانهن منذ اللحظة التى يصبحن فيها بلا فائدة تحققنها له.. وهذا الثعلب النافر كثير الشكوك، المتغطرس الأنانى بوقاحة والذى قليلاً ما يهتم بالحقيقة أو يعيرها اعتباره ولكل هذا لم يجمع أصدقاء حقيقيين يتقربون إليه أو يلتفون حوله، أما بعض السياسيين وهم قليلون فسوف يتخلص منهم واحداً تلو الآخر فى الثلاث سنوات عمر مسيرته السياسية فى قمة السلطة ونجح فقط فى كسب عداء الكثير وهو أشبه بمريض البارانويا (الشكاك) إذ اعتقد أن كل الصحف الإسرائيلية تتآمر ضده وتقول عنه المجلة الأسبوعية الساخرة كول هايير Kol Hair (صوت المدينة) فهو بالإضافة إلى أنه مفلس ودائماً ما يستجدى تخفيض سعر ما يشتريه سواء سيارة ماركة تويوتا «لزوجته» أو حتى تكاليف حفل ختان ابنه!... وهو كأمريكى النزعة يصل إلى حد إثارة السخرية ويرغب فى أن تكون له شعبية كما تتضح تلك النزعة فى لغته أثناء أحاديثه التليفزيونية. وعندما يواجه ناخبيه من جماعات اليمين فهو يعرف الكلام والألفاظ التى عليه استخدامها والتى تدغدغ عقليات «الجيتو» التى عاشوا فيها، ولا يتورع عن استعراض مشاعره علناً أمام الجماهير وهو ماكر بأكثر مما هو أيديولوجى، ونيتنياهو للأسف لديه قناعة شخصية تدفعه لمواجهة العرب والإسرائيليين ذوى الاتجاهات العلمانية أو المحبين للسلام...

ومنذ اليوم الأول من فترة حكمه أظهر نيتنياهو أن ميراثه الفكرى الذى اختلط بنزوعه الأهوج فى «البقاء» السياسى ... قاده إلى نوع من المفاجآت السياسية التى لم يكن يتوقع حدوثها إلى حد اضطراره لإصدار تعهدات تلزم إسرائيل على الصعيد الدولى.. ولم يكن

مثيراً للدهشة أنه استطاع تكديس أكوام من الحماقات والأخطاء وهو يحاصر مسيرة السلام ويسد منافذها، من بين هذه الحماقات أن أصدر أوامره دون تبصر بالعواقب بشق طريق تحت أرض مدينة القدس. ومن أخطائه على الصعيد الدبلوماسى المحاولة البائسة - التى لا تصدق - لتصفية جسدية لقائد من الصف الثانى من قادة حماس... وفوق أراضى دولة الأردن وهى المحاولة التى أعادت إلى الأذهان عملية اغتيال يحيى عياش فى يناير ١٩٩٦ أثناء فترة حكم شيمون بيريز.

ومن حماقات نيتنياهو على صعيد السياسة الداخلية، وعلى سبيل المثال لا الحصر تعيين مستشار قانونى للحكومة غير معروف وليس له من شهرة سوى أنه من مشجعى فريق بيتار Betar لكرة القدم أحد فرق مدينة القدس ثم خطأ دفع ديفيد ليفى لتقديم استقالته وخسارته بفقد إسحق موردخاى وهما من حملة أعلام اليهود الشرقيين فيفقد مساندة أخلص أنصار حزب الليكود وهم السفارديم Sepharades ولم يعد الإسرائيليين فى مجموعهم يكنون له أى تقدير أو محبة، واستطلاعات الرأى تشير إلى أن حتى من ساندوه لم يعودوا يصدقونه، إلا أنهم - ولم يكونوا صادقين - وعدوه بإعادة انتخابه بعد توقيعه على اتفاقية واى بلانشتاين فى أكتوبر ١٩٩٨ والتى رأوا فيها اتجاهاً للسلام... تلك الاتفاقية التى كثيراً ما بذل الجهد المتواصل للتخلى عنها. وهذا التناقض فى التوقيع على اتفاق بنية إنكاره وعدم الالتزام به جعل أحد الصحفيين الإسرائيليين وهو إفراهام تيروش Tiroch يسخر منه فيكتب: «نحن حقاً شعباً ماشوسياً يضع قناعاً على وجهه ونيتنياهو هذا ما هو إلا واحد من أكبر السياسيين يتمتع بمقدرة سحرية عجيبة تبز كل القواعد والأعراف بل وكل منطق... ولحل هذا اللغز يجب التحفظ ومعرفة أن نيتنياهو لديه قدرة فائقة فى «التسويق» فليس معنى أن يكون من أسوأ رؤساء الوزارات أن يصبح أسوأ المرشحين، فالرجل يمتلك فى جرابه أكثر من حيلة وهو بلاشك قادر على الإتيان بمعجزة على الرغم من ضغوط الرئيس بل كلينتون... وذلك بفضل ما يقوم به المتعصبون اليهود والعرب»!!!

وهذه الظاهرة الخرافية: نيتنياهو الساحر.... سقطت بعد ذلك بثلاث سنوات، ليصبح معروفاً بأنه أقل رؤساء الوزراء عمراً فى الحياة البرلمانية وفى تاريخ إسرائيل منذ نشأتها!!!

آل نيتنياهو وميراث التعصب!

اشتهرت عائلة نيتنياهو بحماسها لأفكار الصهيونية... وهناك ثلاث شخصيات كان لهم أثر كبير في حياة نيتنياهو وهم: جده ووالده ثم شقيقه الأكبر، وكل واحد من هؤلاء ساهم في تشكيل أفكاره وشخصيته، والثلاثة من المبشرين بنذر الثورة والثورة المضادة أسهموا في تكوين شخصية نيتنياهو ليصبح صهيوني نقي شديد القسوة تمازجت شخصيته مع البراجماتية الأنجلوساكسونية (الواقعية) خلال السنوات الطويلة التي قضاها في الولايات المتحدة الأمريكية واستطاع «بيبي» التخفف من حدة وتصلب أفكار العائلة الأيديولوجية، ويسمي منافسوه هذا الاتجاه نوعاً من الانتهازية وأنصاره يسمونه نوعاً من المرونة، وجده الأكبر ناثان ميليكوفسكي Milikovski من سلالة جاؤن دي فيلنا ولد عام ١٨٨٠ في كاريبو وهي إحدى قرى لتوانيا وبعد دراسة التلمود في بولونيا تم ترسيمه حاخاماً في سن الثامنة عشر من عمره ويشتعل حماساً لأفكار هرتزل ويرى فيه تجسيداً للمسيح المنتظر ويصبح ناثان من أقدرالمبشرين والدعاة الصهاينة من بولونيا حتى سيبيريا عبر روسيا، ثم انضم لصهاينة روسيا وأوروبا الشرقية بزعامة زيف جابوتنسكي ضد المشروع الذي كان هرتزل قد باركه في وقت من الأوقات والخاص بإنشاء وطن قومي لليهود في أوغندا ويرى في هذا المشروع خيانة لا تغتفر بعد قرون من الوفاء لصهيون! ومنذ ذلك العهد مال آل نيتنياهو إلى التشدد واكتسبوا تلك النزعة للتشبث والعناد، ويستقر الحاخام الشاب في مدينة وارسو حتى عام ١٩٠٨ حيث كان يدير المعهد العبري وفي عام ١٩١٠ ولد أول أولاد ناثان الثمانية وهو بنزيون Bension والد نيتنياهو، وقد حصل ناثان على تعليم وتربية صهيونية قاسية ولا يتحدث في المنزل سوى باللغة العبرية. ويهاجر ناثان في عام ١٩٢٠ مع عائلته نازحاً إلى فلسطين وفي عام ١٩٢٢ يعين مديراً لصندوق جمع التبرعات في القدس واعتباراً من عام ١٩٢٥ وهو العام الذي غير فيه اسمه إلى العبرية متخذاً لقب «نيتنياهو» قام بعدة رحلات إلى الولايات المتحدة وعندما عاد إلى القدس ليستقر فيها نهائياً فإذ به يشعر بالمرارة وخيبة الأمل لفشله في الحصول على ترقية يشعر بأنه يستحقها تماماً، وتنشأ لديه مشاعر أخرى من الغل والضغينة ضد المؤسسة الصهيونية اليسارية ويصفها بأنها الجهة التي اضطهدته وعذبته!! وفي عام ١٩٣٥ في هرتزليا تنتهي حياة ناثان عن عمر يناهز الـ ٥٤ عاماً.

ووفاءاً لأفكار والده فإن الابن الأكبر المولود باسم بنزيون ينضم منذ ١٩٢٨ إلى زيف جابوتنسكى الذى كان قد أسس الحركة التصحيحة والتى تعارض معارضة شديدة سياسة «التوفيق» التى يصفها بـ «الانهزامية» ويتبناها زعماء المنظمة العالمية بن جوريون ووايزمان تجاه الإنجليز والعرب... والحزب الجديد يعارض بصفة خاصة كل فكرة لتقسيم فلسطين مطالباً بحق الشعب اليهودى للسيادة على ضفتى نهر الأردن، وينادى جابوتنسكى بضرورة الكفاح المسلح حتى الهدف، أما بنزيون فقد فضل دراسة اللغة اللاتينية والتاريخ فى الجامعة العبرية بالقدس. وعند انتهاء دراسته حاول الحصول على منصب أستاذ ويقابل طلبه بالرفض فالجامعة ليس بها سوى بضعة مئات من الطلبة وكعادة متأصلة فى العائلة يعتبر رفض الجامعة نوعاً من الاضطهاد السياسى ولذلك يهاجر عام ١٩٣٩ متجهاً إلى نيويورك ويصبح سكرتيراً لجابوتنسكى المحرم عليه الإقامة فى فلسطين بأمر من الإنجليز!.

وعلى أثر وفاة سيده عام ١٩٤٠ وشعوره بأنه وريثه الروحى فيقوم بالأشراف على مكتب حركة بيتار betar (منظمة الشباب اليهودى من اليمين المتطرف) فى نيويورك.. إلا أن كثيرين من الورثة ظهروا على المسرح ومنهم من كان فى فلسطين وعلى رأسهم مناحم بيجين فتنشأ منظمة إيتسيل Etsel (منظمة الأرجون زفاى ليومى) ومعناها المنظمة الوطنية العسكرية وتبدأ هذه المنظمة فى عملياتها الإرهابية ضد الإنجليز والعرب وفى عام ١٩٤٤ يتزوج بنزيون فتاة يهودية من فلسطين كان قد تعرف عليها أثناء دراسته فى القدس وهى أيضاً من أعضاء الحركة التصحيحية وتدعى «تسيلا سيجال» كانت قد جاءت إلى نيويورك لاستكمال درجة الدكتوراة فى القانون بعد زواج فاشل وفى ١٩٤٦ يولد أول ابن لهما: جوناثان واسم الدلع «يونى» ولم تعد العائلة إلى البلاد إلا بعد إعلان إنشاء دولة إسرائيل، وسنوات الهجرة الطويلة هذه فصلت بنزيون عن الحقائق السياسية السائدة فى البلاد ويستقر بنزيون فى القدس إلا أنه لم يستطع الانسجام مع «حيروت Herout» وهو الحزب الذى خلف منظمة إيتسيل Etsel، إذ يجعل من نفسه الوريث الشرعى الوحيد للحركة التصحيحية إنه يعتبر بيجين مخادع مبتذل، ويفشل مرة أخرى فى الحصول على منصب بين هيئة أساتذة الجامعة العبرية فى القدس بسبب آرائه السياسية المتطرفة إلا أنه يساهم فى مشروع ثقافى ضخم (دائرة المعارف العبرية) ومشروع آخر للنشر يهدف للتعرف بمساهمات اليهود فى

ويحل ضيف جديد بالعائلة يوم ٢١ أكتوبر ١٩٤٩ بمولد بنيامين فى تل أبيب ثم فى عام ١٩٥٢ رزق بمولود ثالث وآخر الذكور «إيدو Ido» والأولاد الثلاثة يقضون طفولة سعيدة فى القدس على الرغم مما اعتراها أحياناً من تقشف!... فشبح الأب مازال يخيم، وعلى الرغم من أن عائلة نيتنياهو ليست غنية إلا أنها كانت تعيش حياة أعلى من المستوى المتوسط الذى يعيش فيه سكان المدن الإسرائيلية ويترك بيبى ذكرى الصبى المجتهد فى دروسه والأكثر نضجاً من أقرانه وميله منذ الصغر للتفوق دفعه ليكون الأول على فصله فى كثير من الأحيان، وفى عام ١٩٦٢ ينتابه السأم من أن لا أحد فى إسرائيل يقدره حق قدره... فيهاجر وللمرة الثانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وهناك ينتهى من تأليف كتابه عن «أصول محاكم التفتيش فى إسبانيا خلال القرن الخامس عشر» ويقارن معاناة «الإسبان» بما عاناه اليهود من اضطهاد ومذابح!.. وهكذا عاش يونى وبنيامين وإيدو فى إطار محكم، حلقات شعب منعزل لمدة أكثر من خمسة آلاف عام. وورث بنيامين عن والده الرؤية المانوية للدنيا (أتباع مانى الفارسى صاحب عقيدة الصراع بين النور والظلام) ومثل والده فهو يشعر بحقد تجاه اليسار الصهيونى الشبيه بالاتجاه البلشفى، ولا يخفى عداؤه نحو القدس التى يتهمها بأنها المدينة التى عارضت واضطهدت الحركة التصحيحية، والهجرة للولايات المتحدة التى كانت أشبه بالإبعاد الاضطرارى بسبب «التعنت الجامعى» أضافت سبباً آخر للمرارة التى تعتلج فى أعماقه... فبعيداً عن إسرائيل يعيش الأولاد فى حنين لصهيون!!!

ويتحمل بيبى النفى إلى أمريكا بأفضل مما تحمل شقيقه يونى ويتم فترة دراسة ممتازة مندمجاً مع أقرانه بشكل مثير. وعلى عكس الشباب الأمريكى من سنه فهو من أشد المؤيدين للتدخل الأمريكى فى فيتنام ويعتبر هذا التدخل أشبه بحرب صليبية ضد الشيوعية، كما يرى فى حركة «الهيبيز» علامة على انحلال وتفسخ خطير ينزلق الغرب نحوه أما الابن الأكبر يوناثان فهو فخر العائلة وأمه تسيلا مقتنعة اقتناعاً تاماً أنه سيصبح يوماً ما رئيس أركان حرب التساحال (جيش الدفاع الإسرائيلى) وسيؤدى خدمته العسكرية فى أقوى وحدات الجيش «الكوماندوز»!

وعاماً بعد عام يكرس «بيبى» أوقات فراغه المدرسية فى أعمال متناثرة تتيح له تمويل

مصاريف إجازاته التى يقضيها فى إسرائيل حيث يشعر بأنه فى بيته وفى عام ١٩٦٧ عشية حرب الأيام الستة يتقدم لتأدية خدمته العسكرية تاركاً انطباع الجندى المنظم المنفذ لواجباته العسكرية حتى خلال أدق العمليات التى يكلف بها، وفى عام ١٩٦٨ يشارك فى عملية تدمير طائرات مدنية لبنانية فى مطار بيروت وكاد أن يغرق أثناء حرب الاستنزاف فى مياه قناة السويس بعد القيام بعملية ليلية خلف الخطوط المصرية، وفى عام ١٩٧٢ بينما يستعد لترك الجيش بعد انتهاء مدة خدمته العسكرية يدعى ليشارك فى تحرير رهائن طائرة شركة سابينا التى قام باختطافها أحد قوات الكوماندوز الفلسطينيين فوق أرض مطار اللد، وتمكن بعد التخفى فى زى أحد العمال الميكانيكيين من الدخول إلى الطائرة، وأصيب بجرح أثناء العملية وعلى الرغم من أن بنيامين نيتنياهو لم يكن يخطط أبداً للسير فى الخدمة العسكرية إلا أنه واصل دراسته فى دورات خاصة تخرج منها برتبة ضابط، وخلال حرب «كيبور» يرقى إلى رتبة نقيب لأنه طار بطائرته ليقاتل بينما كان فى ذلك الوقت يدرس فى الولايات المتحدة الأمريكية ووصفه رؤساؤه بأنه الضابط اللامع دائماً فلم يحدث أن عاد من مهمة كلف بها إلا بعد إنهائها بأفضل ما يكون الأداء!

وفى عام ١٩٧٢ يتم تسريحه ويعود إلى الولايات المتحدة ليعيش مع عائلته ويلتحق بجامعة بوسطن حيث يتم دراسته فى الهندسة المعمارية فى زمن قياسى ويدرك أنه أخطأ المسيرة فيعود لدراسة علوم الإدارة وأيضاً يتفوق فيها، ثم يلتحق بعد ذلك بجامعة هارفارد لدراسة العلوم السياسية وتصاحبه إلى بوسطن صديقة طفولته ميكى وايزمان والتى ستصبح أولى زوجاته، وهناك فى بوسطن أعد رسالة للدكتوراة فى الكيمياء وأثناء دراسته تميز نيتنياهو بنشاطاته فى الأوساط الصهيونية فى الساحل الشرقى للولايات المتحدة ويشارك مشاركة فعالة فى مناوءة الدعاية التى يقوم بها الطلبة العرب وبالذات فى مدينة بوسطن، وقنصل إسرائيل فى تلك الفترة السيدة كوليت إفتيال لم تكن تشاركه أفكاره بتحيزه نحو اليمين المتطرف، والسيدة كوليت أصبحت فيما بعد إحدى نائبات حزب العمل وبرغم خلافهما فإنها كثيراً ما كانت تلجأ إليه ولخدماته كمحاضر أو محاور أمام العناصر العربية المدربة. ويلتحق بخدمة إحدى الشركات المشهورة بتقديم النصائح الاقتصادية وهى شركة بوسطن كونستبلتج جروب، إلا أنه سرعان ما يتغير مجرى حياته ففى عام ١٩٧٦ عندما

انتقد رابين بشدة المنظمات الفلسطينية فيقوم بإعداد خطة جريئة لإنقاذ طائرة إير فرانس التى اختطفها أحد الفدائيين الفلسطينيين فوق مطار عنتيبى بأوغندا إلا أن قائد العملية فقد حياته هناك: يونى الأخ الذى كثيراً ما كان موضع تبجيل وتقدير والمخطط له أن يكون أحد ضباط جيش الدفاع المرموقين والذين يبشرون بمستقبل باهر!... إلا أن الفجيعة كانت أشد قسوة على أفراد العائلة التى قررت أن مكانها بكل تأكيد فى إسرائيل فيسارع الأب والأم بالرحيل عام ١٩٧٧ إلى القدس وهو عام تاريخى حيث ولأول مرة فى تاريخ البلاد القصير يصل مناحم بيجين زعيم حزب حيروت إلى السلطة ولكن هذا الفوز الذى كثيراً ما انتظره التصحيحيون لم يكن ليفيد الأب بنزيون رب العائلة المتطرف والذى لايزال يعارض توقيع مناحم بيجين على معاهدة كامب ديفيد ويتهمه بأنه مخادع... ومنذ ذلك الوقت فإن آل نيتنياهو الأب والأم وضعوا آمالهم فى الانتقام فى ابنهم الثانى!!

وفى عام ١٩٧٨ ينهى بيبى حلمه الأمريكى ليعود إلى إسرائيل وبصحبته فتاة أمريكية جميلة فلورا باتس والتى كانت له معها علاقة رومانسية تنتهى بالزواج وإذ تستشعر خيانة زوجها بينما هى حامل فى ابنتهما نواه Noah فتهجره!

ويستقر رأى نيتنياهو أن يمسك بالشعلة التى سقطت مبكراً من يد شقيقه وفى حوار مع أحد أصدقائه بعد وقت قصير من مراسم دفن شقيقه قال: «إن دولة إسرائيل لا تدرى أنها فقدت الشخص الذى كان مقدراً له أن يصبح بن جوريون القادم»!!... وفى عام ١٩٧٨ يحصل نيتنياهو على وظيفة مدير تجارى فى أحد مصانع الأثاث (ريم ـ Rim) وخلال أداء مهام وظيفته كان حريصاًعلى تخليد ذكرى شقيقه الأكبر وينشئ معهداً يطلق عليه اسم معهد يونى نيتنياهو متخصص فى الأبحاث والدراسات حول الإرهاب الدولى. ويتهمه البعض باستغلال موت شقيقه كذريعة سياسية للوصول لتحقيق أهدافه!! وعلى أى حال نجح المعهد فى تخريج أول دفعة من الدراسين فى يوليو ١٩٧٩ خلال مؤتمر حضره عدد من الشخصيات البارزة فى العالم ومنهم من الولايات المتحدة الرئيس جورج بوش ووزير الخارجية جورج شولتز والسفيرة فى الأمم المتحدة چين كيليتاتريك. بالإضافة إلى أبرز الشخصيات الإسرائيلية شيمون بيريز وموشيه أرينز وإسحق رابين، ويؤلف بيبى كتاباً يوجز فيه أعمال المعهد ـ لاقى نجاحاً ملحوظاً ـ عنوانه: «الإرهاب... وكيف يستطيع الغرب

القضاء عليه»؟ وينصح الرئيس ريجان مستشاريه بقراءته!.. وفى هذه الأثناء بدا أن شبح الإرهاب قد حقق ثروة ونصراً سياسياً لبيبى... وليس هناك أدنى شك أن ولعه بالأبحاث والدراسات عن الإرهاب... قاده إلى حلم سياسى أوصله إلى قمة السلطة .... ولا ننسى أن والده رباه وعلمه أن يكون دائماً وفى كل موقع ... الأول وليس غير ذلك!!!

الاستيلاء على حزب الليكود:

لنيتنياهو حامى واحد فقط هو السفير الإسرائيلى فى واشنطون: موشيه آرينز، وكان رئيساً للجنة المعلومات الخارجية فى الكنيست وهذا الدبلوماسى كان صديقاً للعائلة ومن أتباع الأب بنزيون، وهذا الرجل يقدر مواهب وفصاحة الابن، وفى عام ١٩٨٢ يقنعه بترك وظيفته كمدير تسويق ليصبح نائباً له فى السفارة كوزير مفوض. وكان بيبى قد تزوج عشيقته فلورا الجميلة (الأمريكية) عام ١٩٨١ وأمها ليست يهودية واضطرت فلورا أن تتحول إلى الديانة اليهودية، وإذ لم تكن الحياة فى إسرائيل تروق له فقد كان لعرض موشيه أرينز وقعاً طيباً للغاية إذ سيصير دبلوماسياً وبهذا يمكن البقاء فى الولايات المتحدة مع زوجته والتى لم يرق لها تحولها للديانة اليهودية بعد مرور وقت قصير، فقد كانت تشعر أنها أجبرت على التحول بسبب الشرائع الإسرائيلية ويتسلم نيتنياهو مهام وظيفته الجديدة فى واشنطون ويحوز إعجاب مرشده وحاميه فالرجلان يتشابهان ويتبادلان التقدير والإثنان يتكلمان اللغة الإنجليزية بطلاقة ويدركان فوائد الاتصالات فى أصعب فترات التاريخ الإسرائيلى: أثناء اجتياح لبنان بخطة وضع معالمها وبمبادرة من آرييل شارون نفسه ويقوم نيتنياهو بتنمية قدراته فى المجال الإعلامى ويداوم على دراسة أساليب «الكفاح ضد الإرهاب»! وتنمو شعبيته فى الولايات المتحدة الأمريكية خاصة بين الأوساط اليهودية التى كثيراً ما كانت تتأثر بالدعايات العكسية بشأن احتمال نشوب حرب لا يدركون معناها تماماً!

وبعد عامين يقترح موشيه آرينز على صديقه إسحق شامير الذى أصبح رئيساً للوزراء تعيين بيبى سفيراً لدى الأمم المتحدة، إلا أن شخصية ذات ثقل كانت مرشحة للمنصب وهو الياكيم روبنشتاين المستشار القانونى لوزارة الخارجية وتظل الأمور معلقة إلى الانتخابات ومما يدعو للدهشة أن رئيس الحكومة الائتلافية الجديد شيمون بيريز يضغط على مرؤوسه ووزير خارجيته إسحق شامير أن يشرع فى تعيين نيتنياهو فى المنصب الذى كان يصبو إليه

ويحاول أن يبرهن له عما يتمتع به «بيبى» من مزايا وأنه من أصل نبيل! من أحسن عائلات القدس بالإضافة إلى أنه شقيق بطل «عنتيبى»!... ويستطرد قائلاً «ما أسعد الشعوب التى لديها ابن كهذا!! إذن فإن بيبى يدين لغريمه السياسى المقبل بفضل حصوله على منصبه الذى كان بمثابة سلماً ارتقاه للوصول إلى تحقيق مستقبله الزاخر المرموق!! وسرعان ما يحقق سفير إسرائيل لدى الأمم المتحدة نجاحات خلال أربعة أعوام قضاها فى المنصب من ١٩٨٤ حتى ١٩٨٨ وكان يردد دائماً بضرورة التصدى لموضوع الإرهاب.. وساهم مساهمة فعالة فى كشف النقاب عن «الماضى النازى» لمستشار النمسا كورت فالدهايم والسعى لإلغاء القرار الخاص باعتبار الصهيونية حركة عنصرية كما اشترك فى حملة لحرية هجرة يهود الاتحاد السوفييتى. وبفضل حماس نيتنياهو أمكن خفض عزلة إسرائيل، وعندما عاد إلى إسرائيل لم يعد ذلك الشخص المجهول والغير معروف سياسياً، ذلك أن الستة أعوام التى قضاها فى الولايات المتحدة واحتك خلالها بتجارب ريجان رسخت قناعاته بالتيار اليمينى، متمثلاً بالاتجاه الأمريكى المنادى بالتحرر ومعاداة الشيوعية، ارتأى بيبى مثله مثل الويسترن الأمريكى «الطيب» أن يعمل من أجل إنقاذ بلده من براثن الموت الذى يعرضه لها السياسيين والمثقفين من حزب العمل.... وهو يريد أن يتجنب الرؤية القاتمة التى أشار إليها والده: أن يوماً ما وبنذاله وجبن سيعيد العمال إلى العرب أراضى غالية دفعت فيها دماء يهودية تدفقت أنهاراً...!!

ويمضى نيتنياهو فى دعوة شعارها صهيونية نقية وصاعدة!... لابد أن تواكب بزوغ نهضة روحية تهز الشعب اليهودى كله، ويبوح لأصدقائه المقربين برغبته وطموحه فى أن يكون زعيماً لحزب الليكود وبعد ذلك رئيساً للوزراء... ولم يؤخذ ذلك مأخذ الجد... إذ من الجنون الاندفاع هكذا لغزو حزب تاريخى على قمته مجموعة من البارونات الذين يحظون بالحماية ويتمتعون بشبكة من الألقاب الشرعية تؤهلهم الواحد تلو الآخر لخلافة إسحق شامير... وجاء اليوم المرتقب!.

وزعيم حزب الليكود المخضرم إسحق شامير كان قد عنى بتحديد خليفته وتهيئته للمنصب فإذا ما جاء اليوم فسوف يخلى مكانه لواحد من كبار أمراء الحزب الذين كونهم بعناية فائقة وهم: دان ميريدور Meridor وإيهود أولمرت Olmert ورونى ميلو RonimiJo

والثلاثة أعمارهم لاتزيد عن ٤٠ عاماً وكان قد أسند إليهم وزارات هامة، ويروى موشيه كاتساف Katsav أمل السفارديم من حزب الليكود هذه النكتة التى عاشها عام ١٩٨٦ فى نيويورك فيقول: «فى إحدى زياراتى الرسمية للولايات المتحدة كنت أتناول الغذاء مع نيتنياهو الذى كان فى ذلك الوقت يشغل منصب سفيرنا لدى الأمم المتحدة، وأثناء الغذاء أبلغنى أنه ينوى ترشيح نفسه لمنصب رئيس الوزراء ولن يسحب ترشيحه إلا إذا كنت أنا مرشحاً فعندئذ يقبل أن يكون نائبى! فى البداية اعتقدت أن الأمر لا يعدو أن يكون سوى إحدى المداعبات المازحة فنيتنياهو لم يكن تجاوز الـ٤٠ عاماً بعد وليست لديه أية خبرة سياسية وكل ما كان معروفاً عنه أنه من الذين يسبغ موشيه آرينز حمايته عليهم بالإضافة إلى أنه شقيق يونى... فقط لاغير... وكدت أن أضحك من هذه «الوقاحة»! ولكن بعد أن تصفحت قسمات وجهه... أدركت أن هذا الشاب كان جاداً فيما يقول....!! وبدوره لم يجرؤ موشيه كاتساف أن يقص هذه القصة على زملائه من حزب الليكود خشية أن يسخروا منه أما نيتنياهو فكان يردد دائماً للمقربين منه أنه لن يسحب ترشيحه سوى أمام ترشيح رجل واحد... الرجل الذى أتاح له أول خطواته فى الحياة السياسية: موشيه آرينز السفير السابق لإسرائيل فى واشنطون ثم شغل منصب وزير الدفاع فى حكومة شامير... وهو يعلم أنه لايمكن أن يكون رئيساً لوزراء إسرائيل وليس له طموحات للترشيح لمثل هذا المنصب!

وتم إعداد أولى مراحل «غزو» السلطة بطريقة أدهشت كل المراقبين على الساحة السياسية ففى مايو ١٩٨٨ أجريت الانتخابات الأولية لتحديد مرشحى حزب الليكود الكنيست... وعلى غير ما كان متوقعاً تماماً وضع زعماء الحزب اسم نيتنياهو على رأس القائمة وبذلك تمكن نيتنياهو من تقدم كل من كانوا «شرعاً ومنطقاً» مرشحين لزعامة الحزب ومنهم الثلاثة المرموقين وهم بينى بيجين نجل رئيس الوزراء السابق وزعماء من أمثال دافيد ليفى وآرييل شارون أو موشيه كاتساف. ويعود هذا النجاح الأول الذى حققه نيتنياهو لأنصار الصهيونية المسيطرة... الذين يتكلمون العبرية بلكنة عربية وليس بلكنة اليديش Yiddish!.. الذين يتألفون من شراذم المهاجرين من الدول الإسلامية.. هؤلاء الذين لن يكونوا أبداً مثل جيل الصابرا Sabra وكان ترشيح نيتنياهو أشبه بالصاعقة، فلا يعدو أن يكون الشاب صناعة هوليوود الذى يثير سخرية قادة الحزب!... وفى مواجهة التكنوقراطيين أو

قدامى حزب الليكود «المستهلكين» فإن بيبى يسطع كأحد النجوم.. فهو شاب أنيق يمتلئ بالحيوية ومتزوج من أمريكية ثرية ومعروف بظهوره عدة مرات على شاشات تليفزيون الولايات المتحدة الأمريكية يتحدث اللغة الإنجليزية واللغة العبرية بطلاقة وأثبت نجاحه فى الولايات المتحدة وفى إسرائيل... ويصبح نيتنياهو الرجل الذى سيحل عقدة اليمين العجوز «ويهب له بطلاً... طال الأمل فى انتظاره»!... فيدفع نيتنياهو بكل قواه فى أتون المعركة الانتخابية التى بدأت فى نوفمبر ١٩٨٨ وترشحه استطلاعات الرأى لقيادة حزب الليكود، و يستدعى خبراء أمريكيين إلا أن ساعة الجائزة لم تحن بعد.. وعندما قام إسحق شامير بتأليف حكومة ائتلافية لم يتسرع بمنحه منصب وزارى برغم الضغوط التى مورست عليه وقال... إنه لازال صغيراً!!

وعلى أى حال فقد تمكن حاميه موشيه آرينز أن ينتزع من شامير موافقته على تعيين نيتنياهو نائباً له فى وزارة الخارجية مسئولاً عن الاستعلامات وهى تخصصه بامتياز وعند تصدع الحكومة الائتلافية فى يونية ١٩٩٠ يغادر موشيه آرينز وزراة الخارجية إلى وزارة الدفاع... وقد أراد آرينز أن يأخذه معه إلا أنه تركه بناء على طلب شامير ليبقى مع دافيد ليفى حيث أراد شامير مساندة ليفى فى نقطة ضعفه... الاتصال بوسائل الإعلام العالمية، وبالفعل ينجح نيتنياهو نجاحاً باهراً وهو يشرح موقف إسرائيل الحساس خلال حرب الخليج وهو يرتدى القناع الواقى من الغازات أمام رجال الصحافة والوكالات العالمية!... وإذيعلن نفسه متحدثاً رسمياً لإسرائيل فسرعان ما أثار حقد دافيد ليفى وتدهورت العلاقة بين الرجلين مما حدا بشامير بنقله إلى منصب مساعد وزير بمكتب رئيس الوزراء كمسئول إعلامى وبهذه الصفة اصطحبه شامير فى مؤتمر مدريد فى أكتوبر عام ١٩٩١ ومرة أخرى برز نيتنياهو أمام الصحافة الدولية ويسرق الأضواء من دافيد ليفى وزير الشئون الخارجية وإذ يغضب دافيد ليفى من رئيس الوزراء الذى أخذ نيتنياهو معه فى مؤتمر مدريد فيرفض السفر مع إسحق شامير تاركاً المسرح شاغراً يلعب نيتنياهو عليه بحرية تامة، ومرة أخرى وربما بطريقة لا إرادية يقدم حزب العمل دعماً جديداً لنيتنياهو وذلك عندما تقدم حزب العمل للكنيست بمشروع تعديل طريقة انتخاب رئيس الوزراء، إذ أن المتبع منذ إعلان الدولة إجراء اقتراع نسبى شامل على المستوى الوطنى، ومن يتزعم الحزب الفائز يصبح أوتوماتيكياً

رئيساً للوزراء. وهذا الإجراء كان من شأنه ضمان هيمنة الأحزاب على المرشحين، وهى التى يعود إليها إعداد القوائم ثم إسناد المناصب ، ومنذ عام ١٩٩٠ كافح مشرعون بارزون لتعديل الإجراء والنظام القائم إلى تعديل يقضى بمنح أهمية غير محدودة لأحزاب «ثانوية» هامشية تعد أصواتها تتممة لا يمكن الاحتيال عليها قانوناً لتشكيل الحكومة أو لتمرير مشروعات القوانين، ويأخذ حزب العمل على عاتقه تمرير مشروع قانون لا يغير شيئاً من طريقة انتخاب النواب وإنما يضيف إليه تعيين رئيس الوزراء بالانتخاب العام «المباشر» ويعارض حزب الليكود بشدة هذا التعديل المقترح حيث أن إسحق شامير كان يرى فيه إضعافاً إيديولوجياً للحزب، وبصفة خاصة كان لا يحبذ انتخاب إسحق رابين والذى كان فى ذلك الوقت أكبر زعيم شعبى فى إسرائيل، وبسرعة يرى نيتنياهو المكسب الشخصى الذى يمكن أن يجنيه من مشروع القانون المعروض... الذى يتعارض مع اتجاه حزب الليكود... حزبه!! ويحاول كل من حماته الإثنين آرينز وشامير إقناعه بالعدول عن موقفه واحترام نظام ورأى الحزب، وكان شامير بالذات يدرك بزوغ نجم نيتنياهو... الذى كان قد أصبح يتمتع بشعبية ويتمثل نفسه كرئيس أمريكى، فهو يفضل أن ينشئ فى إسرائيل نظاماً رئاسياً لا تكون الأحزاب فيه سوى آلات انتخابية فى خدمة المرشح وتتوارى من المسرح السياسى متى انتهت العملية الانتخابية... ولا يتورع نيتنياهو فى ضم صوته إلى أصوات حزب العمل... أى اليسار بمعنى آخر!... ويتم إقرار المشروع بقانون ولكن لن يدخل حيز التنفيذ إلا فى عام ١٩٩٦ ولا يوقع حزب الليكود عقاباً على هذا الشاب المنشق!... وفى عام ١٩٩٢ حدثت هزيمة حزب الليكود وهذه الهزيمة هيأت بدورها فرص جدية لتسلق آخر درجات السلم... إلى مقعد زعامة الحزب، ولم يكد إسحق شامير يعلن عن انسحابه من الحياة السياسية حتى يسارع «بيبى» قبل أى واحد آخر ويتقدم لترشيح نفسه لزعامة الحزب. وكان دافيد ليفى فى ذلك الوقت يعتقد أن وراثة زعامة الحزب معقودة له فهو بطل قضية السفارديم، ولذا فقد واجه بازدراء واحتقار سرعة تقدم هذا الشاب لترشيح نفسه فهو يراه سياسياً لا يتمتع بخبرة كافية... واختار كل من دان ميريدور وإيهود أولمرت ورونى ميلو تقديم رجل يحمل اسماً رناناً ساحراً هو بينى بيجين ويتقدم للترشيح كذلك موشيه كاتساف ويختار نيتنياهو اتباع سياسة استراتيجية، فيها الكثير من العنف ولوضعها موضع التنفيذ وقع اختياره على أفيجدور ليبرمان... هذا العملاق بأفكاره المتطرفة ووسائله المتعجلة دائماً وأصله الروسى وكانوا

يطلقون عليه: السيد كى جى بى (المخابرات الروسية) ولم تكن الأموال تنقص نيتنياهو فالدعم يأتيه من أمريكا أساساً وأيضاً من جانب التجمع الروسى الذى وصل فجأة إلى درجة من الثراء الغريب، ويبدأ فى تلقى الدعم المالى من اليهود الأمريكيين من أنصار الاتجاه اليمينى والذين يعارضون أى تنازل للعرب، والأكثر شهرة من بينهم «رابين ماتيوز» الذى ظل يستثمر ملايين الدولارات لا أحد يعرف مصدرها فى شراء منازل العرب فى الخليل والحى القديم بمدينة القدس، ورون لودر وريث إمبراطورية إليزابيث إردن لصناعة أدوات الزينة الشهيرة، ومارفن جوزينسون وهو من أكبر الناشرين العالميين وتظل الأموال الروسية مجهولة المصدر!... وكل هذه الملايين المتدفقة ساعدت «بيبى» لإزاحة «المحاربين القدامى» الذين كانوا يساندون ترشيح بينى بيجين «الأشكنازى»، أما جماعة السفارديم فهم فى جانب دافيد ليفى، ويعرف كل من نيتنياهو ومساعدة ليبرمان، أن أخطر المنافسين هو دافيد ليفى فيبدأون فى شن حملة هجومية عليه على جبهتين: الأولى سياسية فوق أراضيه وهى المدن النامية وأحياء المدن الكبرى والجبهة الثانية جبهة شخصية تعتمد على قضية شخصية كان ممكناً أن تكون مدمرة، ويبدو فيها بيبى كأنه ضحية مناورة دعائية مقززة من جانب منافسه تبعده نهائياً عن المسرح السياسى الإسرائيلى. ففى عام ١٩٨٨ قبلت فلورا (زوجة بيبى وقتئذ) العودة إلى إسرائيل بصحبة زوجها إلا أن الأمور بينهما ظلت متوترة وأصبح الطلاق حتمياً ولامفر منه والبعض يعزو هذا التوتر بين الزوجين وفشل حياتهما الزوجية لا إلى خيانة «بيبى» أو حتى لوقاحته المعهودة وإنما فقط بسبب أن فلورا التى لا تجيد التحدث بالعبرية ولا تبذل أى جهد لتبدو إسرائيلية المظهر سوف تكون عبئاً عليه أثناء حملته الانتخابية ولذلك تم طلاقهما!!!

وفى عام ١٩٩١ اقترن نيتنياهو بزوجته الحالية سارة بعد أن حملت منه قبل الزواج رسمياً بعدة شهور وهى من عائلة أرثوذكسية بالقرب من حيفا وتعد ثالث زوجة لنيتنياهو وهى تميل للسيطرة ومن واقع نشأتها فهى سيكولوجيا - من النوع الذى يقال عنه «امرأة قوية»! وبعد وقت قصير نشأت بينه وبين روث بار علاقة أثارت فضيحة مدوية فهى مستشارة سياسية مكلفة بتلميع صورة رئيس الوزراء القادم. وفى يناير ١٩٩٣ يبلغ أحد الصحفيين المجهولين «سارة» بوجود هذه العلاقة بين زوجها وروث وفى محاولة «بيبى» لوأد هذه الفضيحة يعترف علناً فى التليفزيون بارتكابه الخيانة والزنا!... ويقول: «ربما تم

تصويره فى وضع مشين جعله عرضة لحملة تشهير تهدده بالانسحاب من المعركة الانتخابية إذا تم عرض شريط الفيديو! ويتهم دون ذكر اسم دافيد ليفى بأنه وراء هذه الحملة لأنه ينافسه... ولم يعثر البوليس على أى أثر لهذا الفيلم! ويقدم نيتنياهو اعتذاره إلى دافيد ليفى الذى سيكون وزيراً للخارجية فى حكومته فيما بعد!... وهذه الفضيحة التى أطلق عليها «بيبى جيت» لن تكون لها آثار مدمرة بسبب ضعف منافسيه ومنذ تلك الواقعة وزوجته سارة لا تفارقه!... ففى جميع المناسبات ترى بجواره ولا يعرف ما إذا كانت تعاونه أم تراقبه!.... مالم يكن هو صاحب هذا التواجد لتفادى وقوع ما يعكر صفو زواجه وهو فى جميع المناسبات يرى بجواره ولديه، وألسنة الإسرائيليين اللاذعة والتى كثيراً ما تذيع المساوئ تقول أن نيتنياهو نظراً لإقامته الطويلة فى الولايات المتحدة الأمريكية تدفعه للتشبه برئيسها بيل كلينتون فى «علاقاته العاطفية»!!.

وحققت الأموال الأمريكية وأموال الروس النازحين الجدد المعجزات، فبفضل تدفق هذا الدعم المالى بدت حملته الانتخابية أشبه بحملات الانتخابات تحقق أهدافها لدى العناصر الحزبية الذين أذلتهم الهزيمة فى انتخابات عام ١٩٩٢ والذين اتهموا جماعات معينة فى أوساط الحزب بإثارتهم للدسائس والمناورات الخفية، ويصبح نيتنياهو تلقائياً بمثابة «المنقذ»!... ويروى موشيه كاتساف بتقزز فيقول: «بدا بيبى فى عيون زعماء الحزب الرجل الذى يضمن لهم العودة للإمساك بزمام السلطة.... لقد صدقوه!! وكان من الأفضل لهم أن يسألوا أنفسهم قبل التصويت لصالحه ما إذا كان رجلاً يمكن تصديق وعوده، مستقيم ويمكن الاعتماد عليه «وهل يمتلك أيديولوجية واضحة... ولكنى كنت ساذجاً لأنهم كانوا أشبه بمن يشترى البضاعة قبل فحصها واقتنعوا خطأ أنه سيجلب لهم الفوز»، وتمت انتخابات رئاسة الحزب فى ٢٤ مارس ١٩٩٣ وفاز بها نيتنياهو بنسبة ٥٢٪ مقابل ٢٦٪ لدافيد و١٦٪ لبينى بيجين و٦٪ لكاتساف، ويعلق دافيد ليفى على هذه النتيجة بمرارة فيقول: كيف لى أن أكون الرجل الثانى فى حزب الليكود؟!!... كيف يمكننى متابعة مغامر خطير فى خطواته؟! أنا لم أهاجر إلى إسرائيل وأربى فيها أولادى وأحفادى ليدفع بهم هذا «النيتنياهو» إلى أتون الحرب!!.. فإذا ما وقعت المأساة وانتخب هذا الرجل فإنه سيقودنا إلى حرب جديدة مع العرب.. إنه بلا ضمير وغير مسئول... إن مجرد أن يصبح نيتنياهو رئيساً للحكومة جدير

بأن لاينام مواطن إسرائيلى واحد مرتاحاً!!

وفور فوزه برئاسة الحزب يعين نيتنياهو صديقه المخلص ليبرمان سكرتيراً عامّ للحزب بهدف إخضاع الحزب ليصبح أداة انتخابية مطيعة!!

ويشرع الرجلين فى مراجعة أموال الحزب بهدف تنميتها لتواكب العصر! وكان الهدف معروفاً للجميع، فمع مساعد مخلص كليبرمان لم يكن بيبى فى حاجة إلى النظر أو رقابة الوسائل المستخدمة!

ويبدأ نيتنياهو مسيرته فى سباق الانتخابات الرئاسية للبلاد وهو مكبل بعائق شخصى بسبب زيجاته الثلاثة بالإضافة إلى مغامراته العاطفية الطائشة، والتى تتضمن المجون السافر والخفى وكلها لاتشكل نموذجاً طيباً ومقبولاً لدى كثير من اليهود!.. إلا أن نيتنياهو نال قبول المتعصبين دينياً بسبب زواجه الأخير، فصهره من سكان مستعمرة «كريات اربا» كواحد من قبائل الهاريديم ونيتنياهو أدرك منذ افتضاح موضوع شريط الفيديو الذى مس حياته الشخصية أنه لن يستطيع إشباع طموحاته السياسية دون أن يبوح بذنوبه الجنسية كما تقضى الشرائع الحاخامية اليهودية، ولهذا فهو فى سبيل طلب الغفران يواظب على حضور جلسات إحدى المدراس الدينية «ييشيفا Yeshiva ولا تفوته جلسة واحدة من جلسات الاعترافات بالذنوب الـ Mia Culpa وتلك المواقف من جانبه كانت تفوح منها الانتهازية ذات العيار الثقيل ويردد: يسعدنى أن أتقابل مع الحاخامات فهم يعلمون الحقيقة... ويعرفون أننى أقبلت على التوبة وندمت ندماً مخلصاً على ماسببته لزوجتى ولأولادى، ولم تكن كل هذه التصرفات تطهيراً لروحه إذ تمكن بها من إقناع أصدقائه الجدد الأرثوذكسيين بأنه يشاركهم آلامهم أمام حملة «اللاهودنة» الإسرائيلية التى يبشر بها اليسار!! ولم يحدث قط من قبل أن حاز على مثل هذا المديح أحزاب مثل حزب المفدال Mafdal الحزب الدينى الوطنى وحزب شاس Shass حزب السفارديم الدينى وحزبى يهودوت هاتوراه Y.Hatorah .

ومنذ هذه المرحلة وقبل اغتيال رابين بوقت طويل، عقد نيتنياهو تحالفاً سرياً مع المتدينين المتطرفين مرتكزاً على مساندة صهره عضو إحدى المستوطنات الأرثوذكسية، وبالتدريج يفرض نفسه كخليفة لرابين متتبعاً نفس خطواته بل يتفوق عليه أحياناً والأوساط اليسارية (حزب العمل) لاتخفى قلقها... فجائزة نوبل للسلام الممنوحة لكل من رابين

وبيريز لا يمكن أن تجفف دماء ضحايا الانفجارات فى تل أبيب ولا تهدئ من ثورة غضب المتظاهرين من أتباع اليمين ضد اتفاقيات السلام!

الدكتاتوريات المجاورة!!

من وجهة نظر نيتنياهو فإن جوهر الصراع يكمن فى رفض الدول العربية بحق وجود إسرائيل. ويرى نيتنياهو أن حلم حزب العمل فى شرق أوسط ترفرف عليه أعلام السلام وتتدفق عليه رؤوس الأموال والاستثمارات فى حرية: ما هو سوى تخيلات وردية وأوهام خاصة فى محيط تسيطر عليه الدكتاتوريات المجاورة، والمشكلة رقم واحد فى المنطقة ليست هى الصراع العنيف من جانب العالم العربى - الإسلامى ضد الصهيونية وإنما ارتقاء هذا العالم إلى «العصرية»! ويرى نيتنياهو أن كل سلام يوقع مع أنظمة حكم دكتاتورية هو اتفاق هش طالما أن الدول العربية لم تصبح بعد نظماً ديمقراطية!... فالسلام فى الشرق الأوسط لا يمكن أن يرتكز سوى على الردع «المتوازن»... أى قوة ردع تملكها إسرائيل.... إسرائيل الكبرى!... ولكن المنعطف حاد... ومعقد!

والتغيير الذى طرأ على نيتنياهو لن يثير دهشة أحد إنما سيفاجئ الجميع، فبدون استشارة أحد من حزبه ها هو زعيم الحزب يتحدث بلهجة جديدة فلم يعد يثير موضوع إسرائيل الكبرى، هذا الحلم المقدس، ولم يعد يرفض «تماماً» اتفاقيات أوسلو ولم يعد يصفها بالخطر القاتل على البلاد كما كان يحلو له وصفها، ولكنه يقترح إدخال بعض التعديلات فى التطبيق لتحقيق مصالح إسرائيل ليبدو أكثر تصلباً من حزب العمل وزعمائه الذين كانوا على استعداد للتنازل عن كل شىء!... وإذ يشعر نيتنياهو بأن السلام مطلب شعبى فإنه يحاول «الاستحواذ عليه» لصالحه ويعد الإسرائيليين «بسلام حقيقى» ومؤكد عكس سلام اليسار المتخاذل، فيعلق أنه لن يتنازل إلا على «أدنى» حد من الأراضى مع عدم المساس بوضع مدينة القدس... العاصمة الأبدية للشعب اليهودى!... وليستبعد لو فاز فى الانتخابات أن يتقابل مع عرفات بل ويصل إلى مدى الوعد بجلاء قوات جيش الدفاع وإخلاء غزة وأريحا وكل المدن الكبرى فى يهودا والسامرة (الضفة الغربية) مما حدا بالكثيرين إلى اعتبار هذا التحول بمثابة التخلى عن حلم إسرائيل الكبرى!!

وهذه التصريحات المعتدلة لم تحظى بقبول صقور الحزب: إسحق شامير وبينى بيجين، ويقيناً فإن نيتنياهو لا يعير التفاتاً لموقف وآراء هذه الصقور فقد حول الحزب إلى أداة فى خدمة مطامعه الشخصية بمعاونة بعض المخلصين من أعوانه!!

فكرة تقسيم مدينة القدس:

منذ بداية الحملة الانتخابية لم يتورع نيتنياهو عن استخدام سلاح بتار ضد شيمون بيريز، وذلك بتوجيه الاتهام المعتاد بأنه يوافق على تقسيم مدينة القدس وهو سلاح له تأثيره على موقف شيمون بيريز ويضعفه، وفى عام ١٩٩٠ بينما يشغل منصب نائب وزير الخارجية فى حكومة شامير الائتلافية شن نيتنياهو حملة شعواء على الاقتراح الأمريكى بالسماح لسكان القدس الشرقية بانتخاب مندوبيهم ليمثلوهم فى الوفد الفلسطينى الذى سيشارك فى اجتماعات مؤتمر مدريد للسلام، لأن معنى ذلك هو أن مثل هذا السماح يعرض «وحدة المدينة للخطر» وهى المدينة المقدسة وأمام تصميم شيمون بيريز عرض هذا الاقتراح، انهارت الوزارة الائتلافية ودفن الاقتراح الأمريكى ومنذ ذلك الحين أطلق الأمريكيون على نيتنياهو «السياسى الخطير الذى لا يتراجع عن شىء بهدف تخريب عملية السلام» وتعلن وزارة الخارجية الأمريكية عن مقاطعة زياراته القادمة للولايات المتحدة، إلا أن التهديد لم يزحزح نيتنياهو عن موقفه ولم يهتز له ويقول: «ليس هناك سياسى داخل إسرائيل يفهم الأمريكيين أكثر منى ومن المسموح أحياناً معارضتهم وأنا أدرك أهمية أن تكون العلاقات الخاصة بينناعلى أحسن ما يرام، إلا أن ذلك لا يعنى أن نركع أمام الإدارة الأمريكية أو رئيسها! ومن يهددنا أو يحاول تهديدنا يمكن أن يجد نفسه فى موقف لا يحسد عليه إذ لدينا الدعم المكثف من جانب اليهود الأمريكيين... ونصيحتى للرئيس بوش ووزير خارجيته بيكر ألا يقوما بالضغط على إسرائيل إذ أن ردود الفعل يمكن أن تنقلب ضدهما، أنا لا أسعى للمواجهة ولكن يجب وضع النقاط على الحروف!!!

وأثارت دعوة شيمون بيريز بتقسيم القدس تداعيات مدمرة بالنسبة له، وتذكر بعض استطلاعات الرأى وقتئذ أن ٦٨ ٪ من الإسرائيليين أجابوا بالنفى على السؤال الذى وجه إليهم وملخصه: هل تصدقوا شيمون بيريز عندما يقول أنه لن يقبل تقسيم القدس؟... يضطرب بيريز من هذا الاتهام الذى لا أساس له ولم يكن هناك أى مأخذ على إسحق رابين الملقب بـ

«فاتح القدس»! ولذلك وطوال فترة الحملة الانتخابية ركز نيتنياهو كل هجومه على شيمون بيريز!!! فهم يدركون ضعفه إزاء حلم إسرائيل الكبرى... وهو يمكن أن يتخاذل أمام طلباتهم المتشددة وستبقى مصالح إسرائيل الكبرى مهددة طالما كان رئيساً للحكومة!!! ومع كل ما سبق فإن اهتمام نيتنياهو بالقدس ومصيرها ثبت أنه أقل بكثير من طموحه الشديد للسلطة. وفى عام ١٩٩٥ تقدم نواب حزبى هداش Hadach ومادا Mada العربيين بمشروع قانون لتوجيه اللوم لحكومة رابين إذا لم يقم بإلغاء نزع ملكية الأراضى العربية فى القدس الشرقية لبناء اثنين من الأحياء أحدهما حى مخصص لسكنى رجال الدين والحى الثانى لليهود العلمانيين، وكانت الأغلبية البرلمانية التى يحظى بها رابين رهينة بأصوات النواب العرب الذين يصوتون دائماً لصالحه ولم يخذلوه أبداً. ولكن لإسقاط حكومة رابين كان لابد أن ينضم نواب حزب الليكود إلى زملائهم العرب، وحيث الأمر يتعلق بدعم السيطرة الإسرائيلية على المدينة المقدسة لذا لم يبذل رابين جهداً كبيراً فى الحصول على وعد من نواب المعارضة بالامتناع عن التصويت مع النواب العرب فى موضوع «وطنى» كهذا!!

ويداعب خيال نيتنياهو احتمال سقوط حكومة رابين (قبل شهر من اغتيال رابين) فيهدد بالتصويت بجانب النواب العرب إذا لم يقم رئيس الوزراء بوضع حد لمسيرة السلام، وبرفض رئيس الحكومة الإذعان لهذا التهديد ويخرج من هذا المأزق بتجميد «نزع ملكية الأراضى العربية فى القدس الشرقية العربية» ويسخر رابين ويصف نيتنياهو قائلاً: «إنه رجل ليس على شفتيه سوى الألفاظ التى يتشدق بها بقدسية مدينة القدس ولكن أفعاله تستحوذ على ذهنه وطموحه للوصول إلى قمة السلطة ولو كان ذلك على أنقاض القدس ذاتها!.. هذه الأفعال تتناقض تماماً مع ما يتشدق به ويردده وهو فى سبيل تحقيق مكسب سياسى على أتم استعداد لتخريب دعم سيطرتنا على القدس... المدينة المقدسة كما يقول دائماً عنها»!!!

وطغت الدهشة بين أوساط حزب الليكود... ويعترف النائب مائيرشتريت Chetrit فيقول «لم أكن لأصدق أن زعيم الحزب الذى أنتمى إليه يمكن يوماً ما أن يشكل جبهة مع العرب... حول القدس!! إن دل ذلك على شئ فإنه تصرف غير مسئول ويجب عرضه على الحزب لإدانته»، ويقول موشيه كاتساف أن مطامع وطموحات هذا الرجل جعلته مجنوناً!! وأقرب الناس إليه عمدة القدس إيهود أولمرت يصيح فيه بعنف: هل أصبحت مجنوناً؟! ماذا

فعلت؟! ... لقد سقطت فى الفخ الذى نصبه لك بيريز ورابين!... ولكن دهشة حزب الليكود لم تنته عند هذا الحد إذ انتشرت أنباء عن أن نيتنياهو اتفق شفهياً مع النائب العربى عبد الوهاب الدراوشة أكثر النواب العرب «تعصباً»! ... وحزب الليكود يتهمه دائما بأنه عميل لمنظمة التحرير الفلسطينية، ويؤكد الدراوشة أن نيتنياهو وعده بمنصب وزارى فى الحكومة التى سيقوم بتشكيلها بعد سقوط رابين!!! وطبعاً سوف ينبرى لتكذيب هذا الوعد إلا أن قمة اللا أخلاقيات السياسية هى أن تصل ألاعيب هذا الرجل إلى محاولة تكتيكية للحصول على الخمسة أصوات العربية وهى التى رجحت استحواذه على ٦١ صوتاً فى الكنيست لتسقط وزارة حزب العمل! ونيتنياهو نفسه الذى جند جميع نواب الليكود وكل أنصار اليمين المتطرف ضد حكومة رابين، عندما حاول رابين الاستفادة من أصوات النواب العرب... إن مثل هذا الانتهازى كان لابد أن توضع نهاية لحياته السياسية .... ومن المؤكد أن هذه التصرفات تركت أثراً على مدى نضجه السياسى إلا أن نيتنياهو يتمتع بحس غامض ينقذه وينتشله من كل المواقف المحرجة التى يقع فى حبائلها!

انتخاب ... غير متوقع!

قليلون هم الذين كان يمكنهم التنبؤ بفوز مرشح اليمين أمام الآمال العريضة التى بثها فى النفوس كل من رابين وبيريز تبشيراً بقرب بزوغ فجر السلام!!! ومن كان يصدق أن يفوز باعث الغضب والذى ينشر بذور التشاؤم والشكوك! وعلى من يفوز؟... على الآمال التى كانت قد بدأت تداعب خيال بعض الإسرائيليين فى شرق أوسط جديد تظلله رايات السلام ويزدهر بالرخاء!!

لقد حدث هذا الذى لا يصدق وأصبح حقيقة ماثلة أمام عيون الجميع استيقظ على وقعها الإسرائيليون فى صبيحة اليوم التالى لإجراء الانتخابات ٢٩ مايو ١٩٩٦ !!! فاز مرشح اليمين على مرشح اليسار بنسبة نصف فى المائة فقط (٠,٥٪) كانت هذه النسبة الضئيلة كفيلة بأن تغير تغييراً جذرياً مصير المجتمع الإسرائيلى وربما مصير الشرق الأوسط كله ومجرى الأحداث فيه!.

والصدمة كانت مذهلة فى أوساط حزب العمل وكأنما اغتيل رابين للمرة الثانية ويتذكر

المراقبون والباحثون قول الله للنبى إيليا Elie «قم وتوجه ونوجه لأخاب ملك إسرائيل وسوف تجده فى كرمه نابيت Nabith حيث نزل ليمتلكها وتحدث إليه بهذه الكلمات التى أقولها لك، هكذا قال الله «ماذا فعلت؟.... لقد قتلت القتيل وتريد الآن أن تملك ميراثه!!! خذه...» (الإصحاح الأول ١٧ ـ ٢١).

وبعد الصدمة الأولى عاد التفاؤل، إذ سرعان ما جاءت الأنباء مطمئنة من دوائر رئيس الحكومة الجديد لتؤكد أن الليكود سوف يسير فى طريق السلام، فالليكود وحده هو القادر على التوصل إلى السلام... وليس ذلك شعاراً انتخابياً!... ثم... أليس مناحم بيجين هو الذى فتح أول طريق لمسيرة السلام بتوقيعه على اتفاقية كامب ديفيد؟ وأعاد كل سيناء إلى مصر وأليس ديجول هو الذى قال للمستوطنين الفرنسيين: لقد أدركت وفهمت رغباتكم ومطالبكم وبعد ذلك منح الجزائر استقلالها!!!... ونيتنياهو سيحقق أكثر مما حقق بيجين وديجول!... سيحقق معجزة!!

وبعد مرور ثلاثة أعوام لم تتحقق المعجزة بل صارت الأمور فى نظر البعض أشبه بالكابوس، فنيتنياهو لم يستطع أن يجلب السلام ولا حقق الرفاهية وإنما شخصيته المتناقضة أصبحت موضوعاً للجدل وأسلوبه فى الحكم خلق نوعاً من القلق العميق شمل كل المجتمع الإسرائيلى الذى أصبح منقسماً على نفسه.

وأصبح ما يحدث الموضوع الرئيسى للدعوة لحملة انتخابية أثارها السقوط المبكرلحكومة «بيبى»!!

عملية تغيير جلد... صعبة!

وتتكشف طبيعة نيتنياهو عن أتفه رئيس حكومة حكمت إسرائيل، فليس لديه برنامج حقيقى للحكم ماعدا طموحه للوصول للقمة فقط وكل صفاته التى أوصلته للقفز على زعامةالحزب! فلم يتمكن نيتنياهو من تغيير جلده، بالإضافة إلى أن الحزب قد سيطرت عليه الدسائس وصراعات الأجنحة المختلفة وهى أمور لا تغتفر إذا قام بها وشجع عليها المسئولين الكبار فى الحزب فما بالنا إذا كان على قمتهم زعيم الحزب نفسه!!! وهذا العيب كان ممكناً تجاوزه ببعض التواضع وبكثير من الأمانة فى الاعتراف بالخطأ ولكنهما يتعارضان مع

الأنانية المفرطة التى يتميز بها نيتنياهو!!! بل إن ثقته بنفسه إلى حد العجرفة التى لاتغرى سوى يمين فقد بوصلة اتجاهاته ولا تنعش سوى رئيس حكومة يفتقد المرونة والدبلوماسية. والشك الهذيانى الذى أتاح للوافد الجديد على الحزب أن يخطف الأضواء من زعماء الحزب، وكان من أبرز ملامح شخصية نيتنياهو إطلاق الوعود ثم النكوص عنها وليّ الحقائق وكلها أصبحت من طبائعه وعاداته!!....

وكذلك الانتهازية التى توصل المرء لمراميه دون النظر للوسيلة والتلفظ بكلمات نابية من شفاه رجل دولة سرعان ما يستنسخها إلى براجماتية عملاً بالمبدأ القائل أن السياسة فن الممكن! وصار نيتنياهو خلال أعوام حكمه مناور بأكثر من رجل استراتيجى، فهو يتذبذب بين حزم ظاهرى واختلاق الذرائع لكل تصرف دون النفاذ إلى نهاية الأمور وحسمها لدرجة أنه أعطى الانطباع بأن كل ما يريده هو «البقاء» فى قمة السلطة بأى وسيلة حتى ولو كانت غير سليمة أو حتى وضيعة وغير منطقية، ولكونه مناقضاً وعدواً لمسيرة أوسلو إلا أنه تصرف بإزائها بطريقته الخاصة عندما وصل إلى الحكم. وإذ يحكم بدعم من اليمين المتطرف فلا يتردد عن إثارة مخاوف المتعصبين من رجال الدين من احتمال رضوخه لتشكيل حكومة ائتلافية!... وإثارة فزعهم من حكومة يشترك اليسار فيها وبالذات شمعون بيريز!... وهو من المتحمسين لإسرائيل الكبرى وعلى الرغم من ذلك فقد وافق حتى على ما لم يكن حزب العمل قد استقر عليه ألا وهو إخلاء مدينة الخليل، بعد أن أطلق التأكيدات بأن لم يعد هناك مجال لأى تنازل آخر!!! وبرغم ذلك ينتهى به الأمر إلى توقيع اتفاق واى ريفر ثم يتبع هذا التوقيع بوقف التنفيذ بعد المرحلة الأولى ولكى يداعب أحلام الإسرائيليين فى «إسرائيل الكبرى» يضاعف من بناء المستوطنات!!

سياسة نيتنياهو تجاه العرب:

إن سياسة نيتنياهو تجاه العرب ببساطة شديدة: تنبع من روح أوكار الجيتو فبالنسبة لنيتنياهو فإن إسرائيل لا تعدو أن تكون قلعة قوية محاصرة، وقوة أمنها لا تتوفر لها سوى بهذا الحائط الحديدى الذى قامت ببنائه بينها وبين جيرانها العرب، ولذلك فلا يشارك نيتنياهو على سبيل المثال إسحق شامير فى تفاؤله واقتناعه أن العالم العربى «محكوم عليه

بالجمود المطلق، وسيطول هذا الجمود وأن السلام مع العرب ممكن ولكن بعد عمر طويل! ولذا فإن نيتنياهو ينادى بألا يحدث أى تنازل لهؤلاء الجيران طالما تتحكم فيهم أنظمة حكم رجعية، مستبدة وغير مستقرة!... ولذا فإن السلام يضعف إسرائيل فى مثل هذه الظروف وهى محصورةبين هذا العالم الرجعى!... وعلى ذلك فإن إسرائيل تجد نفسها مضطرة أن تدير ظهرها لجيرانها العرب وتنطلق إلى العالمية الرحبة، وأن خلاصها من هذا الحصار هو انطلاقها نحو التطور الصناعى وعلى العرب الجرى ورائها للحاق بركب التطور! وكان من رأيه الإقدام على قبول بعض التنازلات المحدودة القيمة هنا وهناك كمبادرات مهدئة ومشجعة فى نفس الوقت، ونيتنياهو يعترف بوجود حركة وطنية فلسطينية حتى برغم إيمانه أنها نتاج بعض الأفكار الناصرية عن وحدة العرب! وهو بكل تأكيد لا يوافق على منح الفلسطينيين سوى بعض مظاهر الاستقلال مع حرمانهم من السيادة الكاملة التى يجب أن تكون للدولة اليهودية ويمكنهم على سبيل المثال رفع العلم الفلسطينى الخاص بهم وإصدار الجوازات وبطاقات الهوية وإقامة نظام قضائى خاص بهم وتعين وزراء لهم، أما أن يكون لهم جيش فهذا من المحال!... ويضيف بأن اليسار الإسرائيلى يوافق على رأيه هذا أى تقبل دولة فلسطينية منزوعة السلاح لذا فليس هناك تعارض جوهرى بين اليمين واليسار حول هذه النقطة «وفى فكر نيتنياهو يكمن الكابوس فى وجود معنى ثنائى لكلمة «إذا» .. فإذا ما تمتعت فلسطين بوجود جيش فى الضفة الغربية وإذا ما تمكن نظام حكم معادى لنا فإن إسرائيل سوف تعيش تحت رحمة تدفق الدبابات العراقية!!! والضفة الغربية بمرتفعاتها توفر لإسرائيل عمقًا استراتيجياً يحميها، ويسخر نيتنياهو من خبراء الاستراتيجيات الذين يزعمون أن السيطرة على الأراضى لم تعد تجدى فى عصر الصواريخ، فيقول: أن استخدام الصواريخ لا يمنع العدو من إرسال دباباته لتدعيم انتصاره فوق الأرض، ولذا فهو يعتبر مرتفعات الجولان بالنسبة لإسرائيل ذات فائدة استراتيجية تماماً كالضفة الغربية.

وهذه الرؤية التشاؤمية لدى نيتنياهو تفسر لنا موقفه العدائى من اتفاقيات أوسلو التى يراها تمس أمن إسرائيل وتعرضه للمخاطر... ومع أنه لم يكن متشائماً تماماً من اتفاقيات أوسلو إلا أنه يستشعر هذه المخاطر عند الاتفاق النهائى «دولة فلسطينية تقام وبعدها تبدأ سلسلة متتالية تستهدف خداع الرأى العام الإسرائيلى وتهدئة مخاوفه وينتهى الأمر

بإخضاعه للأمر الواقع ويفرض عليه مالا يمكن إصلاحه» ... وببساطة يرى نيتنياهو أن قيام دولة فلسطينية يعنى «دمار» إسرائيل! وهو يرى أن حق الشعوب فى الحكم الذاتى أمر واقع إلا أنها حقيقة مفزعة وخطيرة إذا ما فكرنا إتاحتها للأقليات التى تنادى وستنادى بها، فسوف يؤدى هذا إلى أن يغرق العالم فى غمار فوضى لانهاية لها، فإذا ما سمح للفلسطينيين بإقامة دولتهم فلابد بعد ذلك من منحها لعرب إسرائيل وللدروز ورويداً رويداً ستتحول إسرائيل إلى كيان هش ينزوى ويتلاشى... ولا يعد له وجود!!

ونيتنياهو يتجاهل عامداً كم تمثل الضفة الغربية من تحدى بالنسبة لعرفات وتعقيبه على ذلك بسيط حيث يقول: «بما أن ٩٨٪ من سكان الضفة من الفلسطينيين فهم يعيشون فى التجمعات الكبيرة التى تشرف عليها السلطة الفلسطينية فلا مجال عندئذ للحديث عن أن هناك احتلال أو انتهاك لحقوق الإنسان إذا ما منحت إسرائيل فقط: الأراضى «الخالية» ... ومن جديد تطل علينا المقولة الشهيرة «شعب بلا أرض...!» ويعود صداها يصم الآذان!! وآخر تنازل تقدم عليه إسرائيل... التنازل عن نسبة مئوية ضئيلة من أراضى الضفة الغربية بشرط ألا تتعرض أصغر مستوطنة يهودية لأية هجمات يشنها عليها «العدو الفلسطينى»!!! كان هذا جوهر اتفاق الواى بلانتيشن بعد عام ونصف العام من المراوغات!!

نفق الشقاق!

كانت رائحة الفضائح الأولى تزكم الأنوف أما ما تلاها فكان لها رائحة الدم!... عند افتتاح النفق ... نفق الشقاق... وهو نفق تم حفره منذ أكثر من ٢٥٠٠ سنة لتغذية مدينة القدس بالماء وتم إعادة اكتشافه بعد حرب الأيام الستة بنحو عشرة أعوام منها، وبعد إعادة ترميمه وإعداده لم يكن ممكناً إعادة فتحه للجمهور إذ أن المدخل ويقع تحت الحائط الغربى لايشكل أى مشكلة إلا أن باب الخروج ينتهى عند إحدى الحارات وبالتحديد فى قلب حارة المسلمين ونظراً لاحتمالات إثارة المشاعر الدينية لدى المسلمين فقد احتفظت الحكومات السابقة بهذا النفق مغلقاً... ولكن نيتنياهو يقرر التغاضى عن هذه الاعتبارات ويصدر الأوامر لفتحه دون استشارة مسبقة لقوات الأمن أو المسئولين الفلسطينيين!

ويسارع عمدة القدس إيهود أولمرت Olmert وهو من حزب الليكود معلناً أن لإسرائيل الحق فى السيادة على المدينة القديمة متجاهلاً يحتمل أن ينشأ من ردود أفعال... وفى مساء

السادس عشر من سبتمبر ١٩٩٦ يصدر الأمر للبدء فى افتتاح النفق وسط قوات أمن انتشرت بشكل مثير... ويهب الفلسطينيون فى ثورة غضب عارمة ويعلنون أن اليهود يريدون الاستيلاء على ساحة الحرم الشريف، وحفر نفق ينتهى إلى موقع الجامع الأقصى تمهيداً لتدميره ويتوافد المئات من المتظاهرين لاحتلال الشوارع الضيقة التى يتكون منها حى المدينة القديمة وتنتشر المظاهرات فى كل مدن الضفة الغربية بتشجيع من السلطة الفلسطينية، ويشارك رجال الشرطة الفلسطينيين المتظاهرين فى مدن الرملة وبيت لحم ونابلس... ويطلقون النار من الأسلحة التى وفرتها لهم الدولة اليهودية طبقاً لنصوص اتفاقيات أوسلو وبخلاف قائمة الخسائر سقط مائة قتيل ١٤ منهم من الجانب الإسرائيلى!.... هذه المواجهات كان من المتوقع أن تدمر أسس اتفاقيات أوسلو... وكانت الخطورة من الوضوح بحيث لم يكن أمام الطرفين سوى التمسك بأى وسيلة لتهدئة الموقف المشتعل وإنقاذ اتفاقيات أوسلو... ويوافق عرفات على استئناف المفاوضات لأنه كان قد أدرك أنه استند لوقفها على ذريعة هشة وتستأنف المفاوضات دون الإصرار على إغلاق النفق!... واليمين المتطرف يطالب بضرورة أن تدخل قوات جيش الدفاع مدن الضفة لنزع سلاح رجال البوليس الفلسطينى ولكى لا يتصاعد التوتر ... يرفض رئيس الوزراء هذا الطلب! ويقول: ستكون مواجهة بلا مبرر ويمكننا قلب الصفحة... إلا أن شيئاً ما قد «تصدع» فى روح اتفاقيات أوسلو!... شرخ أصاب الثقة المتبادلة... والتعاون «المحدود» بين أجهزة الأمن لدى الطرفين لمكافحة «الإرهاب»!... هذه المكافحة التى اعتبرت مصلحة مشتركة، ففى تلك الساعات المأساوية التى لم يكن أى من الطرفين يريدها، برزت الحاجة الملحة لاستئناف المفاوضات بشأن تطبيق بنود اتفاقيات أوسلو٢ وأولها إخلاء الخليل الذى أرجئ تنفيذه مرتين قبل ذلك!

انتزاع الاتفاق:

وتستأنف المفاوضات... ويحصل الفلسطينيون على وعود بمراحل تنفيذ لانسحاب القوات الإسرائيلية من الضفة الغربية حتى بدء مفاوضات الحل النهائى، ويرفض نيتنياهو بل وينكر وجود مثل هذه الوعود ويعارضها بشدة ويعتبرها أول تنازل كبير ذو أثار وأبعاد أيديولوجية. وللمرة الأولى نرى رئيساً للحكومة من تيار التصحيح (الذى أسسه جابوتنسكى)

يقبل مبدأ تقسيم أرض إسرائيل الكبرى التى تقع بين البحر ونهر الأردن مع الفلسطينيين، إذن فحزب العمل لم يخطئ، إذ يرى نوابه أن هذه الاتفاقية الجديدة تؤيد اتجاههم فى تسوية مشكلة الأراضى... وأيضاً انهيار حلم إسرائيل الكبرى الذى كثيراً ما يتشدق به نيتنياهو... وها هو اليوم يتنازل.... يحتج بينى بيجين ويعتبر هذا التخلى عن فكرة إسرائيل الكبرى أول اقتطاع لجزء عزيز من أرض إسرائيل الكبرى !! وبينما الكنيست وافق على أول اتفاق بـ ٦١ صوتاً مقابل ٥٥ والاتفاق الثانى بـ ٦١ صوتاً ضد ٥٩ فها هو الاتفاق حول الخليل يتم التصويت عليه بـ٨٧ صوتاً ضد ١٧ و١٥ ممتنعين، ويتقدم بينى بيجين باستقالته من الحكومة ويبدو أن من قالوا عن نيتنياهو أنه قادر على مفاجأة حتى حزبه ذاته كانوا على حق ! إلا أن الغبار انقشع بفضل المظلة الأمريكية وتسكت أصوات الاعتراض ولكن كان ذلك لفترة قصيرة من الوقت، وجاءت ساعة الانسحاب الأول ويختار نيتنياهو الاستنادعلى خطاب وارين كريستوفر وزير خارجية الولايات المتحدة وفيه يذكر أن إسرائيل وحدها لها حرية تحديد احتياجات أمنها... ويسارع نيتنياهو بإثارة غضب الفلسطينين مقترحاً عيلهم الانسحاب من ١٪ فقط من أراضى الضفة الغربية، ويتظاهر نيتنياهو بالتجاهل أن فى المجال السياسى لا يكفى فقط أن تكون على صواب وإنما يجب على المرء أن يكون عملياً إذا ما أراد الوصول إلى مرفأ آمن، وقانونياً لم يكن هناك ما يجبره على مفاوضة الفلسطينيين حول مساحة الانسحاب فيحاول أن يبدو سخياً، وهو يدرك أن الفلسطينيين لن يكتفوا بانسحاب بسيط كهذا خصوصاً أنه ينبئ بانسحابات متتالية أخرى، ورفض عرفات يعنى تجميد مسيرة السلام وتتجمد أكثر عند الوصول لمناقشة أكثر المشاكل حساسية (القدس) تلك القضية التى فضل مهندسو اتفاقيات أوسلو تركها للمرحلة النهائية!... تركوها عمداً وتحاشياً لاحتمالاتها وتداعياتها المتوقعة، وإذ يتخفى نيتنياهو وراء ما كان يرفضه رابين من بناء حى لليهود فى حار حوما Har Homa جنوب القدس على طريق بيت لحم، ولكنه فجأة يقرر فى نهاية فصل الشتاء البدء فى تنفيذ عمليات بناء الحى!!! ويرى الفلسطينيين فى هذه الخطوة إعلان للحرب! ولم يجدوا صعوبة فى إثارة الرأى العام الأوروبى والأمريكى وكذلك دول العالم الإسلامى، وبذلك وضعوا قادة وزعماء الدول العربية فى موقف حرج لا يحسدون عليه، وبالذات الدول التى كانت قد وافقت على السير قدماً فى مسيرة السلام ومن بينهم الملك حسين والملك الحسن الثانى رئيس لجنة القدس التى كلفه بها مؤتمر الدول الإسلامية،

ويضطر نيتنياهو مرغماً على التراجع... كانت عمليات البنية الأساسية قد تمت فتقرر وقف عملية بناء المساكن وإرجائها لأجل غير مسمى ووصفت حفظاً لماء الوجه أنها أرجأت لأسباب فنية!! (إلا أنها عادت فى أكتوبر ١٩٩٨ بعد اتفاق واى ريفر).

تشتد الأزمة إثر استئناف الأعمال الفدائية بعد توقف دام فترة طويلة عزاها «بيبى» لسياسة «الحزم» التى اتبعها!! ففى ٢٥ مارس ١٩٩٧ تنفجر قنبلة فى إحدى كافيتريات تل أبيب مخلفة قتيلين وعشرات من الجرحى... كان ذلك إيذاناً ببدء سلسلة من عمليات العنف التى وصلت إلى ذروتها بحادثة السوق المركزى فى القدس فى بداية خريف ١٩٩٧ وأودت بحياة عشرات من القتلى... ويقرر نيتنياهو على أثرها اغتيال خالد مشعل أحد زعماء حركة حماس وفى قلب عمان عاصمة الأردن وتفشل العملية بعد أن تسببت فى إشعال أزمة حادة مع الملك حسين!!

الانسحاب الثانى الإجبارى!!

ويوجه نيتنياهو اتهاماته للسلطة الفلسطينية لعدم جديتها فى مكافحة الأعمال «الإرهابية»، وتصبح هذه الاتهامات اللازمة التى لا يمل نيتنياهو من تكرارها هو وحكومته، ويتذرع بها لتقديم طلبات حكومية بل ويشترط أن تقوم السلطة الفلسطينية بتسليم «المجرمين» الذين يقومون بهذه الأعمال «الإرهابية» إلى السلطات الإسرائيلية لمحاكمتهم وأى رفض لهذه المطالب سوف يعتبر نقضاً لتعهدات السلطات الفلسطينية، كما أضاف إلى ذلك تلكؤ الفلسطينيون فى حذف البند الخاص بتدمير إسرائيل المنصوص عليه فى ميثاق المنظمة!...

وسرعان ما تقطع المفاوضات التى كانت قد استؤنفت فى نوفمبر ١٩٩٧ والخاصة بانسحاب قوات جيش الاحتلال فيبادر الأمريكيون بتقديم خدماتهم. ويتقدمون بخطة متضمنة الانسحاب على مراحل (بنسبة ١ر١٣٪ من أراضى الضفة الغربية) ويتقبلها عرفات على الفور ولكن هذه المقترحات الأمريكية تتجمد لعدم قدرة نيتنياهو على اتخاذ قرار بشأنها.. وظل عجز نيتنياهو عدة شهور مما حدا بالأمريكيين لاعتبار نيتنياهو «شخصا غير مرغوب فيه يعرض أثمن رأسمال سياسى تمتلكه إسرائيل للخطر وهو صداقتها الحميمة مع أكبر قوة فى العالم» بعد أن اقترح تخطى مرحلتى الانسحاب المرتقب مرة واحدة إلى

مفاوضات المرحلة النهائية.. لكنه يرضخ فى نهاية الأمر ويقبل العرض الأمريكى، ويقبل الوفاء بتعهداته المنصوص والموقع عليها فى اتفاقية الخليل.. إلا أنه وكعادته وبنفس أسلوب المراوغة المحبب إليه يصمم على أن انسحاباً يزيد عن نسبة ٩ ٪ يمكن النظر فيه دون تعريض أمن إسرائيل للخطر.. وإذ يواجه تصميمه بالرفض الفلسطينى فيسارع بالانضمام تحت لواء الراية الأمريكية ويقبل نيتنياهو بعد مفاوضات شاقة الانسحاب من نسبة ١ر١٣ ٪.. وأجريت هذه المفاوضات المضنية فى منتجع الواى ريفر بالولايات المتحدة الأمريكية!! وفى المقابل يحصل نيتنياهو من الفلسطينيين على وعد بتصعيد مكافحة «الإرهاب» تحت الإشراف الأمريكى!! إلا أنه يفشل أن يقتلع من شفاه عرفات التعهد بالتخلى عن إعلان الدولة الفلسطينية من جانب واحد يوم ٤ مايو ١٩٩٩ وهو التاريخ المحدد للانتهاء من المباحثات الخاصة بالوضع النهائى، ويقبل مع ضمان الولايات المتحدة البدء فى إعادة انتشار القوات الإسرائيلية بالتوازى مع إلغاء الميثاق الفلسطينى، ولكى يضفى أكبر بريق حول هذا «الإنجاز» الذى حققه أمام عيون الدنيا كلها والذى يقضى بإلغاء تدمير إسرائيل، يقنع نيتنياهو الرئيس الأمريكى بيل كلينتون أن يمنح رعايته ويأتى إلى غزة لحضور الاجتماع التاريخى للمجلس الوطنى الفلسطينى!!! وكانت مبادرة سوف يندم عليها بمرارة فيما بعد! فنيتنياهو وهو يتقدم إلى كلينتون بهذا الرجاء وربما دون أن يدرى أو يرغب كان يوفر للسلطة الفلسطينية التمتع بمزية فريدة كم ترنو دولاً أخر سيادية لتحقيقها لنفسها!!! وإذ يعتقد أن الميثاق الوطنى الفلسطينى قد أمكن مواراته التراب فى ثنايا الاتفاق.. ويبدأ نيتنياهو بمعاونة حليفه الجديد فى مجال السياسة الداخلية إرييل شارون فى الشروع فى تنفيذ المرحلة الأولى من الإنسحاب كما تنص عليه اتفاقية واى ريفر.. كان مفروضاً أن تكون آخر مرحلة إلا أنه لم يحدث إذ جرفتها أعاصير وزوابع السياسة الداخلية!!

السقوط!!

لم يتجرد أنصار حلم إسرائيل الكبرى من خيالاتهم.. إذ ظلوا يعارضون الواى ريفر

التى بدت فى عيونهم خيانة حقيقية، فللمرة الأولى يتم الانسحاب بمبادرة من حزبهم حزب الليكود وليس تنفيذاً لاتفاقيات سابقة أبرمها حزب العمل!... ومشهور عن حزبهم شعار «لا بوصة واحدة يتم التفريط فيها وها نحن قد وصلنا إلى التخلى النهائى عن الشعار... وعن الحلم .. حلم إسرائيل الكبرى»!!

ولم يستطع اتفاق الواى ريفر الفوز بموافقة الكنيست إلا بفضل شبكة جماعة الأمن من أنصار «أفودا» لصالح نيتنياهو ضد أكثر الأجنحة تعصباً من تحالفه مع المتطرفين، باعتقاد عدد كبير من نواب الليكود وحزب المفدال MAFDAL بأن نيتنياهو قادر على اختلاق الذرائع لعدم التنفيذ فامتنعوا عن الاشتراك فى التصويت.. إلا أن مرحلة الانسحاب الأولى تمت.. وبدأ أنصار شعار إسرائيل الكبرى يستشعرون الخطر فينظمون صفوفهم ويهددون نيتنياهو بأنهم سيصوتون لصالح مشروع القانون المعروض الذى يطالب بالتعجيل لإجراء انتخابات وهو المشروع الذى تحفظ على تقديمه حاييم رامون H. RAMON من حزب أفودا AVODA لتقديمه فى الوقت المناسب! وتنسحب شبكة الأمن من حزب العمل عندما اتضح أن نيتنياهو ليست لديه أية نية للالتزام بتعهداته التى وقع عليها فى اتفاق الواى ريفر فى واشنطون.. ويسارع نيتنياهو كعادته دائما باختلاق الذرائع بشأن انتهاكات الجانب الفلسطينى.. حتى ولو كانت غير حقيقية!... وبهدف إرجاء المفاوضات بشأن الانسحاب الثانى.

إلا أن الوقت كان متأخراً ففى نهاية شهر نوفمبر ١٩٩٨ يتقدم حزب أفودا بمشروع قانون لحل الكنيست، ويحاول نيتنياهو بحيلة من حيله التوصل إلى قرار بتأجيل التنفيذ استنادا لبعض القواعد الإجرائية وبناء على طلبه تتقدم مجموعة ديجل هاتوراه DEGUEL HATORAH من أخلص حلفائه.. بطلب باقتراح حجب الثقة عن نيتنياهو وبذلك يحوز على التأجيل لمدة أسبوعين اثنين المهلة المنصوص عليها فى اللائحة للبدء فى مناقشة علنية .. إلا أنه كان جهداً لا طائل من ورائه ولم تنجح مناورته.. حيث أن النواب المتعصبين لشعار إسرائيل الكبرى فقدوا الثقة فى وعوده المتكررة فى تأكيداته لهم بأنه لن يشرع فى الانسحابات المنصوص عليها فى اتفاقيات واى ريفر. ويشعر هؤلاء النواب أن عليهم ضم

أصواتهم إلى أصوات المعارضة اليسارية (حزب العمل) لإسقاط الحكومة، وبعد أسبوعين يتصدر مشروع القانون جدول أعمال الجلسة ومن أول تلاوة يتم إقراره بين دهشة وذهول الجميع ويحاول نيتنياهو الحفاظ على ماء وجهه ولكى لا يبدو مطروداً، يصوت لصالح مشروع القانون بينما نواب الليكود الآخرين يعترضون!.. ولم تكن المناورات قد انتهت بعد.. ففى أثناء القراءة الثانية والثالثة وبينما تأكد سقوط الحكومة واتضح أن «الحاوى الكبير» فقد كل حيلة.. أراد الحاوى الصغير زعيم حركة شاس SHASS أن يخرج «أرنباً من تحت قبعته» فيقترح إرجاء التصويت على تشكيل حكومة ائتلافية.. إلا أن نيتنياهو بطل «البقاء» كان قد انهزم وتخطته الأحداث .. ويصدر الكنيست... وبالأغلبية قرار حل الحكومة.

كانت الحكومة قد فقدت ثقة الكنيست.. ولكن ذلك لم يمنع نيتنياهو فى أن يظل فى موقعه لمدة أكثر من خمسة شهور.. ويتقرر تاريخ إجراء الانتخابات بتواطؤ غير مفهوم بين الحكومة والمعارضة وتحدد يوم السابع عشر من مايو ١٩٩٩ لإجرائها!!!

الفصل الرابع :

موردخاي..
في نادي القلوب المحطمة!!

مورد خاى على المسرح السياسى!

عقب انتهاء مهمته كقائد للمنطقة الشمالية، تطلع الجنرال إسحق موردخاى إلى خوض معترك السياسة، وأقنعه صديقه «نسيم زفيللى» سكرتير عام حزب العمل بترشيح نفسه لعمودية مدينة القدس خلفاً لعمدتها العجوز تيدى كوليك، وأيد رابين هذه الفكرة بترحاب... ولكن كوليك (٨٠ سنة) يرفض الاعتزال... ويخبو تصميم رابين لاقتناعه أن العمدة القديم قادر على الفوز بالعمودية للمرة الخمسين!.. وكان المسئولون فى حزب العمل بمدينة القدس ومن بينهم أوزى بارام O.Baram وداليا إيتسيك D.Itsik وحاييم كوهين H.Cohen كانوا قد تقابلوا مع رابين يطلبون منه العدول عن ترشيح موردخاى، ويذعن رئيس الوزراء لضغوطهم ويقترح على موردخاى أن يكون نائباً لكوليك ولكن موردخاى يرفض لعلمه أن كوليك لن يمنحه أية سلطة! ويستطرد سكرتير عام الحزب محاولاً إقناع رئيس الوزراء «أن موردخاى بالنسبة لنا هو المرشح المثالى للمنصب فهو كرجل عسكرى يتمتع بالشهرة والشعبية من العلمانيين ومن رجال الدين على السواء ويقدره كل من اليمين واليسار».. إلا أن رابين أجاب قائلاً: كل هذا جميل وأنا مقتنع به لكن مالا تعرفه أن كوليك هذا «الأزلى» قادر على الفوز على موردخاى حتى ولو ربط يديه خلف ظهره..! وتتوالى الأحداث لتثبت لرابين أنه كان مخطئاً إذ انهزم كوليك أمام إيهود أولمرت Olmert أحد حلفاء نيتنياهو! فرابين مثله مثل قادة حزب العمل أسير الأحكام المسبقة التقليدية ولذلك لم يقدر «مواهب» موردخاى حق قدرها مقتنعاً أنه ينقصه التأهيل اللازم ليكون يوماً من قادة الحزب ويقول :

هو مقاتل ممتاز لكن تنقصه الرؤية ومقدرة التحليل!... وربما لهذه الأسباب حرمه رابين من المنصب الذى طالما كان يتطلع إليه وهو منصب نائب رئيس هيئة الأركان بعد نهاية خدمته كقائد للمنطقة الشمالية.

الجنرال يطرق أبواب حزب العمل:

وعلى الرغم من هذا الموقف يصمم موردخاى أن يطرق أبواب حزب العمل ويستطرد نسيم زفيللى فى شهادته فيقول : كانت لدينا فرصة تقابلنا فيها أثناء حفلات عائلية وفى إحداها قال لى : لست أدرى ما أفعله لكى يقتنعوا بأننى قادر وأستطيع.. ألم أرأس ثلاث قيادات نجحت فيها جميعها.. إذن لماذا يرفضون ترقيتى؟!.. ويتساءل هل هذا بسبب أصلى العرقى! ثم جاء يزورنى بعد اغتيال رابين وكان مضطرباً ويبحث عن وسيلة لدخول حزب العمل وفى ذات الوقت كانت تتودد إليه أحزاب أخرى : الليكود وحزب دافيد ليفى الجديد: الجيشر، ولكنه أباح لى برغبته فى دخول الكنيست على قائمة حزب العمل وهو يقبل برنامج الحزب دون تردد فهو براجماتى النزعة وأفكاره تتشابه مع أفكار أنصار الوسط فى حزبنا وكان كل أمله أن يشترك فى الحكومة التى سيقوم شيمون بيريز بتشكيلها بعد الانتخابات!

وفى ديسمبر ١٩٩٥ يستقبل بيريز «موردخاى» الذى يعبر له عن رغبته فى دخول حزب العمل بشرط أن يضمن له مقعداً فى الكنيست.. كانت مقابلة بيريز له مقابلة لطيفة إلا أنها باردة!.. ليس فيها تلك الحماسة المعهودة فى بيريز والتى يستطيع إظهارها عندما يشاء!.. ويقول له بيريز: عندنا أعضاء الحزب هم الذين يحددون المرشحين للانتخابات، فما عليك إلا أن تفعل مثلما يفعل الجميع، وخذ بطاقتك وتقدم للترشيح المبدئى فإذا ما صرت واحداً من العشرة الأوائل فإننى أضمن لك أن تكون وزيراً فى الحكومة التى سوف أقوم بتشكيلها ويجيبه إسحق موردخاى قائلاً : ليس عندى أى فرصة لأكون من بين العشرة الأوائل فليس أمامى وقتاً كافياً لخوض حملة إقناع فعّالة، فيرد بيريز عليه... إذ ن فإن وعدى لك يظل قائماً لو وصلت لتكون واحداً من الإثنى عشر الأوائل.. ولا أستطيع أن أفعل أكثر من ذلك! لأنى لست متأكداً أن أضمن تمرير هذا الاقتراح على اللجنة المركزية للحزب التى وطبقاً للقواعد المتبعة يجب أن تصدق على الاقتراح فيذكره موردخاى بأن هذه

االقاعدة لم تتبع بشأن يهودا أميتاى الوزير بلا وزارة.. فيرد شيمون بيريز.. أميتاى.. موضوع آخر.. لأننى كنت أريد أن أضمن مؤازرة رجال الدين والحاخام أميتاى سلطة روحية.. رجل يرمز للقيم الروحية الهامة لحزب العمل. ويبدو أن موردخاى كان قد إقتنع بما قاله بيريز، فيطالب حينئذ بمنصب رئيس أجهزة الأمن «الشاباك Chabak».. لم يكن شيمون بيريز يتوقع مثل هذا الطلب، فيرد عليه مراوغاً بأن المنصب ليس شاغراً وأنه لاينوى إثارة إبعاد قائد المخابرات كارمى جويلون K. Guilon طالما التحقيق فى اغتيال رابين لازال سارياً ولم يقفل بعد!.. ولكن موردخاى يجيبه قائلاً: أنا مستعد لانتظار نهاية أعمال لجنة التحقيق فإذا برأت جويلون وأوصت ببقائه فى منصبه فأننى سوف أسحب ترشيحى!! ولكن موردخاى لم يكن يعلم ولا يريد بيريز أن يكشف له أن خليفة جويلون قد تم اختياره.. آمى أيلون A.Ayalon، قائد البحرية السابق!!.

وبعد فشل بيريز فى الانتخابات، فإن انطباعه عن هذه المقابلة قد تغير فيقول : موردخاى جاء ليقابلنى وتحدثنا عن الحكومة وعن أمور أخرى هنا وهناك وبعد وقت قصير أدركت الحقيقة، لقد جاء ليقابلنى لسبب آخر تماماً.. لقد كان يريد أن يكون رئيس المخابرات القادم ولم أكن أستطيع إعطائه هذا المنصب، كنت أقدره فى الحقيقة إلا أننى كنت أعتقد أنه ينقصه تلك االصفات اللازمة لشغل هذا المنصب!... ولقد افترقنا فى محبة وتصافحت أيدينا! وهكذا انتهت علاقة موردخاى بحزب العمل من قبل أن تبدأ!.. كان ذلك من أفدح الأخطاء التى ارتكبها بيريز فى تلك الفترة ذلك أن تواجد هذا الجنرال الكردى الأصل كان سيسهم كثيراً فى هزيمة حزب الليكود.. ويستمر سكرتير عام الحزب نسيم زفيللى الذى كثيراً ما طالب بضرورة ضم موردخاى لصفوف الحزب (حزب العمل) فيقول بعد مقابلته لموردخاى – عقب لقائه بشيمون بيريز: «لقد وجدته مكبوتاً ويشعر بالمهانة والمرارة!... إن موردخاى لايفهم لم لا يريد حزب العمل ضم واحداً على مثاله!.. ويستطرد زفيللى فيقول : لست أريد الحكم على شيمون بيريز ولكن وفيما تلى ذلك من أحداث لايمكن أن ننسى إن موردخاى يساوى أكثر من الـ ٣٠ ألف صوت التى كانت كافية لفوز حزبنا.. وعلى الجهة المقابلة فقد كان واضحاً أن انضمام موردخاى لحزب الليكود كان إسهاماً حاسماً بالنسبة لنيتنياهو فى استحواذه على الرأى العام»!

الانضمام لحزب الليكود:

عشية مقابلته لشيمون بيريز يتسلم موردخاى من نيتنياهو تأكيداً ظل سرياً مدة طويلة بوعد أن يكون وزيراً للدفاع فى حالة نجاحه وتشكيل الوزارة وسرعان ماينضم موردخاى لحزب الليكود، وعندئذ يطلب صديقه زڤيللى تليفونياً ويبلغه بالأمر قائلاً: إن حزب العمل وقد أقفل فى وجهى كل الأبواب لم يترك لى خياراً آخر! وكان هذا الانضمام لحزب الليكود بمثابة دفعة منشطة للحزب الذى كان يعانى من ضعف التأييد وفى ٢٧ ديسمبر ١٩٩٥ تكتب جريدة معاريف المسائية مايلى : «أصبح صبى الحارات الفقير الذى تسلق المناصب العسكرية حتى القمة وأصبح اليوم رمزاً.. الجنرال الشرقى المدهش!... والذى كاد أن يكون ضحية دسيسة قائد أجهزة الأمن.. هاهو ينضم إلى حزب الليكود وكان انضمام موردخاى مفاجئاً وغير متوقعاً لكوادر الحزب، واستحق نيتنياهو كل التهانى على «ضربه المعلم» هذه خصوصاً بعد مزالق السقطات التى كادت أن تفقده التوازن، أما الآن فزعيم حزب الليكود يستطيع الاستفادة من مساندة موردخاى.. فى استطلاعات الرأى!.. الشخصية العسكرية الاجتماعية التى كان التيار اليمينى فى أشد الحاجة إليها ... ولاشك أنها هدية جاءته من السماء!!

ويذهب موردخاى بصحبة نيتنياهو إلى سوق «بن يهودا» فى القدس، وكان هذا السوق الشرقى هو مقياس لمدى شعبية الحزبان الكبيران على الرغم من أنه تقليدياً كان لصالح حزب الليكود، إلا أنه فى عام ١٩٩٢ كان قد استقبل رابين بحفاوة كبيرة... واليوم كان على موعد لانقلاب جديد.. فتجار السوق استقبلوا موردخاى بحفاوة ومشاعر ود وحب حتى كاد أن يختنق من كثرة العناق ويصيح أحد التجار: «لاتعتقدوا أن نيتنياهو أحضر موردخاى إلى السوق بل العكس فإن موردخاى هو الذى فتح السوق لنيتنياهو، فبدونه لم يكن يجرؤ أن يضع قدميه هنا»!! والسؤال الذى ظل مطروحاً هو : هل عدم انضمام إسحق موردخاى لحزب العمل.. كان أمراً محتوماً ولا مفر منه؟! وتتضارب الآراء وبيريز يتمسك برأيه ولا يريد الاعتراف بأى خطأ!.. ونسيم زڤيللى يقاسم بيريز رأيه فهو ينظر للموضوع من زاوية أخرى، فمن رأيه أنه من المستحيل على غالبية الشرقيين أن يتقبلوا رسالة حزب العمل السياسية والاجتماعية وبصفه خاصة فيما يتعلق بعدم تمسكه كثيراً بالتقاليد الدينية ولا يعيرها

الاحترام الواجب وسواء أكان موردخاى عضواً أم لم يكن فإن ذلك لا يغير شيئاً من الأوضاع، فالشرقيين قبل كل شئ عاطفيون مما يجعلهم يبتعدون عن أهداف الحزب... أما تحليل البروفيسير شلومو بن آمى Ami وهو نفسه من مواليد المغرب، فقد كان مخالفا حيث يصرح أنه لم يدهشه أن أجهضت العلاقة بين حزبه وموردخاى الذى كان يأمل فى هذا الانضمام، والذى لو حدث لكان يعنى رمزاً حقيقياً للتصالح بين حزب العمل واليهود من أصول شرقية.. ولكن للأسف!.. كما يستطرد بن آمى فيقول: إن حزبى يتصرف مثل جسد بلا روح لايترك مكاناً للعاطفة.. لقد أخطأ بيريز باعتقاده أن قضية السلام والأمن قضية محورية فى الحملة الانتخابية.. من المؤكد أنها موضوع حيوى ولكن التحديات كانت قبل كل شئ تحديات اجتماعية وثقافية ورفض موردخاى كان رسالة: حزب العمل كان لايزال أسير مفاهيم الخمسينيات ونتنياهو كان قد فهم التغيرات التى حدثت فى البلاد، وكانت مهارته أنه نجح فى أن يضم تحت جناحيه تحالفاً اجتماعياً شاذاً مكوناً من الأقليات التى رفضتها الحركة العمالية وسفارديم حزب شاس والمتطرفين من كل صوب والمهاجرين الجدد القادمين من روسيا لقد نجح فيما فشل فيه حزب العمل»!

ولقد كانت تلك الواقعة مصدر خيبة أمل لقائد الحملة الانتخابية لحزب العمل بنيامين إليعازر الذى كان وزيراً للإسكان فيقول: إن رفض موردخاى كان تكراراً للأخطاء التى ارتكبت فى الماضى.. نموذج جدير بحزب العمل!

ثم يردف قائلاً: «فى مناسبات عديدة حاول موردخاى الانضمام لحزبنا وفى كل مرة لم نعطيه جواباً.. كان يرغب أن يصبح نائباً لرئيس الأركان وكان ردنا عليه: شكراً ليس بيننا!... كان يريد أن يكون عمدة للقدس فقلنا له شكراً ليس عندنا!.. كان يرغب أن يكون عضواً فى الكنيست وتلقى نفس الإجابة... وأخيراً، أعرف أن رابين كان يرفض ترقيته، فقلت له وقتئذ: لا يجب الإقلال من أهمية هذا الرجل فهو شخصية معروفة فى كل أنحاء البلاد.. وهو كردى صعد سلم الترقى بسرعة.... ولكى يصبح نائباً لرئيس الأركان لايحتاج أن يكون فيلسوفاً كبيراً ولا مثقفاً بارعاً فرد على بقوله: كنت على استعداد لتعيينه... ولكن آمنون شاحاك رئيس الأركان قال لى أنه لايريده»!!

وبن إليعازر Eliezer نفسه وهو من أصل عراقى وكان يتحدث مع الصحفى دانييل بن سيمون الذى كان يسأله لماذا كنت تريد مساعدة موردخاى فأجابه بقوله : «كنت أنظر لما هو أبعد من الحملة الانتخابية دون أن أضع فى اعتبارى ما قد كان ممكناً أن يقدمه من دعم لحزب العمل وللأسف الشديد فإنه لم يكن موضع ترحيب من رابين وبيريز»!... «ولم تتوافر لديه الإمكانات اللازمة ليكون أحد قادة الحزب، ويجب أن لاننسى أبداً أنه فى عيون السفارديم بطلاً قومياً.. الجنرال الوحيد الذى مارس قيادة ثلاث قيادات متتالية : المنطقة الجنوبية والمنطقة الوسطى ثم المنطقة الشمالية، والدسيسة التى دبرتها له أجهزة الأمن وبرأته منها لجان التحقيق ضاعفت من شعبيته، وكان بمقدوره أن يتيح للحزب المساندة التى يحتاجها فهو قادر على استدرار العواطف بل والدموع والمحبة واحترام التقاليد اليهودية والروابط العائلية وكلها بالنسبة لحزب العمل تعتبر بدائية!.. وكان حزب الليكود أكثر مرونة ليس لأنه يحب السفارديم أكثر... لا... ولكن لأن نيتنياهو وأنصاره يعلمون أنه بدون مساندتهم لن ينجحوا أبداً فى الوصول للسلطة التى يتطلعون إليها، أما عندنا نحن حزب العمل.. فنحن لا نكره السفارديم وإنما نكتفى بتجاهلهم!.. وهذا فى مفهومى موقف أكثر عنفاً!.. فنحن نريد الوصول للسلطة دون أن ندرك أننا لكى نصل إليها فنحن فى حاجة إليهم.. إلى السفارديم»!

موقع موردخاى لدى الرأى العام:

والسؤال الذى يطرح نفسه : إلى أى مدى كان موردخاى مستعداً للتضحية بشعبيته من أجل نجاح أفكاره؟ وإلى أى مدى كان استعداده لتصعيد مواجهته مع نيتنياهو لإقناعه بضرورة الاتفاق مع الفلسطينيين والسوريين؟!.. هل كانت عنده الشجاعة السياسية اللازمة لمواجهة رئيس الوزراء؟!..

زملائه الوزراء يؤكدون أنه فى اجتماعات مجلس الوزراء لم يتخذ أبداً موقفاً مستقلاً حازماً ويقول زميله العراقى الأصل موشيه كاتساف: «كان يبحث فى كل أمر من الأمور عن التوافق وإجماع الآراء ويتفادى المواجهات! وفى رأيى لم يثبت أنه يتحلى بالشجاعة اللازمة لشغل مثل هذا المنصب! ولست أعتقد أنه يملك مواصفات الرجل رقم ١»... ويشاركه فى هذا الرأى دافيد ليفى وهو من أصل مغربى ويعرفه معرفة تامة... وكان الأخير فى كل

مواجهاته مع نيتنياهو يتوقع أن يسانده وزير الدفاع ولكن فى كل مرة كان موردخاى يقف على الحياد!... ولكن موردخاى يجيب أنه «لايرغب الجدال إلا فى الأمر الرئيسى والأهم وأنه سوف يظل غير عابئ بالانفعالات والأهواء الشخصية لرجال السياسة»! كما يؤكد أنه بدونه لم يكن نيتنياهو ليوقع على اتفاق الجلاء عن الخليل ولا اتفاق الواى ريفر ويعيد التذكير عند تردد رئيس الوزراء نيتنياهو فى توقيع اتفاق الواى ريفر بلانشتاين فيصيح فيه موردخاى: يجب ألا نصل للحد الذى من أجل منزل واحد آيل للسقوط فى الخليل أن نضرم النار فى كل الشرق الأوسط! إلا أن هذا التصريح لم يحظ برضاء سكان المستعمرات ولكنه حاز على رضاء التيار اليسارى الذى يرى فيه أنه ينسجم مع روح اتفاقيات أوسلو!

ومنذ أن عينه وزيراً للدفاع، لم يكن نيتنياهو يحيطه علماً بكل الأمور مثلما حدث فى سبتمبر ١٩٩٦ عندما قرر فتح نفق أسفل مدينة القدس وما تبع ذلك من أحداث وتداعيات معروفة أسفرت عن مقتل ٦٠ فلسطينياً و١٥ جندياً إسرائيلياً ومرة أخرى عندما قرر البدء فى بناء منازل لليهود فى حار حوما Har Homa بالقرب من بيت لحم. ونفس الشئ حدث فى أكتوبر ١٩٩٧ فى محاولة بث السم لخالد مشعل قائد حماس فى الأردن (وفشلت العملية) وأخيراً خلال تعديل التشكيل الوزارى «المحدود» عندما ضم آرييل شارون بجانب موردخاى ودافيد ليفى وزير الأشغال... ولم يعترض موردخاى وفى هذا يقول: المهم هو أن أكون أنا المسئول عن الدفاع الوطنى ورئيس الحكومة بنيامين نيتنياهو له الحق فى اتخاذ المبادرات والتفكير فى وسائل جديدة!... ولست أجد فى هذا أى مشكلة.. وأنا أعترف بأننى لم أحط أحياناً علماً بكل شئ.. ولست أجد فى هذا أى شئ غير عادى»!

طموح موردخاى... وألآعيب نيتنياهو!

فى عيون المتطرفين الذين تضمهم حكومة نيتنياهو كان إسحق موردخاى يمثل حماقة...! إلا أنها حماقة معزولة خصوصاً منذ ترك دافيد ليفى الوزارة واستبدله نيتنياهو بآرييل شارون فى وزارة الخارجية. وموردخاى الرجل العسكرى كان بمقدوره أن يتحول إلى رجل دولة ولكن كان يفتقد المساندة فظلت كرامته سلاحه الوحيد!... ولكن هل هذا السلاح كاف وحده لكى يتمكن من فرض رأيه عندما يحين الوقت بين زملاءه الوزراء فى حكومة من المتربصين!.. وفى هذا المحيط هل هو قادر أن يكون بديلاً عن نيتنياهو.. الشئ

المؤكد هو أنه كان سنداً قوياً استطاع به التيار اليميني أن يخلق بين صفوفه حليفاً ينادي بالسلام يظل بارزاً حتى يوم تتم فيه إدانته علناً!.. ومن جانب نيتنياهو رئيس الحكومة فإنه لم يطق صبراً أن يتفوق وزير دفاعه عليه فبدأت المناوشات الخفية... ويتردد موردخاي لعدة أسابيع.. كان يريد سبر أعماق حزب الوسط وفي نفس الوقت يحاول مداراة نواياه.. فيستمر في مباحثة رئيسه عن مايشترطه في وزير دفاعه في حكومته القادمة..! ونيتنياهو رجل التكتيكات والدسائس فقد أدرك بفطرته أن خروج موردخاي أصبح أمراً محتوماً... يستمر موردخاي في الأخذ والرد.. ويدفعه نيتنياهو دفعاً نحو زعامة حزب الوسط! ويبدأ نيتنياهو في تنفيذ السيناريو بعناية، ففي نفس اللحظة التي كان موردخاي يتسلم فيها خطاب نيتنياهو بتنحيته من الوزارة كان نيتنياهو يذيع مباشرة على شاشة التليفزيون نبأ هذه الإقالة ويلوم وزير دفاعه على نكران الجميل وريائه!! ويعزو ذلك لطموح موردخاي ويقول عنه: «بينما يتآمر مع الذين يرغبون في إسقاط الحكومة التي هو نفسه وزيراً فيها كان يطالبني بأن أضمن له منصب وزير الدفاع في كل حكومة أقوم بتشكيلها وهو ما رفضته بطبيعة الحال!.. ففي داخل الحزب لا أحد بمنأى عن ضرورة الالتزام بالواجب الحزبي ومبادئ الديمقراطية!.. وأنا لم يحدث أبداً أن وعدت أحداً بمنصب وزاري»!... وهذا لم يمنع نيتنياهو من أن «يبيع» بدون استشارة أحد منصب وزير الخارجية وإسناده لـ آرييل شارون!!

وإذ يشعر موردخاي بأن عليه التصرف إلا أنه لم يستطع إخفاء شعوره بالمهانة والإذلال لإقالته بهذه الصورة وكشرقي صميم أصيب كبرياؤه بجرح، ويدافع عن سلامة طويته وأنها أثمن رأسمال يملكه وينفي أنه التمس لنفسه شيئاً ويقول لمحدثيه: انظروا لعيوني.. هل كذبت عليكم يوماً ما؟!... وفي اليوم التالي... كان قد أعد جيداً ثأره.. فمنذ أن عقدت جلسة مجلس الوزراء الأسبوعية التي صمم على حضورها كما لو أن شيئاً لم يحدث ويطلب من رئيس الوزراء أن يسمح له بالإدلاء بتصريح شخصي!.. فيقول: «لقد جئت أودع وأنصرف بعد ٣٣ سنة خدمة في جيش الدفاع وسنتان ونصف في وزارة الدفاع ولقد شاركت بكل قواي في سبيل «عظمة وقوة دولة إسرائيل»! «فالشعب ودولة إسرائيل فوق كل حسابات الأحزاب وكم من مرة خلال هذه الاجتماعات الحكومية قمت بالانسحاب لتفادي الاستماع للمحاضر الغير مطابقة للحقيقة والتاريخ سوف يحكم على كل واحد حسب

أعماله.. وأنا لم أطالب لنفسى بشئ وكل ما طلبته هو طريق عدالة قادر على ضمان مستقبل الدولة وازدهار سكانها!.. ثم يوجه نظره نحو رئيس الحكومة المذهول ويطلق قذيفته قائلاً : قبلى غادر الحكومة وزراء العلوم والخارجية والمالية وهذا جدير بأن يجعلك تفكر جيداً!.. وبشكل مسرحى غريب على رجل اشتهر بتماسكه يخرج من جيبه (كيبا سوداء) يضعها فوق رأسه تماماً كما يحدث أثناء الطقوس الدينية، وإذ يستسيغ مظاهر الدهشة التى رانت على الجميع يفتح التوراة وبين صمت الجميع يتلو الآية ١٢٠ من كتاب المزامير: «ياربى.. نجنى من الشفاه الكاذبة التى تنطق بالزور واللسان الخادع الذى يلوك بالبهتان وهما يشبهان تلك السهام المسنونة فوق الفحومات المشتعلة كالجمر»!... «لقد عشت طويلاً بين هؤلاء الذين يكرهون السلام وكلى بجانب السلام وعندما أعلن عنه فأنا لا أعبأ بهم»... وهنا يقاطعه نيتنياهو قائلاً : لست أنت الذى يوعظنا عن الحقائق والأكاذيب وأنا لا أريد أن أكشف، عن كل ما طلبته منى ورجوتنى أن أضمنه لك!... وبلا اضطراب يلقى موردخاى ضربته القاتلة فينصح رئيس الحكومة بأن يقرأ ويتمعن فيما جاء فى الآية ١٥ فقرة ٢٨ من كتاب صموئيل الأول الذى تنبأ بسقوط الملك شاؤول Saul واستبداله بالملك داوود «الرب الخالد يعلن أنك لست جديراً بملك إسرائيل .. لذا ينتزع منك اليوم ملك إسرائيل ليهبه لمن هو أجدر منك»!... وبعد لحظة صمت أدرك وزير الخارجية آرييل شارون أنه المعنى بهذا الحديث!.. فيرد على تلميحات موردخاى رافضاً لها باعتبارها «أقوال عسكرية عفوية»!... ويلومه على إتهامه لحكومة مهتمة بالسلام، ويقف وزير الصحة يهوشواماتسا ليدافع عن نيتنياهو ويوبخ موردخاى بعنف ويقول له: اصمت.. ويفضل موردخاى ألا يرد ذلك أنه قال ما كان عليه أن يقوله وينهض.. مستأذناً من رفاقه «القدامى»!.. ويغادر القاعة... وكانت صفحة قد طويت!

ثم يفتح صفحة جديدة... وتعلقاً بالتقاليد اليهودية، فبعد قيامه بتلاوة صلاة قصيرة أمام الحائط الغربى خلف آثار المعبد الثانى، هنا فى هذا المكان الغريب يعقد وربما لأول مرة مؤتمراً صحفياً ليعلن فيه رسمياً قراره بالانضمام لحزب الوسط... وقام بأول زيارة للحاخام أوفيديا يوسف راعى حزب شاس الدينى ولا يقبل يده فحسب بل وأيضاً كما تقضى تقاليد السفارديم يقبل لحيته احتراماً منه للتقاليد الكردية النابع منها!

زيارة للملك عبدالله الثانى:

فى ١٢ مارس ١٩٩٩، أعلن عن تأسيس «حزب الوسط» الجديد، برئاسة موردخاى، رافعاً شعارات: وحدة شعب إسرائيل، التسامح، الاعتدال فى متابعة مسيرة السلام.. وفى ٢٥ أبريل ١٩٩٩ يقوم موردخاى بزيارة للملك عبدالله ملك الأردن الذى يستقبله بحرارة ويوافق على اقتراح مقدم من موردخاى بعقد مؤتمر دولى يضم كل الذين شاركوا فى مؤتمر مدريد وذلك بعد الانتخابات، كانت الرغبة عميقة للإطاحة بنيتنياهو بتماسك هذا الحزب الوليد الذى نشأ من أمل جنونى... الحزب الديمقراطى للتغيير الذى تمكن من الاستحواذ على خمسة عشر مقعداً وبعدها يتصدع ويختفى! وحزب الوسط لن يسعده انتزاع ستة مقاعد فى ١٧ مايو ١٩٩٩ على الرغم من هزيمة كل من حزب العمل وحزب الليكود لصالح حزبى شنوى وشاس.

نادى القلوب التى يحطمها بيبى!

فى أحاديثه الخصوصية كان موردخاى ينتقد بشدة سياسات وتصرفات نيتنياهو المدمرة، خاصة تلك العملية التى ألحقت أضراراً يصعب علاجها مع الأردن... «ولو كنت عرفت فى الوقت المناسب لاعترضت لأنها تفسد علاقاتنا الجيدة مع أجهزة أمن هذه الدولة»!.. وفى هذا كتبت يائيل ماركوس Markus فى جريدة ها آرتس فى يونية ١٩٩٨: أن موردخاى أصبح آخر عضو ينضم للنادى الخاص جداً: نادى القلوب التى يحطمها بيبى!! ورسمياً كان موردخاى يحاول الاقتناع بحكمة نيتنياهو السياسية.. إلا أنه أحياناً كان يشك فيها ويقولها بصوت مرتفع وأول تلك الانتقادات ما يخص مشروع القدس الكبرى بأنه مشروع ديماجوجى وخبيث»! ويقول أعتقد أن تنمية القدس يجب أن تتم بتحسين طرقها وشوارعها وتشييد طرق وشوارع أخرى واستحضار مؤسسات تكنولوجية عالية الكفاءة ثم لماذا نستعدى الرأى العام الدولى علينا فى وقت حساس ودقيق كهذا!.. إن هذا المشروع لايخدم مصالح مدينة القدس ولن يكون من نتائجه سوى جلب عداء العالم كله، ويرفض موردخاى مشروع الاستفتاء حول السلام مع الفلسطينيين وكثيراً ما عارض بلا هوادة

التأخير فى عملية الانسحاب الثانى من الضفة الغربية، وبدلاً من الاستقالة كما راودته أفكاره أحياناً إلا أنه عدل عنها على أساس اقتناعه أن من المفيد البقاء فى الحكومة للدفاع عن أفكاره..!

ومع ذلك فقد كان يتمتع داخل محيط الليكود بصيت رائع، ففى الانتخابات التمهيدية لتحديد المرشحين للانتخابات التشريعية عام ١٩٩٦ احتل المركز الأول بينما لم يكن قد مضى سوى شهران على انضمامه للحزب، وكان يرفض فى ذلك الوقت أن يزاحم للتنافس على رئاسة الحكومة ويوضح قائلاً: أنا لست مرشحاً للمنصب ولا تحركنى استطلاعات الرأى وأشكر كل من يساندنى إلا أن شيئاً من هذا لا يغير من الطريقة التى اتبعها فى مسارى، وهو عموماً الوزير الوحيد من التيار اليمينى الذى يقاوم ضغط الغوغاء من المتطرفين الذين يمثلون عقبة فى طريق مسيرة السلام!..

إسحق موردخاى واتفاقات أوسلو:

منذ انضمامه للحكومة التى شكلها نيتنياهو، فقد ظل موردخاى دائماً يركز على ضرورة الالتزام واحترام النصوص الموقع عليها مع السلطة الفلسطينية وهو ماكان يؤكده أيضاً دافيد ليفى «وأن ذلك لمصلحة الحكومة نفسها فليس هناك من أمل للتوصل إلى سلام فى المنطقة دون اتفاق يتم بين إسرائيل والفلسطينيين، واتفاق أوسلو عالج مطالب الطرفين، ولكن للأسف الشديد فإن هذا الاتفاق فيه مجازفات تتعلق بشئون الدفاع وأنا أعتقد أن رابين وبيريز أخطئا لرغبتهما فى التعجيل فلم يحفلا بمشاعر الرأى العام مثلما حدث من ردود أفعال الإسرائيليين إثر سلسلة محاولات الاغتيال فى فبراير ومارس ١٩٩٦. ففى ذلك الوقت كان يجب على حكومة بيريز التريث والحذر والاهتمام بمشاعر الجماهير ولكن بيريز فعل العكس، وفعل شيئاً لم يحدث من قبل وفى أحد لقاءاتنا قلت له أنه من المستحيل الاستمرار فى المفاوضات السلام بينما فى الجانب الفلسطينى تتصاعد موجة العنف... ورد على بقوله لم يكن هناك مجال للتريث والإبطاء وأن مسيرة السلام هى أفضل رد على «الإرهاب» فقلت له أن السلام مثل الحرب يحتم وجود موافقة وطنية.. وللأسف لم يأخذ بنصائحى!.

ومـوردخـاى ليس مـسـتـعـداً لانتـقـاد علنى للطريقـة التى يدير بهـا المبـاحـثـات مع الفلسطينيين، مرة واحدة بشأن مرحلة الانسحاب الثانية من الضفة الغربية ونقل بعض أجزاء من الأراضى إلى السلطة الفلسطينية، تخلى موردخاى عن تحفظه وهاجم سياسة الحكومة مهدداً بتقديم استقالته إذا لم يتحقق تقدم قبل أبريل ١٩٩٨ وهذه التصريحات كانت لاحقة لاستقالة وزير الخارجية دافيد ليفى فى يناير ١٩٩٨ .

تقابل موردخاى أربع مرات خلال عمله مع ياسر عرفات وقال أنه ارتبط معه بعلاقة احترام متبادل ويقول موردخاى: «كمبدأ أنا أحترم كل من تحدث معى من العرب حتى هؤلاء الذين مثل ياسر عرفات ممن ألحقوا بنا أكبر المآسى!... وفى أحاديثنا اعترف لى كم كان صعباً عليه التفاوض مع نيتنياهو وطلب منى محاولة التأثير على مجرى الأمور فأوضحت له بأن اهتمامنا الرئيسى يظل أمن الشعب الإسرائيلى وأضفت قائلاً: فى رأى أن الفلسطينيين لم يبذلوا جهوداً كافية لاحترام تعهداتهم» !

ويتحفظ موردخاى فى اتخاذ موقف بشان الاتفاق النهائى الذى يود التوصل إليه مع الفلسطينيين ويعرف أنه لايجب دفع المسيرة بشكل مفتعل و«أنه من الضرورى مسبقاً تعميق العلاقات بين الفلسطينيين والإسرائيليين ويجب التقدم خطوة خطوة تاركين للنهاية القضايا الأكثر تعقيداً.. وأنا أخشى لو انتقلنا فوراً لمناقشة المشاكل الأكثر تعقيداً فسوف نصل إلى طريق مسدود سيكون صعباً الخروج منه». وكان صبره وانفتاحه تماماً مثل اعتداله النسبى وتعلقه الصادق .. بمسيرة السلام كل هذا لم يكن غريباً أن يتوج بتوقيع اتفاق الواى ريفر فى نوفمبر ١٩٩٨ .

علاقات موردخاى بقادة العرب:

أثناء الأزمة بين الولايات المتحدة والعراق فى فبراير ١٩٩٨ أدلى إسحق موردخاى برأيه فى العلاقات مع الدول المجاورة للصحفى دانييل بن سيمون فقال : «فى عام ١٩٩٧ دعانى الرئيس مبارك وفى آخر لحظة أبلغت أن المقابلة ستتم ليس كما كان مقرراً فى القاهرة وإنما فى أسوان بجنوب البلاد، وسرعان ما بدأ سيل التعليقات تفسر أن الهدف هو

إبعادى عن العاصمة وبالتالى عن الرأى العام للشعب احتجاجاً على السياسة الإسرائيلية، وهذا التفسير كان خطأ ففى حقيقة الأمر كان مبارك يريد أن أتعرف على قادة الجيش المصرى والاجتماع كان ودياً للغاية واستقبلنى بالاحترام الواجب لمنصبى وتحدثنا باللغة اللعربية وبقليل من الإنجليزية، وأحسست أنه يتحدث معى بحرية ولاشك أن ذلك يرجع إلى أننى كنت من مواليد المنطقة.. رجل ولدفى دولة عربية ويعرف ثقافة وعقلية سكان المنطقة»...

«وأنا أعرف مدى حساسية القادة العرب بشأن الاحترام الذى يلاقونه من محدثيهم، ولأسفى الشديد حدث كثيراً من المسئولين الإسرائيليين أن عبروا باستخفاف وازدراء عن آراء محدثيهم خلال مقابلاتهم معهم وهذا من أخطر مايحدث وأحياناً ما تسبب فى إثارة الأزمات مع الدولة المعنية وعلاقاتنا معها»....

«فمنذ أن يسمعوك تتحدث لغتهم تصبح فى نظرهم كأنك واحداً منهم وإذا ما عبرت عن احترامك وتقديرك لهم فسرعان مايبادلونك نفس المشاعر ولقد مكثت مع الرئيس المصرى مايقرب من ساعات ثلاثة ثم دعانى للغذاء على مائدته، وكانت هيئة أركان الجيش المصرى تقريباً بالكامل حاضرة. ولقد تبادلنا الأحاديث بكل حرية عن مشاكل العالم وعن قضايانا المشتركة وعن الوسائل الكفيلة بتحسين علاقاتنا.. وكان جو الحديث رائعاً ممتازاً وبعد الغذاء دعانى الرئيس مبارك قائلاً اجلس مع وزير الدفاع ولست أشك أنكما ستجدان حلاً لمشاكلنا ومشاكلك الأمنية! وبالفعل كانت المقابلة مثمرة وانتهت على أحسن مايكون.. بل ولقد أقمنا معا علاقات شخصية، وهكذا وعلى أثر حادث تصادم الطائرتين الهليكوبتر الحربيتين الإسرائيليتين، وصلنى من وزير الدفاع المصرى برقية عزاء فى مصرع أكثر من ٧٠ فرداً من جنودنا وطلب منى أن أنقل مشاعر العطف منه ومن الشعب المصرى إلى عائلات الضحايا»!!

«وأقمت أيضاً علاقات ممتازة مع الملك حسين وأثناء لقائنا صرح لى بقلقه من تجميد مسيرة السلام مع الفلسطينيين وخوفه من مخاطر التخلى عن اتفاق أوسلو ومايحتمل أن يثير القلاقل فى بلده مما يعرض للخطر استقرار نظام الحكم»..!

«ويختلف الأمر مع الجنرال «حافظ الأسد» .. فلدينا ميل كبير فى التركيز على المخاطر العراقية والإيرانية مع أن أكثر الاحتمالات خطورة هى من الجبهة السورية، حيث نواجه جيشاً نظامياً متأهباً طوال الوقت ويمتلك مئات من انطائرات والصورايخ المزودة برؤوس كيماوية وبيولوجية، وهدف الأسد الاستراتيجى هو استرداد مرتفعات الجولان بالوسائل السياسية.. إلا أننى أخشى ويشاركنى فى تخوفى جهاز أركان حرب جيش الدفاع أن يحاول إذا ما أيقن من أن إسرائيل لاترغب جدياً فى التفاوض معه، أن يقدم على شن عملية حربية محدودة بأمل تنشيط مسيرة التفاوض!.. ومن العسير مع السلحة الحالية التنبوء ألا تتحول عملية محدودة إلى حرب مدمرة، بالإضافة إلى العراق وإمكانياته المحدودة فإن سوريا تهددنا بشكل أكثر احتمالاً ويعرض وجود إسرائيل للخطر ولخوفها من قوى الردع التى نمتلكها لما ترددت! والأسد يعلم أن أى هجوم بالأسلحة الكيماوية أو البيولوجية يشن على الأراضى الإسرائيلية ممكن أن يؤدى إلى عمليات ثأرية قادرة على تدمير أجزاء كبيرة من بلاده، وذلك لايقلل بأى حال من الأحوال ضرورة أن تتوصل إسرائيل إلى ترتيب سلام مع السوريين تأخذ فى الاعتبار حاجتنا للدفاع واستتباب الأمن»!

وفى هذا المجال فإن تحليلات موردخاى ليست بعيدة عن أفكار رابين وبيريز فزعيما حزب العمل كانا مقتنعان بأن عدم وجود اتفاق سلام مع سوريا سيؤدى إلى احتمالات نشوب حرب جديدة أكثر تدميراً من الحروب السابقة، وفى أحد الأحاديث التى لم تكن للنشر قال «أن ترسانة الأسلحة التى تمتلكها سوريا هى أخطر من كل ماتملكه الدول العربية ويشارك موردخاى رابين فى رأيه: «نحن نواجه زعيم عقلانى هو حافظ الأسد فهو يدرك أن أى هجوم سيسفر عن عشرات الآلاف من الضحايا وفى نفس الوقت يعرف بأن رد الفعل الإسرائيلى يمكن أن يؤدى إلى التدمير الكامل لبلده.. لهذا فهو ليس فى عجلة من أمره ليشن حرباً علينا»!!

وإذ توصل كل من رابين وبيريز إلى هذه الخلاصة وأن التهديد سيظل قائماً فإنهما يدركان تمام الإدراك أن الأفضل لإسرائيل التخلى عن كل الجولان مقابل سلام شامل ولاشك يشاركهما موردخاى هذا الاتجاه وبصفته براجماتيا معتدلا فإن موردخاى يستفيد برأسمال من المحبة لدى القادة العرب، فلقد بدا لهم - فى ذلك الحين - كرجل يمكن التوصل معه إلى شئ ما!.

مفارقات الدور الثانى:

بالرغم من الأثر الذى أحدثه زعامة موردخاى على قمة حزب الوسط، إلا أنه لم يتمكن من فرض نفسه كأفضل المرشحين لمنازلة نيتنياهو، وهذا السبب الذى جعل آمنون شاحاك يسأل إيهود باراك للتنازل لإتاحة الفرصة للمعارضة بقيادة موردخاى للإطاحة برئيس الحكومة.. هذه المبادرة الغريبة كانت تحسباً لتنظيم الدور الثانى حتى قبل انتهاء الدور الأول.. مناورة نظمت بنصائح من باراك! أما رد حركة «إسرائيل آهات» فعلى العكس تماماً إذ يقول: إذا فشل موردخاى من أول دور فهو مضطر أن يوجه بعض السهام إلى زعيم حزب العمل مع أن غريمه الرئيسى سيظل: نيتنياهو. وفى المؤتمر المؤسس للحزب يؤكد موردخاى أنه أقدر من إيهود باراك على إدارة شئون البلاد فباراك واحد من قاطنى الكيبوتزات الإشكنازية ولايستطيع باراك مثله فهم العقلية الشرقية وعقليات القادة العرب والذين يجب يوما ما التوقيع معهم على السلام وربما كان يضمر شيئاً آخر.. عقلية السفارديم ومجتمعاتهم بين الإسرائيليين! وكان هذا الهجوم من جانب موردخاى ربما يعكس نزعة عرقية لرفع شأن قومه من السفارديم ولم يثر أى رد فعل، فباراك مثل نيتنياهو، لكن لأسباب أخرى كان قد قرر تجاهل ترشيح موردخاى ربما ليطالبه بالابتعاد لصالحه لأنه الأجدر على مصارعة نيتنياهو، وقادة الوسط أنصار موردخاى شاحاك وميريدور وميلو يهمهم مهما تكلف الأمر أن ينهزم نيتنياهو بأى وسيلة.. وظل موردخاى يعتقد فى «التصويت الاستراتيجى» الذى سينقله للدور الثانى ويؤكد أن بحوزته استطلاعات رأى سرية أكدت له انه سيواجه نيتنياهو بل وأيضا باراك إلا أن استطلاع الرأى بصورة رسمية أثبت أن باراك هو الذى سيفوز وأن أسهم موردخاى فى هبوط منتظم! وهكذا وبدلاً من «التصويت الاستراتيجى» حسب تعبير موردخاى رأينا تراجعاً استراتيجياً حسب تعبير باراك، وعند اقتراب موعد الاقتراع ضعفت فرص موردخاى بينما ترتفع فرص باراك وطبقاً لاستطلاعات الرأى فى منتصف أبريل ١٩٩٩ أى قبل الموعد بـ ٩ أيام كانت التنبؤات تشير إلى فوز باراك بنسبة ٤٢٪ و٣٧٪ لنيتنياهو أما موردخاى فكانت النسبة ٧٪ فقط، وفى الدور الثانى كانت الاستطلاعات تعطى لباراك نسبة ٥٠٪ من أصوات الناخبين مقابل ٤٢٪ لنيتنياهو وبهذا اتضح أن الحرب النفسية التى شنها باراك بخطته الإبقاء على ترشيح موردخاى بلغت أوجها

اعتباراً من ٨ مايو ١٩٩٩ إذ يقوم حزب إسرائيل آهات بتسريب أنباء عن أن استطلاع الرأى يؤكد فوز باراك من أول دور حتى ولو تمسك موردخاى بترشيح نفسه.

واتضح تماماً أن حزب الوسط سيتحمل الآثار المترتبة على عناد وإصرار موردخاى: فالبستة أو السبعة النواب فإن الجنرال موردخاى لن يعين وزيراً للدفاع.. وكانت هناك أقاويل عن وعد قدم لموردخاى لتنازل مبكر!

وفى الحقيقة فإن باراك كان يضع فى اعتباره اتباع نفس أسلوب بنى جوريون ورابين فى الجمع بين رئاسة الحكومة ووزارة الدفاع والتى هو خبير فيها!!

وذلك لم يمنع موردخاى من الشعور بالغيظ ويبوح للمقربين منه بأن ضغوط رجال باراك تشبه تلك التى عانى منها فى حادثة الأوتوبيس ٣٠٠ الذى التصق به دوماً. بل وكانت الضغوط من جانب أصدقائه أعنف، فتفاقمت الخلافات بين أوساط حزب الوسط مما ضيق الخناق على موردخاى فجعله يدعو إدارة الحزب يوم ٩ مايو ١٩٩٩ قبل الانتخابات بثمانية أيام بغية اتخاذ قرار حاسم وجوهرى وبالفعل اتخذ القرار بإجماع الآراء: الاستمرار فى المعركة!

فاستطلاعات الرأى داخل حزب الوسط تؤكد أن تنازل موردخاى لن يساعد باراك فى الفوز من أول دور، ولن يستفيد فى نهاية الأمر سوى نيتنياهو، وعلى العكس فإن فرص مستقبل حزب الوسط سوف تتأثر تأثراً شديداً.

وفى واقع الأمر فإن موردخاى قد هدد باعتزال الحياة السياسية إذا ما أجبر على سحب ترشيحه لمساعدة باراك من أول دور، ولم يعط أى أمل فى إيجاد حل لشركائه الذين لديهم الحس السياسى والواقعى من أمثال: ميريدور وميلو وشاهاك والفيلسوف رابين لم يكن يرى حلاً آخر لإبعاد نيتنياهو نهائياً وفريقه من المتعصبين دون الدخول فى متاهات الأفكار والمفاهيم «الشرقية» للسفارديم من أتباع موردخاى!!

وفى النهاية أدرك موردخاى أنه لم يعد لديه أى أمل فى القدرة على منازلة المرشحين الأساسيين، ففى استطلاع للرأى يوم ١٤ مايو ١٩٩٩ تراجعت نسبته إلى ٤,٦ بينما باراك

كان وبانسحاب بشارة يوم ١٥ مايو متوقع فوزه بـ ٥٠٪ من أول دور وأن انسحاب بيجين هو وبشارة سيجعل نسبة الفوز ٥٠,٣٪ ثم ماذا عن أمل زملاء موردخاى فى مناصب فى حكومة باراك القادمة... فى مقابل انسحابه يوم ١٦ مايو ١٩٩٩!... سيظل ذلك مرتبطاً بهزيمة تيار الوسط فى الانتخابات التشريعية ومجموعة صغيرة لها ستة مقاعد. وهذه الانتخابات استفاد منها حزب شاهاك وحده وبمساندة غير مباشرة من جانب عرفات أو ببساطة بفضل النفوذ الأمريكى لتأمين انتخاب باراك وفريقه!... إلا أنه من العدل أن نكرر مرة أخرى ودائماً أن فوز إيهود باراك كان له أبلغ الأثر فى التمهيد لعزل نيتنياهو!!!

استمرار مسلسل الفضائح!!

فى الوقت الذى يخطط فيه «عيزرا وايزمان» رئيس دولة الإرهاب، ليختتم حياته العسكرية والسياسية فى صورة «داعى أو مدعى السلام»!!.. فجأة تحول إلى هدف للهجوم من وسائل الإعلام ومعظم الأحزاب والطوائف داخل المجتمع الإسرائيلى، فخلال الفترة الأخيرة اكتشف الإسرائيليون أن رئيسهم السابع الذى كانوا حتى وقت قريب يعتبرونه أحد صقور الحرب، الذين كان لهم دور كبير فى بناء الدولة العبرية، وخاصة أنه خاض كل حروبها باستثناء حرب أكتوبر أبر الهزائم فى تاريخهم، كما خاض معاركهم من أجل تحقيق الأمن بإقرار السلام، تحول إلى أفاق ومرتش، استغل مناصبه السياسية فى التربح بل واستغل جهاز المخابرات الإسرائيلى فى عدد من معاركه الشخصية، وطفت على السطح فضائح عائلته وتحولت إلى حديث الشارع الإسرائيلى!

الغريب فى الأمر أن الحملة لم يتخلف عنها أحد بل اشترك فيها المتشددون والحمائم واليساريون، ولم يرحموا شيخوخة رئيسهم أو تاريخه السياسى وتاريخ عمه «حاييم وايزمان» أول رئيس لإسرائيل الذى كان الإسرائيليون يعتبرونه نبى الدولة العبرية، وهو ما أثار الكثير من التساؤلات حول الدوافع الحقيقية التى فجرت الحملة، المحللون أكدوا أن الحملة الأخيرة بقدر ما وراءها من دوافع سياسية فإن وراءها دوافع شخصية وأن الذى يحاربه الإسرائيليون من خلال الحملة ليس عيزرا وايزمان، وإنما مشروعه للسلام مع سوريا وخاصة أنه أعلن أكثر من مرة أنه يريد أنه ينهى حياته السياسية بتحقيق السلام معها!

ونتيجة لتمسكه بالسلام بدأ أعداء السلام ينصبون له المكائد، واشترك معهم عدد من مؤيدى السلام ظاهرياً حتى أن «باراك» نفسه رغم الأضرار التى ستلحق به من ابتعاد «وايزمان» عن الصورة، اشترك فى هذه المكائد، ولأنه يريد أن يكون النجم الأوحد أمام العرب والعالم، كذلك اشترك فيها أيضاً «آرييل شارون» فمن الواضح أنه لم ينس مافعله فيه «وايزمان» بسبب دعاياته للاستيطان، فانتظر الفرصة التى سنحت له بعد وصوله لزعامة الليكود للنيل من «وايزمان» بسبب دوره فى السلام مع سوريا الذى لايريده المتشددون الذين لم يرحموا حالته الصحية، ولم يكن تردده على مستشفى «هاداسا» فى الفترة الأخيرة لعدة مرات شفيعاً له ليتركوه يموت وهو فى صورة «داعى السلام» الذى وقف لهم ودافع عنه حتى يعيش هو وابنته فى أمان، وهو يفعل ذلك ليس حباً فى العرب أو السلام لأنه مازال يتفاخر بابنه «شاؤولى» الذى أصيب فى حرب الاستنزاف ومات وزوجته فى حادث سيارة منذ سنوات ويعتبره «بطلا» بل إنه تاجر به كثيراً ليجمع تبرعات لعلاجه ولنفسه من رجال الأعمال اليهود، ولكنه الآن يواجه سيلاً من الاتهامات بالفساد والرشوة!

ويقول محضر التحقيقات الذى بدأ ببلاغ قدمه الصحفى «يواف إسحاق» ضد «وايزمان» **لتهربه من الضرائب واختراقه للقوانين الإسرائيلية**، وخاصة قانون الرئاسة، أنه تلقى ملايين الدولارات من رجل **الأعمال اليهودى** الفرنسى «إدوارد ساروس» بصورة مباشرة وغير **مباشرة، وحوالى ٣٠٥ مليون** دولار **من** رجل الأعمال الإسرائيلى «دافيد بلس» للصرف على حملته **الانتخابية فى أوائل الثمانينيات** ويؤكد أن «بلس» لديه الأدلة على ذلك بتوقيع **«وايزمان» لكنه يرفض تقديم هذه الأدلة!**

كشفت التحقيقات أيضاً عن أن «وايزمان» نفذ عملية موسادية بمشاركة عناصر أمنيه من أصدقائه لإنقاذ صديقه رجل الأعمال «ساروس» من عملية تصفية، كانت مجموعة «كارلوس» الإرهابية تعد لها فى مكان سكنه «بكوستاريكا» حيث توافرت لديه معلومات من أوروبا من المقربين لمنظمة «أحمد جبريل» تؤكد أن «ساروس» فى خطر وأن كارلوس يسعى لتصفيته فتعاون معه رئيس الموساد وقتها «ناحوم إدمونى» وأبرز عناصر الشاباك وقتها «عاموس جوران» وتم نقل «ساروس» إلى السفارة الإسرائيلية فى كوستاريكا تحت حراسة مشددة ومنها إلى المطار باسم مستعار ليعود إلى إسرائيل وهو فى حالة ذعر شديد، فقدم إلى «وايزمان» حوالى ٦,٥ مليون دولار» لحملته الانتخابية التى كان يعد لها عام ١٩٨٤ وهو

رئيس حركة «يحد» اليسارية حيث كان يحلم بأن يكون رئيساً للوزراء، ولكن هذه الملايين لم تنقذ «وايزمان»، كما أنقذت «ساروس»، من هزيمة كبيرة فى الانتخابات!

ويؤكد «موريس ساروس» أن عمه كان ينوى التبرع بمائه مليون دولار لإسرائيل، إلا أنه غير رأيه بعد هذه القضية والمعروف أن «ساروس» تربى فى السودان فى بداية العشرينيات لأسرة غنية أصلها من تونس والعراق، ولم يكن مواطنا إسرائيلياً فى أى وقت من الأوقات، وفى نهاية الأربعينيات ترك «ساروس» السودان مع أسرته إلى إسرائيل لكنه سافر إلى أوروبا وحده حيث يتاجر فى كل شئ خاصة البضائع الأفريقية فى أوروبا، وكان من أوائل من استثمروا أموالهم فى القطن الأفريقى وأقام عدة مصانع للملابس، ثم أقام عدة شركات للبناء حتى أنه أقام مدناً كاملة فى أفريقيا كما يقولون وتاجر فى السلاح فزادت ثروته الموجودة فى ألمانيا وفرنسا وغيرهما، وهذا ما جعل «كارلوس» يهدده بالقتل لخلافات مادية فيما بينهما!!

وتعرف «وايزمان» على ساروس عن طريق الملحق الجوى الإسرائيلى فى باريس الميجور «جافى تورند» منذ الستينيات، ولكن العلاقة توطدت بينهما عام ١٩٨١ عندما تفرغ «وايزمان» للعمل فى عالم الأموال فشاركه فى شركة لاستيراد السيارات اليابانية بصورة غير مباشرة، ولإعجاب تاجر السلاح بسياسة «وايزمان» السلمية أراد أن يراه رئيساً للوزراء حتى أنهما تشاورا فى مستقبل السلام مع مصر والوضع السياسى والأمنى الإسرائيلى بعد هذا السلام.

وتشير التحقيقات إلى أن ملايين «ساروس» التى أعطاها لـ «وايزمان» لم تكف لتحقيق حلمه بل إن حركته تواجدت فى «الكنيست» بثلاثة مقاعد فقط، وهذا دليل على إدانة «وايزمان» بتحويل هذه الأموال إلى حساباته الخاصة، ولكن محامى «وايزمان» يؤكد أنه لم يهتم فى حملته بالأمور المادية وتركها لبعض مساعديه.. ورغم أن الدفاع لازال راسخاً بصورة ما حتى الآن إلا أن هناك فضيحة أخرى قد تهز هذا الرسوخ وهى الخاصة بابن وايزمان «شاؤولى» والذى اتهمته إحدى السيدات بأن لديه منها ابنا غير شرعى يجب أن يرث فى ميراث جده وايزمان الذى تعد أموال «ساروس» جزءاً منه حسب زعم التحقيقات،

وقد كسبت هذه السيدة الدعوى وحصلت على شقة رائعة ثمنها يقترب من نصف مليون دولار.. ويتهم البعض «وايزمان» إأه أنفق على علاجه وعلى علاج ابنه وعلى القضية من الأموال التى أعطاها له «ساروس» ولايزال «وايزمان» حتى الآن غير معترف بحفيده ولايزوره أبداً رغم أن الطب الشرعى أكد أنه حفيده!!

ويؤكد المقربون من «وايزمان» أنه يمر بضائقة مالية فهو لا يحصل إلا على معاشه من الجيش الإسرائيلى وراتب الرئيس أى حوالى خمسين ألف شيكل شهرياً وهو مبلغ صغير بالنسبة للمقاييس الإسرائيلية ومكانته، وهو يملك فيلا فى قيسارية وشقة فى «كفر صبا» اشتراها فى فبراير ١٩٩٥، بعد أن باع قطعة أرض ورثها بحوالى سبعين ألف دولار، وكان وايزمان يرفض كل الهدايا الخاصة منذ وصوله للرئاسة عام ١٩٩٣ حسب القوانين الإسرائيلية وهو ينفى تماماً الاتهام المتعلق بحساب ابنته «ميخل» وزوجها عن طريق صناديق الائتمان التى كان يمولها «ساروس» لفترة قريبة ويديرها محاميه «برندس» حيث يؤكد الدفاع أن هناك علاقات تجارية بين «ساروس» وميخل وزوجها استمرت لفترة قصيرة.

وكل الحقائق فى إسرائيل حاليا تؤكد المثل القائل : «مصائب قوم عند قوم فوائد» حيث استعد «شيمون بيريز» لترشيح نفسه كرئيس ثامن لإسرائيل رغم إصرار «وايزمان» على عدم الاستقاله ورغم أن «بيريز» كان يعتبر قصر الرئاسة فى القدس صحراء جرداء يرسل إليها البعض ليموتوا فيها لكنه غير رأيه لأنه لايريد أن يكون وزيراً فى حكومة «باراك» ولان الرئاسة ستساعده على تحقيق آماله الأخيرة وخاصة أنه حصل على دعم المتشددين قبل اليساريين وكذلك لأنه صاحب عملية «عناقيد الغضب» وبطل من ورق فى «مذبحة قانا» وهذه تعد أوراق اعتماد كافية لديهم حتى أن البعض يؤكد أنه سيحصل على أصوات ١١٩ عضواً من الـ ١٢٠ عضواً، وان «باراك» هو العضو الوحيد الذى يرفضه وعلى ذلك فإن أهم عائق أمامه هو زوجته «سونيا» التى لايناسبها منصب زوجة الرئيس!... ولذلك فهو مستعد لتقبل «رؤومة» زوجة «وايزمان» بدلاً منها!

ويؤكد المحللون أن الذى يحاربه الإسرائيليون ليس «عيزرا وايزمان» وإنما طرحه للسلام؛ فلأول مرة فى تاريخ إسرائيل يتم التحقيق جنائياً مع الرئيس ولم يشفع له تاريخ عمه «حاييم» ومساهمته فى إقامة الدولة العبرية ولا تاريخه العسكرى والسياسى فهم يشيعون

أنه يريد أن يهدم ما بناه عمه!!.. وسقط وايزمان.. ليتولى «موشيه كاتساف» رئاسة دولة الإرهاب!

موردخاى.. والفعل الفاضح!!

لاعصمه لأحد.. والكل سواء أمام القانون فى إسرائيل!... وكما تشير الكاتبة «سناء السعيد»:

ليت إسرائيل تتعامل مع قضايا المنطقة تعاملها مع قضاياها فى الداخل، حيث الشفافية والأسلوب الديمقراطى والمبدأ القائل بأن شرعية القانون فوق الجميع وأن الجميع أمام القانون سواء.. ليت إسرائيل تتخلى عن سياسات التسويف وإضاعة الوقت وفرض الإملاءات على العرب وتطويع القضايا لمصالحها واستغلال الأمور لصالحها وتلجأ إلى سياسة الحسم التى تنتهجها حيال قضاياها فى الداخل!

كانت هذه مقدمة استهلالية لابد منها قبل الدخول فى موضوع إسحق موردخاى وزير الدفاع السابق فى حكومة نيتنياهو، ووزير المواصلات فى حكومة باراك ورئيس حزب المركز فلقد تفجرت فى أول مارس فضيحة القرن الحادى والعشرين عندما تحركت كل مؤسسات إسرائيل لتكيل الضربات وتلصق الاتهامات بموردخاى.. ونجحت وسائل الإعلام بالضجة التى أثارتها حتى قبل أن يثبت الاتهام فى تسليط الضوء على الرجل بوصفة زير نساء!.. فالمرأة نقطة لديه.. فلا يكاد يرى واحدة إلا وينساق وراء نزواته وكأن الشهوة وحدها هى التى تحركه فيخلع عباءة المنصب ويرتدى مسوح «فالانتينو» أو دون جوان!.. آخر هؤلاء فتاة من القدس موظفة تعمل فى مكتبه فى الثالثة والعشرين من عمرها.. على مدى عدة أشهر تعرضت منه لمضايقات جنسية، بدأت بعبارات جنسية وامتدت إلى التقبيل والمعانقة.. وشكوى الفتاة توضح أنها كانت تمانع ملاطفة موردخاى لها ومداعبته ولكنها لم تشك.. ولكن وفى الخامس والعشرين من شهر فبراير حدثت تطورات، فلقد استدعاها وأغلق عليهما الباب ولاطفها فى البداية وداعبها كما اعتاد.. وعندما تمنعت ظن أنها تتمنع وهى الراغبة وهنا أراد استخدام قوته وإعطاءها البرهان على فحولته فطرحها أرضا وحاول انتزاع ملابسها ولكنها قاومت. لم تستسلم لرغبته المحمومة وانفجرت باكية وأدرك الرجل الجسور

أنها تعترض على الأسلوب وخشى الفضيحة فتركها.. خرجت تهرول من مكتبه منتحبة باكية وشاهدتها بعض العاملات وصممت على أن تشكوه!

فى إسرائيل ليس هناك فرق بين وزير وخفير، فالكل أمام القانون سواء والسوابق تحكم، فقبل موردخاى، كانت هناك الفضيحة الكبرى ضد وايزمان رئيس الدولة والتى أبى القرن العشرون أن يمضى قبل أن يفجرها.. وطالبه الكثيرون بالاستقالة أو بالخروج فى عطلة إلى أن تظهر الحقيقة.. كانت فضيحة وايزمان مالية وليست نسائية..!

وجرى التحقيق معه بعد قرار النيابة العامة بإحالة القضية إلى الشرطة.. ولم يستنكف من أن يحقق معه رغم أنه رئيس دولة ورغم أن هذه هى المرة الأولى فى تاريخ إسرائيل التى يتعرض فيها رئيس دولة إلى التحقيق.. لم يشعر وايزمان بالحرج ولم يستنكر الأمر لم يقل كيف تحققون معى وأنا رئيس دولة؟! وقبل وايزمان كان نيتنياهو رئيس وزراء إسرائيل السابق وكيف أنه اتهم بالحصول على رشوة وهدايا أثناء عمله كرئيس للوزراء.. وسيق نيتنياهو وزوجته للتحقيق معهما عبر أكثر من عشر ساعات..!

وقبل نيتنياهو كان اريه درعى زعيم حزب شاس الذى اتهم بالحصول على رشوه وحكم عليه بالسجن أربع سنوات.. فلا أحد فوق القانون!!

الضجة التى أثيرت لم يتحملها موردخاى.. بادر الرجل فأدلى ببيان صحفى ساعدته زوجته فى صياغته، أنكر خلاله تهمة التحرش الجنسى.. قال موردخاى: لم ألمس ولم أداعب.. ونفى الاتهامات الموجهة إليه جملة وتفصيلا مردفاً: لا يمكن أن أقدم على أعمال تتنافى مع المبادئ الأخلاقية وتتناقض مع كل القيم التى أؤمن بها.. وقال إنه يمر بفترة عصيبة ويستمد التشجيع من الله!.. وقال قررت الخروج فى إجازة بهدف إفساح المجال لتحقيق ناجح، وإنه يؤمن بأن الحقيقة ستتكشف وستظهر براءته!

إسرائيل ومؤسساتها ورجالها لم يرحموا، موردخاى رغم تاريخه السياسى والعسكرى، ورغم أن الموضوع ما يزال مجرد شبهات لم تتأكد فيه التهم بعد.. ورغم ماينطوى عليه هذا النوع من القضايا من حساسية فإن الجميع لم يتحرجوا من إثارته والتعقيب عليه.. حتى زملاء موردخاى وأعضاء حزبه حيث طالبوا بأن يتوقف عن العمل.. وسارع وزير السياحة

آمنون شاحاك.. وهو صديق له وعضو فى حزب المركز فقال إذا وجه اتهام لموردخاى فلا يمكن أن يستمر وزيراً أو رئيساً لحزب المركز.. وقال لا فرق بين الوزير وأى شخص آخر فهذه التهم خطيرة ويجب أن تؤخذ على محمل الجد!

لقد وقع موردخاى فى أتون أزمة طاحنة.. طوقته دائرة الشبهات بل وانتهز البعض الفرصة وراح ينسج قصصا حول علاقات موردخاى النسائية، وأن نساء أخريات فى نفس الوزارة قد اشتكين من مضايقاته الجنسية لهن.. وإن مجندات فى وزارة الدفاع عملن تحت قيادته عندما كان وزيرا للدفاع اشتكين منه أيضاً.. وبمجرد تفجير هذه القضية الجديدة تلقت الشرطة مكالمات هاتفية من نساء تعرضن للتحرش بهن فى الماضى.. تفاعلات قضية موردخاى تتوالى، وحتى لو ثبتت براءته فقد حدث شرخ من الصعب إصلاحه.. بل إن أول من تأثر بهذه الضجة هو حزبه «حزب المركز» والذى سيشهد صراعات عنيفة وبات مستقبله على كف عفريت!.. فالحزب يعانى من أزمة ثقة بين أعضائه الستة ويمكن أن ينحل بسبب الصراعات الداخلية والأزمة المالية والتجاوزات بخصوص تمويل الأحزاب.. وعليه فإن إعادة ترميمه قد تؤجل فى الوقت الراهن على الأقل حتى يبت فى التحقيقات الجارية لمعرفة ما إذا كان موردخاى متهما بارتكاب فعل فاضح أم أنه برىء؟!

منذ الرابع من شهر مارس عام ٢٠٠٠ حاول «موردخاى» أن يعرف ماذا تقول عنه المحافل فى إسرائيل.. كانت الفتاة قد توجهت بالشكوى إلى «إبراهام بورج» رئيس الكنيست الذى استمع منها إلى تفاصيل ما حدث لها مع الوزير موردخاى.. وشجعها «بورج» على أن تتوجه إلى الشرطة بعد أن وعدها بالمحافظة على السرية التامة.. إثر ذلك تردد أن الشبهات تحوم حول وزير.. ثم كشف النقاب عن هذا الوزير ونشرت الصحف وانبرت أجهزة الإعلام تتحدث عنه.. لقد أرفقت الفتاة بشكواها فحصا أجرى عليها بجهاز كشف الكذب وفيه ترد تفصيلاً على أسئلة طرحت عليها.. وكانت كلها حول عدد اللقاءات التى تم فيها التحرش الجنسى بها ونوع هذا التحرش.. ومن بينها سؤال يقول: فى الخامس والعشرين من فبراير استدعاك موردخاى إلى المكتب وهناك أدخل يده تحت ثيابك وداعبك عند منطقة البطن؟ وسؤال آخر يقول: هل قبلك فى العنق ووضع يده تحت قميصك وقال إنه يتودد إليك؟ وسؤال آخر: ماذا حدث عندما عانقك فى منطقة الخصر؟

قضية مورردخاى ساخنة وازدادت سخونة لأنها تفجرت فى تاريخ مثالى وهو الاحتفال بيوم المرأة العالمى!... فكانت فضيحة بجلاجل خاصة عندما أقام الكنيست ا.. .الية بيوم المرأة وهى الجلسة التى ستظل فى الأذهان طويلا حيث ألقيت فيها كلمات من رئيس الكنيست ورئيس الوزراء «باراك» وكانت فى مجملها حول الموضوع الساخن الذى سيطر على الجلسة وهو فضيحة «مورردخاى» التى أثارت عاصفة فى الأوساط السياسية فى إسرائيل.. فلقد أعرب «بورج» عن أسفه للكشف عن هذه القضية وأشاد بشجاعة الفتاة وأكد أنه توجه فى هذا الموضوع إلى المستشار القانونى للكنيست.. أما «باراك» ورغم أنه فى كلمته أمام الكنيست لم يورد اسم «مورردخاى» إلا أنه تحدث عن القضية عندما دعا الشخصيات العامة إلى أن يكونوا قدوة للآخرين، وعندما دعا كل امرأة إلى عدم الخشية من تقديم شكوى بغض النظر عن ماهية الشخص الذى اعتدى عليها.. وقال أن يوم المرأة لا معنى له إذا لم يواجه بعمل حاسم!

لقد توجت فضيحة «مورردخاى» يوم المرأة وسلطت عليها الأضواء.. حيث أثارت ضجة فى الكنيست فالواقعة مؤلمة ومؤسفة تسىء إلى الجميع.. والواقعة ألقت بظلال قاتمة على هذا اليوم الذى يحتفل فيه بيوم المرأة العالمى وعكست شعوراً بالصدمة، هل يمكن أن يكون «مورردخاى» ضحية مؤامرة ربما يكون الليكود هو المحرك لها، خاصة أنهم لم ينسوا له أنه ترك الليكود أثناء جولة الانتخابات الأخيرة فى إسرائيل لينضم إلى «باراك» ويشكل حزب المركز؟!

عامة لقد اتهم «مورردخاى» من قبل فى أكثر من واقعة، منها اتهامه بممارسة العنف ضد زوجته.. ورغم أن فعلة «مورردخاى» لم تصل إلى حد الاغتصاب إلا أنها جوبهت بقوة من الجميع، على أساس أن الشبهات لو تأكدت صحتها فلا يمكن التمييز عندئذ بين «مورردخاى» وبين أى مواطن عادى، فالكل سواء أمام القانون فى إسرائيل!!!

الفصل الخامس:

باراك..الدودة فى الفاكهة!!

باراك وحركة «إسرائيل آهات»

إيهود باراك عنيد يتشبث برأيه كمن يثق فى أنه سوف يفوز، فمنذ يوليو ١٩٩٦ وهو يحث الخطى خلف شيمون بيريز فى زعامة حزب العمل، ويتطلع إلى منصب رئيس الوزراء، فقام بجمع وتوحيد الأحزاب والتيارات اليسارية فى حركة موحدة أطلق عليها (إسرائيل آهات AHAT - تعنى إسرائيل واحدة) .. فمنذ ١٩٩٦ وحزب العمل يمر بأزمة حادة، وبدا أعضاء الحزب وكأنهم فقدوا طريقهم، منقسمون إلى شيع وجماعات إزاء «التحديات» التى تواجه البلاد، وعلى غرار البروفيسور شلومو بن آمى الذى سيلعب دوراً بارزاً فى إعادة تجديد تيار اليسار، وزعماؤه الجدد لايعرف الرأى العام عنهم الكثير، وآخرون أمثال رافى إيديرى Edery ويوسى بيلين Beilin، وهما من المقربين لشيمون بيريز قدما تجاربهما للاحتفاظ لحزب العمل بنفوذه التقليدى تجاه مسيرة السلام، أحدهما نحو المغرب والآخر نحو الفلسطينيين، ورجل مثل إيهود باراك كان يريد تنظيم حزب العمل بزعامته ليدور حول شخصه وأسماه حزب العمل «الجديد» بل واستبدل مقره القديم الكائن ١١٠ شارع هاياركون بتل أبيب بذكرياته الأليمة وينقله إلى مقر حديث واجهاته من الحديد والصلب!.. وكون إيهود باراك مجلساً أمريكياً لإدارة العملية الانتخابية وتمكن هذا المجلس من إسداء النصح له بضرورة تغيير هيئته وملابسه بل وكذلك ابتسامته ونبرات صوته عندما يتحدث فى التليفزيون!.. ومما يحسب لباراك نجاحه فى الاحتفاظ بعدة شخصيات من

حـزب أفـودا Avoda كان اثنان منهم قد استقر عزمهما على الانضمام لحزب الوسط «التيار الجديد» وهما أوزى بآرام Baram وحاييم رامون Ramon ولما كان المركز الأول على قائمة مرشحى الحزب من نصيب إيهود باراك بطبيعة الحال فقد منح المركز الثانى لشيمون بيريز والثالث هبه لدافيد ليفى واحتفظ لنفسه بعشرة مراكز مضمونة من بين العشرين مقعداً التى كان يأمل تيار اليسار فى الفوز بها. ويقوم باراك فى تحالفاته بضم كل من شلومو بن عامى Ami الذى فاز فى قائمة حزب أفودا Avoda ويوسى بيلين Beilin الذى يليه فى القائمة وبخلاف العمل كان تحالف باراك يضم حزب الجيش الذى انفصل عن الليكود وحزب الميماد Meimad المنبثق عن حزب المفدال Mafdal.

إيهود باراك ممثل جيل الصابرا:

إيهود باراك عمره ٥٨عاماً، وهو يفخر بمسيرته السياسية التى تشبه البرق اللامع، وكان وصوله إلى قمة الحزب بعد عامين فقط من دخوله المسرح السياسى ليصبح أصغر زعيم فى تاريخ الحزب ومن جهة أخرى فهو يعتبر ممثلاً لجيل الصابرا.. وباراك من مواليد ١٩٤٢ ووالدته من الرواد وقامت بتأسيس أحد معاقل الحركة الصهيونية الاشتراكية «كيبوتز مشمار هاشمك Hachmek» فى وادى جيزرييل jezreel، وعلى شاكلة صفوة جيله الصابرا فقد كرس حياته منذ شبابه للدفاع عن البلاد وأثناء أدائه خدمته العسكرية استطاع وهو فى سن الـ ٢٤ الحصول على ليسانس فى علوم الرياضيات من الجامعة العبرية فى القدس وفى سن الـ ٣٦ حصل على الدكتوراة فى الإدارة من جامعة ستانفورد بكاليفورنيا ويرقى إلى رتبه جنرال عام ١٩٧٩ وفى عام ١٩٨١ وبينما كان نائباً لرئيس أركان الحرب يشارك فى معركة «سلام الجليل» وفى عام ١٩٩١ وهو رئيس أركان حرب الجيش يشركه رابين فى المفاوضات مع الفلسطينيين ويكلفه بتنظيم عملية إعادة انتشار قوات جيش التساحال فى الأراضى المحتلة بعد توقيع اتفاقيتى أوسلو، ويتم تسريحه عام ١٩٩٤ فيحاول رابين ضمه إلى حكومته إلا أنه فضل أن يجرب حظه فى ميدان الأعمال الحرة، وبعد عدة شهور يقبل عرض رئيس الوزراء ويصبح وزيراً للداخلية وسرعان ما يتم اغتيال مرشده وصديقه الذى كان ارتأى فيه وريثه من بعده، فيقوم شيمون بيريز بتعيينه وزيراً للخارجية وإذ يقوم بإدارة

الحملة الانتخابية لرئيس الوزراء الجديد فيدخل فى صراع مع حاييم رامون حول استراتيجية الحزب فى انتخابات ١٩٩٦ ولم يستطع إنقاذ بيريز من الهزيمة وبلاتردد يطلب من بيريز أن يسلمه مقاليد الحزب!!

السباق نحو القمة:

كان إيهود باراك بالنسبة لـ «أيتام» الحز ب من الشباب الذين تركهم رابين بعد اغتياله المفاجئ يمثل بارقة الأمل، وكان رئيس الحزب - حتى قبل أن يترك خدمة الجيش - قد احتفظ له بموقع اختيارى فى التسلسل التدريجى لزعماء الحزب وقادته، وكان باراك يعتبر دائماً واحداً من «قادة» التيار اليسارى الذى يتوقع يوماً ما استلامه زمام القيادة، ومثله مثل رابين تكلل هامته الأساطير عن شجاعته وإقدامه فى العمليات العسكرية، وفى سن العشرين تنبأ له بأن يصبح عمّا قريب رئيساً للأركان وقد حدث ذلك بالفعل! وفيما بعد تنبأ له بأنه سيصبح رئيساً للوزراء.. وهذا أيضاً حدث بالفعل!

ومنذ بداية مسيرته العسكرية تميز باراك بالذكاء الحاد وقدرته على التحليل واستنباط الحلول لأعقد المشاكل وبجرأته فى المعارك وطموحاته التى بلا حدود!.. وبعد يومين فقط من انضمامه رسمياً للحزب واستلام بطاقته، يتقدم إلى اللجنة المركزية للحزب طالباً التصديق على تعيينه فى الحكومة!.. وصادف الطلب نجاحاً منقطع النظير حيث استطاع أن يلهب حماس أعضاء اللجنة المركزية الثلاثمائة لهذا النجم الصاعد الذى استبدل منذ ذلك اليوم الرداء العسكرى بالزى المدنى وموقع باراك بلا تعقيدات بين رابين وبيريز وهما زعيما الحزب التاريخيين والسؤال الذى يطرح نفسه كان عن مفاهيمه لشئون العالم وعن أفكاره السياسية برغم تمتعه بشهادات رؤسائه من كبار القادة العسكريين إلا أنه كان معروفاً عنه أنه يتحفظ إزاء أتفاق أوسلو لأنه فى رأيه يحمل فى طياته مخاطر على أمن البلاد، وخلال توليه منصب رئيس الأركان شارك بصفة خاصة فى تطبيق هذه الاتفاقية دون التخلى عن تحفظه وكان هو بناء على تكليف من الحكومة - الذى اختار كبار الضباط المنوط بهم التفاوض حول الاشتراطات والإجراءات العملية لإعادة انتشار القوات العسكرية.

أما بالنسبة للرأى العام الإسرائيلى فهو أحيانا صقر من الصقور وأحياناً حمامة وديعة وأحياناً ثالثة لاهذا ولا ذاك!.. وعلى أى حال فإن باراك وبكل تأكيد شخصية معقدة.. وهذه الشكوك والظلال حول آرائه لم تمنع أعضاء اللجنة المركزية للحزب من التصديق على دخوله الحكومة بإجماع الآراء بفضل «أمجاده العسكرية» التى أزاحت جانباً كل تساؤل حول أفكاره السياسية الأيديولوجية وكان قد سحرهم بأسلوبه الفذ الذى يشبه أسلوب جنرال آخر قادهم إلى النصر .. رابين! ويقول باراك: اليوم أدخل إلى الحياة السياسية رجال عرفتهم فى مراحل حاسمة من حياتى وبجانبى الرجل الذى أوصلنى إلى زمرة الصفوة .. رابين ...لدى شعور أن تجربتى سوف تنجح وتتيح لى الفوز فى انتخابات عام ١٩٩٦!

فى هذه الأيام كانت شعبية حكومة رابين فى انخفاض لدى الرأى العام بينما شعبية زعيم المعارضة نيتنياهو فى صعود.. وكان حزب العمل يبحث عن الوسائل التى تمكنه من استعادة مكانته والعودة للاستحواذ على رضاء جمهور الناخبين المترددين فى حيرة!..

وفى هذا الجو كان إيهود باراك هو العصفور النادر القادر على قلب الموازين لامتلاكه وسيلتى النجاح، الماضى العسكرى والطموح السياسى!.

الدودة فى الفاكهة!!

وبعد ٦ شهور من خلعه الرداء العسكرى فى يوليو ١٩٩٤ وبعد تجربته التى قضاها فى ميدان الأعمال التجارية يستدعى باراك ليعين فى منصب وزير الداخلية بعد خلوه لاستقالة آرييه ديرىDery إثر سقوط حكومة حزبه شاسshass.

وبداية باراك السياسية لم تكن تشبه أسلوب راعيه وحاميه رابين الذى لم يرق له امتناع باراك عن التصويت داخل الحكومة على اتفاقية أوسلو، الخاصة بوسائل تطبيق إعلان المبادئ ولم يكتم رئيس الوزراء خيبة أمله كما لم يقدر على كبح جماح غضبه من باراك معتبراً هذا الامتناع عن التصويت فى مسألة حيوية كهذه إنما هو عدم وفاء!.. ذلك لأن هذه الاتفاقية المبدئية هى مرحلة تمهيدية لمراحل أخرى حاسمة، وتحتاج إلى الموافقة الاجماعية من كل أعضاء الحكومة على تحفظاته.. فينظر كل من رابين وبيريز للآخر فى دهشة مستنكرين هذا الموقف من باراك!.. ويتذكر وزير الأمن الداخلى موشيه شاهال

Chahal كيف اصطبغ وجه رابين احمراراً من ثورة الغضب فيتجه نحو باراك ويقول له : إذا لم تكن اتفاقية أوسلو تروق لك فإن لك الحق عندئذ أن تستقيل من الحكومة...! كما أن وزراء آخرون اتهموا باراك أنه يريد تدعيم تيار الوسط ويغازله! .. وينتهى الأمر بباراك فيقرر ألا يصوت ضد الاتفاقية فيمتنع!!. .وبعد الاقتراع يبوح بيريز للمقربين منه أنه لو كان قد عرف مسبقاً بموقف باراك إزاء مسيرة أوسلو لما كان حبذ دخوله الوزارة!.. .. وكذلك يعترف رابين أنه ربما ارتكب خطأ لإدخاله الوزارة وكأنما أدخل «الدودة فى الفاكهة»!... ومنذ ذلك اليوم لم تعد العلاقة بين الرجلين كما كانت فى الماضى علاقة صداقة حميمة، أما باراك فيقول: الأمانة كانت تقتضى منى أن أضع أصابعى على عيوب وقصور الاتفاقية وأعتقد أنه من الأجدر أن يدرك الرأى العام أن مجلس الوزراء ليس غرفة تسجيل فأن هذا كفيل بان يشعر الإسرائيليون وكذا الفلسطينيون أن الحكومة ناقشت كل تفاصيل الاتفاقية وهذا وحده أفضل سبيل لضمان التطبيق السليم!

وفى أوساط حزب العمل كان البعض يرى فى موقف باراك نوع من الغمز بالعيون للتيار اليمينى يدعوه لاعتباره شريكاً قادماً للتيار اليمينى فى القريب العاجل. وفى هذا يقول موشيه شاهال Shahla: إن تصرف باراك هو تصرف شخص مرشح لزعامة حكومة ائتلافية أكثر منه وزيراً مخلصاً لحكومته القائمة!

وبعد اغتيال رابين صار باراك بالنسبة لكثيرين المرشح المرتقب لمنصب وزير الدفاع.. ومع ذلك فإن شيمون بيريز الذى خلف رابين كان لديه خططاً أخرى فعلى منوال رابين وما قبله بن جوريون كان يشعر بضرورة أن يجمع بين يديه منصبى رئاسة الحكومة ووزير الدفاع لأن مسئوليات الدفاع مسئوليات عليا والجمع بين المنصبين هو أفضل وسيلة للظهور بمظهر المسئول عن الأمن والدبلوماسية!.. وتجربته بجوار رابين علمته أن توجيه نظم الدفاع ضرورى لدفع مسيرة السلام مع الفلسطينيين والسوريين إلا أن وزراء لهم وزنهم مثل أوزى بارام Baram كان من رأيهم إسناد منصب وزير الدفاع لباراك ولو لاعتبارات انتخابية إلا أن بيريز يعاند فيحاول سكرتير عام الحزب نسيم زفيلى Zvili إثنائه عن قراره وإقناعه بالبقاء كرجل سلام وألا يشغل نفسه ويتفادى الاقتراب من العمليات الفدائية التى لن تتوقف ويستطرد زفيلى: لقد كان باراك رئيساً للأركان وهو بطل من أبطال الحرب ويعرف

ظروف الجيش وعقلية ضباطه، والإسرائيليون سواء كانوا من التيار اليسارى أو اليمينى يرون فيه رجل الأمن بلا منازع فلم إذن يحمل خليفة رابين نفسه ويكبلها بمثل هذا العبء، لكن زفيلى لا ينجح فى إقناع بيريز الذى كان يود أن يمحو صورته كسياسى ضعيف الشخصية ولم يكن مسلحاً بما يكفى لمواجهة الفلسطينيين فى المفاوضات، وكان على باراك الاكتفاء بمنصب وزير الخارجية لشعوره بأنه لايمكنه مجاراة بيريز وسياسته خاصة أن الحملة الانتخابية على الأبواب... وبعد شهرين يقرر بيريز تقديم موعد الانتخابات التشريعية ستة أشهر ويحدد لإجرائها شهر مايو ١٩٩٦.

باراك رئيساً للحزب:

وفى ٢٣ يوليو ١٩٩٧ انتخب باراك زعيماً لحزب العمل بعد عامين فقط من دخوله المسرح السياسى ويزعم باراك أنه يفتح عصراً جديداً فى العلاقة بين التيار اليسارى واليهود الشرقيين ولايتوانى عن التوجه إلى كانوسا Canossa، فمنذ إنشاء دولة إسرائيل كانت القاعدة الرسمية ألا تفرقه هناك!.. . وبهزيمة بيريز نجح باراك فى الاستحواذ على إدارة حزب العمل وإبعاد الثلاثة الذين كانوا يقارنون أنفسهم به وهم: يوسى بيلين Beilin وشلومـو بن عـامى Ami وإبراهام سنه Sneh وزير الصحة السابق، وفى الدور الأول من الاقتراع يحوز باراك على ٥٠٪ من الأصوات ولكونه حذر يرفض تأجيل الموعد ستة شهور بناء على اقتراح شيمون بيريز ليظل خلالها رئيساً للحكومة والحزب، وكان ذلك قبل أن يجهض الاقتراح بمنح بيريز لقب رئيس شرف الحزب!... ويعود انتخاب باراك مثله مثل رئيس الأركان السابق إسحق رابين لماضيه العسكرى عندما كان رئيساً للأركان، كما أن هزيمة بيريز تعود لعدم وجود هالة عسكرية تكلل هامته، هذا بالإضافة إلى أن باراك لم تفته فرصة واحدة للظهور بأنه وريث رابين على عكس بيريز الذى كان دائماً يفصل مابينه وبين رابين ولايتشبه به!... وما إن تم انتخاب باراك، فيحاول التقرب من المجموعات التى كانت عادة تولى ظهورها لحزب العمل وأولهم اليهود من أصول شرقية ورجال الدين ويصرح بأنه بدون مساندتهم فلن يكون أمام حزب العمل سوى قليل من الفرص لاستعادة زمام السلطة ..أعلن هذا فى اليوم التالى لفوزه وكانت أولى قراراته عقد المؤتمر القادم لحزب العمل ليس فى تل أبيب كما جرت العادة وإنما فى نيتيفوت Netivot وهى مدينة نامية وفيها عقد مؤتمر الحزب

فى شهر سبتمبر ١٩٩٧، وهذه المدينة تقع فى شمال النقب وهى كمثيلاتها من المدن النامية الأخرى يقطنها الإسرائيليون من أصول شرقية من شمال أفريقية وأغلبهم من رجال الدين وهى معقل من معاقل جزب الليكود وفى انتخابات مايو ١٩٩٦ جمع نيتنياهو منها أكثر من ٨٦٪ من الأصوات خلال انتخابات الكنيست، أما حزب العمل فلم يكن قد حصل منها على نسبة لاتتعدى الـ ٤٪ ورد باراك على كل من انتقد قراره بقوله: بدون استعادة أصوات الإسرائيليين من أصول شرقية سيظل حزبنا زمناً طويلاً فى صفوف المعارضة، وسبق الإشارة بأنه توجه إلى مدينة كانوسا Canossa لإثبات ألا وجود لأقل تفرقة تجاه السفارديم. إلا أن رئيس الحكومة الجديد إيهود باراك يطلق مفاجأة أذهلت الجميع إذ يطلب وعلناً الصفح عن الطريقة التى استقبل بها اليهود السفارديم عند حضورهم لإسرائيل وإذ يحاول استمالتهم بإثارة مشاعرهم فيبدأ خطابه بقوله: «أنا شخصياً لا أحمل وزر ذلك ولست أتحمل المسئولية التى وقعت على اليهود الشرقيين إلا أننى أعترف بالمظالم التى عانوا منها!..ثم يعددها بدون انفعال منها مظاهر الفقر كالطفل الذى كان يرقد نائماً داخل صندوق فى قرية أوفاكيم Ofakim أو زميله أثناء خدمته العسكرية من سكان أوريهودا yehouda الذى كان يخجل من دعوته لمنزله لكى لايشاهد فقر المنزل وانتهى الأمر بوالده أن عاقر الخمر مدمناً يائساً من فقره! ... ويستطرد قائلاً إننى أحمل معى هذه الذكريات بكل الألم وأشعر بأننى لن أستطيع أداء واجبى كزعيم للحزب بدون أن نطلب منكم الصفح ونقدم الاعتذار عن ما لحق بكم واليوم يجب علينا بشجاعة الاعتراف بالخطأ حتى نستطيع معاً مواجهة المستقبل! .. لذلك وباسم كل أجيال الحزب أطلب صفح اليهود ذوى الأصول الشرقية كما يجب علينا أن نستوعب الدرس عندما تكون مشاعر الظلم عميقة الجذور وراسخة فى القلوب ويجب الغوص فى منابع الشر بغية الإصلاح وإلا فلن نستطيع السير قدماً للأمام!! وأثناء العشرين عاماً الماضية وبشكل أو بأخر باشر حزب الليكود الحكم ولم يتورع عن اتخاذ سياسة معادية لمصالح اليهود الشرقيين إذ كان واثقاً من تلقائية التأييد والمساندة الغير مشروطة من جانبكم ونحن من جانبنا فشلنا فى تمزيق الحجاب لإشعار الشرقيين بهذه الحقيقة المتناقضة!

ولايشارك شيمون بيريز باراك فى طلب الصفح هذا ففى رأيه أنه يراه فى غير موضعه وغير شرعى وإذ يأخذ الكلمة بعد باراك يقول: أنا نفسى أتذكر الأيام الأولى لنشأة الدولة اليهودية ولا أشعر إلا بكل فخر واعتزاز ومن المؤكد أنه قد حدثت أخطاء ولكن بصورة

إجمالية لايمكن إلا أن نزهو ونعتز بما حققته الصهيونية!... هذه **المنظمة الفريدة** والرائدة فى تاريخ القرن العشرين فلم تنجح ثورة مثل نجاح «الثورة الصهيونية»! **ولقد** وزن باراك الهوة التى تفصل بين حزبه والناخبين وهو يحس بالصدمة لذلك، **لأن أعضاء حزب الليكود** اعترفوا له أن غالبية اليهود الشرقيين كانوا يصوتون **لحزب العمل** لولا إحباطات أعوام الستينيات، ويشرح عمدة مدينة مجدل هايميك Haemek شاؤول آمور - Amor وهو عضو بحزب الليكود ومن أصول مغربية أن فى مدينته أكثر من ٧٠٪ صوتوا بجانب نيتنياهو ليس اعتراضاً على مسيرة السلام وإنما لأن غالبية السكان تكره حزب العمل وتعتبره مسئولاً عن كل مايعانونه من مشاكل فمن لاعمل له يتهم حزب العمل حتى ولو لم يكن فى السلطة!.... والمستفيد من هذا الموقف الظالم.. حزب الليكود!

ويضاعف باراك زياراته للأحياء الفقيرة، فإستراتيجيته تمتد إلى كافة الاتجاهات، ومن أجل وصوله لزعامة الحزب كان عليه أن يفوز بمساندة جماعات الأشكناز وليصل إلى رئاسة **الحكومة عليه الحصول على مساندة السفارديم** ويقول: «فى أى مكان أذهب إليه يرحبون بى **لماضى العسكرى ولطهارتى السياسية!....** وفى كل موقع أقوم بزيارته كان حجم الحقد على حزبى **يثير دهشتى ولم أكن أتوقع أن يكون** بهذا العمق وأدركت أيضاً أنه كلما كان الناس **بسطاء وفقراء قابلونى بسماحة ويقولون** لى: ليس عندنا شىء ضدك على العكس نحن نحبك **نريدك زعيماً ولكننا لن نعطى أصواتنا** لحزب العمل بل إن البعض منهم نصحنى ألا أتقدم **كمرشح لحزب العمل فذلك لن يجلب** لى سوى المرارة!... وأدرك باراك أن عليه القيام بمبادرة تحطم هذه اللعنة ويدرك **أن** طلب الصفح سوف يثير مشاعر قدامى الحزب وعلى رأسهم بالطبع شيمون بيريز ولذلك لم يستشره ولم يجعله ذلك يحيد عن الطريق الذى رسمه لنفسه حتى أن أقرب أصدقائه المخلصين أورى أرو وصف طلب الصفح هذا بأنه إهانه للرجال قبله الذين فعلوا مافى وسعهم لإقامة جسر بين الرواد الأشكناز والمهاجرين السفارديم فى الخمسينيات وأور هذا صرح لجريدة الهاآرتس بقوله: إننى حزين لأن كل ما فعلناه لرفع مستوى معيشة اليهود الشرقيين أو لرفع مستوى تعليمهم وخفض مستويات فقرهم قد صوتوا للأسف بجانب نيتنياهو فى الانتخابات الأخيرة!.. ويتساءل: أليس ذلك جحوداً ونكراناً من جانب الشرقيين؟! بعد كل مافعلته من أجلهم حكومة رابين وحكومة بيريز!!!

ويعاقب أورى أور النائب ويرفعه من كل مناصبه فى الحزب إثر الكشف عن فضيحته وبعد تبرئته يعود للحزب من جديد بعد عدة شهور إلا أن زعماء الحزب لم يصفحوا عن تجاوزاته وعموماً فإن ذلك لم يمنع باراك من ضمه للفريق المكلف بتنظيم وإدارة حملته الانتخابية وللمقربين من أخلص أصدقائه يقول باراك: إن طلب صفح اليهود الشرقيين كان «حاجة ماسة» وكان باراك ينوى التقدم بمثلها ليهود روسيا المهاجرين: وينوى فتح عهد جديد من العلاقات بينهم وبين حزب العمل وهو الاتجاه الذى باركه شيمون بيريز وأسعده لأنه واحد من الذين طالبوا بالكف عن مغازلة الشرقيين وحدهم وتوجيه الاهتمام للمهاجرين من روسيا.. وفى هذ المناسبة يقول بيريز: للأسف الشديد أن الأشكنازهم أيضاً غاضبون مما عانوه من غطرستنا وإهانتنا لهم دون ماسبب... والنتيجة أنهم صوتوا لصالح نيتنياهو!!

والموقف من جانب أصدقاء بيريز يتلخص فى أنهم كانوا يرون أن كل هذا لايجدى فتيلاً : فمهما فعلنا فإن الشرقيين وخاصة المغاربة منهم مرتبطين بحزب الليكود وحزب شاس وإن أى مجهود لن يجعلهم يغيروا موقفهم السياسى ولكن باراك كان يفكر عكس ذلك ويقول : على المدى الطويل أنا قادر على اقتلاع اليهود الشرقيين من براثن حزب الليكود يوم أنجح فى جعلهم يثقون فى صدق كلامى وأننى لاأناور ومصمم على فتح صفة جديدة مع كل من كانوا ضحايا غطرسة وعدم فهم حزب العمل. ولذلك يصمم باراك على فك ارتباط الأقليات التى أوصلت بأصواتها نيتنياهو إلى قمة السلطة ، وفى هذا الصدد يقول شيفاوايس الفيلسوف المشهور ورئيس الكنيست السابق (من حزب العمل) وكان مكلفاً من حزبه بإعداد تقرير عن أسباب هزيمة عام ١٩٩٦ : كل الأقليات صوتت ضدنا..لذلك شرع فى فك ارتباط الأقليات بحزب الليكود والجرى بحثاً عن هذه الأصوات الضائعة.. خصوصاً ما حدث فى عام ١٩٧٧ حيث وصل حزب الليكود إلى الحكم لأول مرة.. وستكون تلك الخطوة من جانب باراك أهم معارك مسيرته السياسية!

الصحافة وطلب الصفح!

أثار اعتذار باراك للشرقيين وطلبه منهم الصفح ...زوبعة فى الأوساط السياسية والبعض اعتبر هذه الخطوة مناورة بارعة تهدف إلى تملق اليهود الشرقيين للتصويت لصالح حزب العمل، والبعض الآخر على العكس اعتبرها محاولة ممتازة لإبراء الشرقيين من آلامهم

ومما لحقهم من ازدراء أثناء مسيرتهم للاندماج فى المجتمع الإسرائيلى عند قدومهم للبلاد.
أما الصحف فقد تحفظت ويمكن حتى القول بأنها قابلته بالاعتراض ففى ٢٩ سبتمبر ١٩٩٧ كتبت جريدة هاآرتس تقول: أن الطريقة التى قامت بها الدولة الإسرائيلية الوليدة لاستقبال المهاجرين إليها منذ خمسين عاماً لازالت وحتى اليوم محل جدال ونقاش ... فى دولة عدد سكانها عند نشأتها ٨٧٠ ألف مواطن وفى مدى ٨ سنوات وفد عليها اكثر من مليون مهاجر لتحقق بذلك «نبؤة الصهيونية» فى إعادة تجميع المجتمعات اليهودية المشتتة فى جميع أنحاء الدنيا فى أرض إسرائيل وطناً قومياً لهم بعد معاناة الدياسبورا (الشتات) ووضع نهاية لآلامهم. وفى دولة الإرهاب تضاعف الصراع الاجتماعى بظهور مواجهة عرقية بسبب أن القدامى وغالبيتهم من الأشكيناز شكلوا الطبقات الميسورة الحال بينما «الها مشيون» من طبقات فقيرة وضعيفة وأغلبهم كانوا من أصول عرقيات دول إسلامية. وعلى أى حال فإن بعض المهاجرين الشرقيين استطاعوا أفراداً وجماعات التغلب على عوامل اليأس والعوز الاجتماعى والاقتصادى الذى لازمهم فى السنوات الأولى لحضورهم، إلا أن جزءاً كبيراً منهم نمى لديه شعور قوى بالاضطهاد والمرارة التى استقبلوا بها، لكل هذه الأسباب لاندهش من تصريح إيهود باراك واعترافه بالذنب وطلبه الصفح وهو مبادرة غير مسبوقة ربما تفوح منها رائحة المناورة السياسية وربما تنقلب ضده لأنه لم يوضح الإجراءات التى ينوى اتخاذها عندما يصل إلى قمة السلطة لعلاج آثارها وتداعياتها وخصوصاً المشاعر الضاغطة التى يئن منها الشرقيون، وباراك لم يقدم سوى استعراض لفظى لايسهم فقط سوى فى الإقلال من أبعاد المشكلة إلا أنه لايضع لها الحلول المناسبة، وفى نفس الجريدة وعلى عكس ماسبق يكتب دان مارجليت: أن طلب الصفح عمل طيب لخلفاء هذه المؤسسة الأشكينازية الاجتماعية الواثقة من نفسها، والتى كان أفرادها يدعون أنهم يعرفون أكثر من المغاربة واليمنيين والجزائريين والعراقيين وماهو أفضل لصالحهم.. إنه نفس الازدراء الذى اشتروا به أصوات ورؤساء القبائل!... وصرفت الحركة العمالية كما لو أنها أهم من الأهالى والعائلة وحتى أكثر أهمية من الحاخامات!.. ومن المؤكد أن حزب الليكود ليس أكثر شرقية من حزب العمل وإنما استطاع أن يجذب إليه شباب المهاجرين الشرقيين الذين لم يجدوا مكانهم بين ذوى «القمصان الزرقاء» من أفراد حركة الشباب الصهيونية الاشتراكى. واليوم اقتنع باراك بأهمية التقدم بطلب الصفح من الشرقيين .. الصفح عما عانوه ولاقوه من ازدراء

ومذلة .. وعلى أى حال فإن بعض من قادة وزعماء الحزب من بين الشرقيين المرموقين مستمر فى مساندة شيمون بيريز سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وقد أصبح غريماً سافراً لباراك وهذا بدوره أدى إلى نشوب أزمة بين أوساط الحزب كما أشاع جواً يصعب علاجه بسرعة!!

باراك يطالب بإرغام رجال الدين على أداء الخدمة العسكرية!

بعد عامين من انتخابه زعيماً للحزب (حزب العمل) أيقن باراك أن رجال الدين المتعصبين هم أعداء التيار اليسارى ويضعهم فى أقصى اليمين المتطرف، وصاروا حلفاء طبيعيين لحزب الليكود، كما أدرك باراك أن الهجوم على رجال الدين المتعصبين يروق لعدد من الإسرائيليين من التيار اليسارى بسبب هيئتهم الجسمانية وأرديتهم السوداء ولغتهم الغريبة والدفاع المستميت عن مصالحهم المادية وامتيازاتهم .. كل هذا يزيد من كراهية جزء كبير من الرأى العام الإسرائيلى ، ولهذا طلب باراك من البرلمان إرغامهم على أداء الخدمة العسكرية مثل أى فرد آخر و ٨٠٪ من الإسرائيليين أيدوا هذا الاقتراح إلا أن الاقتراح الخاص بمشروع القانون لقى حرباً شعواء من جانب التحالف اليمينى.

باراك وسوريا:

أتيحت لباراك الفرصة لعرض وجهة نظره حول إمكانية توقيع اتفاقية سلام مع سوريا، وفى ٢٥ ديسمبر ١٩٩٥ أثناء التصويت على اقتراح توجيه اللوم مقدم من الليكود لاتهام حكومة بيريز بعرضها الانسحاب من هضبة الجولان فى إطار اتفاق سلام مع سوريا، وكان وزير الخارجية وقتئذ هو إيهود باراك وكان عائداً من واشنطون حيث كان هناك يتناقش مع رئيس أركان الجيش السورى بشأن طبيعة الاتفاق القادم وكانت بعض الأنبياء قد تسربت عن أن تعهد للسوريين بالاعتراف بسيادتهم على كل هضبة الجولان!

وبنفس أسلوب نيتنياهو الذى كان وقتها زعيماً للمعارضة يرد باراك عليه بقوله: «من موقع قوة واقتناع بأننا ـ قوة كبيرة !.. ومن كافة الزوايا حاولنا أن نجد حلاً لنزاعنا مع سوريا ونحن نريد لإسرائيل وللشرق الأوسط كله عصراً جديداً يسوده فى السلام والاستقرار السياسى والازدهار الاقتصادى، وعلى الصعيد الاقتصادى نوضح ونؤكد أن الدخل الإجمالى

لـ ٥,٥ مليون إسرائيلى يصل إلى ٨٥ مليار دولار وهو أعلى من دخل ٧٥ مليون هم سكان مصر وسوريا والأردن ولبنان والفلسطينيين مجتمعين، وليس ذلك من جانبنا استعراضاً لموازين القوى ولكنه حقيقة ديناميكية، وهكذا وفى ١٩٩٥ ارتفع الدخل القومى الإسرائيلى إلى ٦,٥ ٪ وهو أعلى من دخل غالبية الدول العربية ونحن نحافظ على التفوق العسكرى الإسرائيلى، واتفاقيات السلام تعزز الأمن بأكثر مما تلحقة من النكسات ومسيرة السلام هى جهد وطنى ويتطلب الشعور بالمسئولية والحذر وهى ليست مجرد شعارات جوفاء للإثارة!».. يجب أن نتوقف عن التهويد بالقوة والإرهاب، وقناعتى القصوى أنه من المصلحة الاستراتيجية والحيوية لإسرائيل التوصل إلى سلام مع سوريا ولبنان إذا كان بالإمكان التوصل إليه باتفاقيات أمنية واحتياطات لمواجهة الاعتداء تكون مرضية كافية لنا ، كما أننى مقتنع أيضاً أن اتفاقاً كهذا من مصلحة الجانب السورى فى نفس الوقت إذ أن هناك ارتباط وثيق بين كل أطراف مسيرة السلام: الأمن وتواريخ الانسحاب... ومثل هذه الاتفاقية ربما تروق للسوريين فمدى الانسحاب يتوازى مع طبيعة السلام وترتيبات الأمن وإسرائيل تأمل فى تطبيع تام مع تبادل السفراء وفتح الحدود دون عوائق تمنع تدفق الناس والبضائع والسائحين وفى رؤيانا على سبيل المثال أن يسمح للسائحين الإسرائيليين السفر إلى تركيا وإلى أوروبا عبر سوريا، ونحن نأمل فى نشوء تعاون واسع النطاق فى المجالات الاقتصادية والانتقالات عبر الطرق والسكك الحديدية والمشاركة فى توزيع الطاقة الكهربية وبديهى أننا نطالب بوقف الهجمات «الإرهابية» من الأراضى اللبنانية وتوقيع اتفاق سلام مع لبنان وإنهاء عمليات حزب الله وإغلاق مكاتب المنظمات «الإرهابية» الأخرى ومعسكرات المقاومة فى البقاع اللبنانية بل وتلك الموجودة فى دمشق ذاتها»!.. وعلى ضوء هذا التوضيح الحاسم من جانب باراك لم يعد يخشى من التصويت ويوافق على ضرورة عرض أى اتفاقية سلام على الاستفتاء الشعبى قبل التطبيق لأن «غياب السلام مع سوريا يعنى جزوة نار مشتعلة ترغمنا أن نعيش دائما على أهبة الاستعداد لمواجهة الطوارئ مما يضاعف الأعباء ويرهق الأعصاب وبإيجاز فنحن أمامنا اليوم إمكانية تغيير هذا الوضع والعناد لايجدى إذن واجبنا مواجهة ودراسة المشكلة بشجاعة على ألاننزعج بل علينا أن نتحلى برباطة الجأش»!!!

المواجهة بين باراك ونيتنياهو:

أثناء مناقشات الكنيست يصمم نيتنياهو زعيم المعارضة على إبراز مخاطر السلام مع سوريا فيقول: «إنكم تدبرون توقيع استسلام مع حافظ الأسد لايمت بصلة للسلام لأننا سنوقع مع «نظام حكم دكتاتورى» سيؤدى بنا إلى حرب دامية ويجرنا إلى مأساة كبرى يعيشها شعبنا . وفى مثل هذه الحالة فإن المعادلة بسيطة إذا ما كنا نريد للسلام الذى يوقع بين نظام دكتاتورى ونظام ديمقراطى أن يكتب له النجاح فلابد من التحقق مسبقاً من نقص القدرة الهجومية للنظام الدكتاتورى، وماتريدون التوصل إليه لايقلل من احتمالات نشوب الحرب بل يضاعفها فإلى أين يقودنا مثل هذا الاتفاق الذى تدبرونه؟! إن جيش الدفاع سوف ينزل من هضبة الجولان والقرى الإسرائيلية ومن مدينة كاتسيرين Katserin .. وكلها سيتم تفكيكها وسوف تقودون السوريين إلى شواطئ بحيرة طبريا وبالإضافة لذلك أنتم تقولون لنا بأنكم لاتعرفون حتى ما إذا كان الانسحاب سيكون بطول الحدود الدولية أو عند خطوط الرابع من يونية ١٩٦٧»!!

وينتهز باراك فرصة النقاش الدائر لتسوية حساباته مع نيتنياهو فيتهمه بأنه المسئول عن تصعيد «هيستريا العنف الكلامية» التى أودت بحياة رابين منذ أقل من شهر ونصف ولا تزال موجة العنف قائمة وبعمق... «ويجب علينا أن نتوصل إلى صيغة يصبح معها مستحيلاً على تيار سياسى أو حزب من رفع لافتات تحمل شعارات وكلمات من أمثال: الخائن والقاتل.. توجه بلا حياء لرئيس حكومة شرعية تتولى زمام أمور البلاد!..ثم يوجه السؤال لزعيم المعارضة.. تسألنى كيف تفكر فى توقيع اتفاق مع رئيس دولة عربية دون معرفة ماذا سيفعل خليفته؟ وأرد عليه بأننى عائد اليوم من مصر...! الدولة التى وقعنا معها معاهدة سلام ورئيسها الحالى الذى قابلته هو خليفة الرجل الذى وكما تعرفون «اغتيل لانه وقع معنا معاهدة السلام» وهذه المعاهدة مع مصر استمرت لليوم على الرغم من المحن والتجارب المريرة التى أبداً لم تكن سهلة»!!

باراك والمشكلة اللبنانية:

ويؤمن باراك بالسلام بدون الانسحاب من لبنان توافق عليه سوريا وتلعب فيه دوراً وعلى ضوء هذا الواقع يقول: «إن موقفنا من المشكلة اللبنانية بسيط فليس لنا أية مطالب أو

مطامع إقليمية ، جنودنا يقفون فى جنوب لبنان فقط لتأمين قرانا الواقعة على الحدود منذ عشرات السنين وتأمين حياة سكانها، ولبنان لم تعد بلداً طبيعياً وبالتالى تعانى حكومتها صعوبات فى مواجهة المنظمات «الإرهابية» التى تقصف قرانا وتشن هجماتها «الإرهابية» على سكانها وفور أن يوجد المسئول القادر على وقف أنشطة «الإرهابيين» وحسن معاملة جيش جنوب لبنان الذى يتعاون معنا، فسوف ينسحب جنود إسرائيل من لبنان على أساس اتفاق واضح ومفصل ، ولهذا السبب يجب استبعاد فكرة أى انسحاب من طرف واحد إذ لو حدث لتعرضت قرانا وسكانها لمخاطر دامية ويجب أن يفهم السوريين أن استئناف المفاوضات معهم مرتبط بوقف هجمات حزب الله»!

«ولقد سبق أن اقترح رابين على السوريين واللبنانيين الانسحاب التدريجى وعلى مراحل، وأنا نفسى شاركت فى هذه المفاوضات وقت أن كنت قائداً لأركان الجيش وتباحثت أنا وقرينى السورى عام ١٩٩٤ وكذلك عندما كنت وزيراً للخارجية عام ١٩٩٦ وفى كلتا الحالتين لم نتوصل إلى سماع صدى لاقتراحاتنا إلا أنه من المفيد تكرار المحاولة من جديد مع السوريين حتى ولو لم يتحدانا السوريون فسوف يجعلهم يقفون موقف الرفض ويكشف أمام الجميع كيف يستخدمون حزب الله لشن الغارات على إسرائيل من داخل الأراضى اللبنانية!؟

باراك والفلسطينيون:

وباراك مثل رابين وبيريز لا يعلن ولا يعبر بصراحة عن رأيه فيما يتعلق بفكرة إنشاء دولة فلسطينية وإن كان لا يستبعدها، وموقفه مثل موقف بقية قادة الحرب يتطور فى هذا الشأن فحتى عام ١٩٩٧ كان موقف حزب العمل استبعاد احتمال إنشاء دولة بين إسرائيل والأردن وإنما يرون من الأفضل إنشاء كونفيدرالية بين إسرائيل والأردن والسلطة الفلسطينية!

وفى محاضرة ألقيت بجامعة تل أبيب فى يناير ١٩٩٧ يتخلى باراك عن معارضة إنشاء دولة فلسطينية من ناحية المبدأ ويقول: أنا لا أحبذ ولا أعترض على إنشاء دولة فلسطينية ولكن أرفض أن نتطوع بإعلان رأينا فى أمور ليست من اختصاصنا، ففى الاتفاق النهائى فإن الفلسطينيين هم الذين سيحددون مصيرهم ومن وجهة نظرنا فالأفضل أن يكون

هناك كونفيدرالية أردنية فلسطينية وبالطبع لا يمكن استبعاد احتمال قيام دولة فلسطينية ذات سيادة محدودة إلا أننى لا أرى فائدة من مناقشة هذا الاحتمال قبل التفاوض على الاتفاق النهائى.. ومثل رابين أخذ باراك زمنا طويلا للتوصل إلى هذه النتيجة وهى أن لا حل للمشكلة الفلسطينية بعيدا عن منظمة التحرير الفلسطينية ولايزال باراك متحفظا إزاء قدرة السلطة الفلسطينية على مكافحة وإسكات المنظمات الإسلامية المعارضة لمسيرة السلام وفى هذا لا يختلف باراك عن رأى نيتنياهو: إن إسرائيل ليست مستعدة عن أراضى طالما لم تستطع السلطة الفلسطينية إثبات قدرتها على تنفيذ نصيبها من الاتفاق فى مكافحة الإرهاب، وبينما كان رئيساً للأركان رفض باراك مقابلة ياسر عرفات وبعد أن أصبح وزيرا للداخلية استمر يتجاهل دعوات رئيس المنظمة رئيس السلطة الفلسطينية، وبينما كان وزيرا للخارجية فى حكومة شيمون بيريز أتيحت الفرصة لباراك لمقابلة ياسر عرفات للمرة الأولى وكان ذلك فى لشبونة، وصفها المقربون منه بأنها كانت مقابلة لا حرارة فيها ولا نتيجة لها. ومعارضوه فى أوساط الحزب يرون أن تحفظه وتردده إنما رغبة منه لتوطيد موقفه لدى الناخبين من تيار الوسط ليبدو فى صورة الزعيم الذى لا يكن تجاه الرئيس الفلسطينى أية مشاعر بالصداقة، لكن باراك يرد فى براءة مقنعة! لم تتح لى فرصة لمعرفته معرفة جيدة! ومنذ انتخابه زعيماً للحزب لم يتقابل مع عرفات سوى مرة واحدة عبر معبر آريتز بالقرب من غزة بعد إلحاحات عديدة من النواب العمال ومن الشخصيات البارزة فى السلطة الفلسطينية. وفى الحقيقة فإن رؤيا باراك بالنسبة للاتفاق النهائى مع الفلسطينيين يذكرنا برأى رابين: يجب أن نحتفظ بالسيادة على منخفض نهر الأردن وتجمعاته السكانية من القرى وعلى مدينة جوش إتسيون Gouch Etsion وقراها وعلى القدس الكبرى وبلوكات مستعمراتها مع احتمال قبول إخلاء مستعمرات صغيرة فى المناطق التى لا تمثل أهمية لأمن إسرائيل، والمستعمرات التى ستظل فى الأراضى الفلسطينية سوف تخضع للقوانين الفلسطينية، على أن تضمن إسرائيل سلامة تلك الأراضى وسكانها!

باراك.. السياسى المجدد!!

إن مشاريع باراك السياسية وحلوله العسكرية معقدة ومتشابكة لدرجة أنها لا تشكل منه منافساً قوياً ضد التيار اليمينى وهذا مما أخذه عليه قادة حزب العمل، وباراك الذى كان

مقتنعاً أن تيار الوسط سيحدد من سيفوز.. بدأ فى تقليد نتنياهو بتجاهل اليسار!.. وبالنسبة للعديد من كوادر حزب العمل فإن باراك هو رجل من التيار اليمينى وجد نفسه على مسرح التيار اليسارى بالصدفة..!

وهم يعيبون عليه أنه لا يتخذ مواقف صريحة واضحة تجاه المتدينين المتعصبين، وتجاه سكان المستعمرات، عدا رغبته فى إلزام طلبة اليشيفوت Yeshivot بأداء الخدمة العسكرية، وعدم الوضوح كان له وقعه، فعشية الانتخابات وطبقا لاستطلاعات الرأى فقد باراك التقدم الذى كان قد أحرزه على نيتنياهو ويؤكد كثيرون من الإسرائيليين أن لا فرق هناك بين رئيس الوزراء ورئيس المعارضة وأنهم يفضلون الأصل على الصورة! وهو ما يفسر تلك المقابلات.. التى عقدت سراً بين بارك ونيتنياهو بهدف التوصل إلى تفاهم حول تكوين وزارة ائتلافية، والتى لم يقدر بيريز على التوصل إليها برغم المساعى التى بذلها ابتداء من يونية ١٩٩٦، ويظهر باراك بمظهر السياسى المجدد الذى يمكنه أن يحدث انقلاباً فى الحياة السياسية الإسرائيلية وعلى الرغم من شكوك كثيرين من قادة حزب العمل إلا أن باراك فى نهاية الأمر هو الزعيم الذى سيعيد حزب العمل لتولى السلطة!!

حاييم رامون منافس أمكن تحييده!!

كان من أهداف باراك عندما دخل حزب العمل وبصفة خاصة، أن يسد الطريق على حاييم رامون Ramon الذى كان قد عاد للحزب فى ١٩٩٦ بعد أن كان قد تم إبعاده عنه مدة عام ونصف العام للفوز بقيادة النقابة العامة للعمال «الهستدروت» Histadrout وبدا رامون رجل سياسى منقطع النظير، إذ كان قد تمكن من غزو القلعة النقابية فى بضعة شهور بعد معركة عنيفة أدارها بدهاء، مما عزز موقفه السياسى المثير وأثبت أنه رجل يتمتع بمواهب سياسية استراتيجية فكان أن عين عام ١٩٩٢ قائدا ومنظما للحملة الانتخابية التى وللمرة الأولى منذ ١٩٧٧ انتهت بإبعاد حزب الليكود عن الحكم، وقام رابين متأثراً بتلك السابقة المميزة بإقناع رامون برغم وعود قادة الهستدروت.. بأن يترك الهستدروت ليحتل منصباً وزاريا يليق به واتفق الاثنان العجوز (رابين) والشاب (رامون) على اشتراطات هذه العودة لصفوف الحزب وترك الهستدروت، وتم اللقاء الأخير يوم السبت ٤ نوفمبر ١٩٩٥ فى منزل رابين بتل أبيب.

وبعـد اغـتـيـال رابين، بدا كل من باراك ورامـون أقـوى وريـثـين فى خـلافـة الثنائى التاريخى رابين / بيريز والتاريخ يعيد نفسه كما يقال.. والمنافسة بين الشابين المتصارعين للفوز بالوراثة لم تكن تختلف كثيراً عن التنافس الذى كان موجودا دائما بين سلفيهما المشهورين وكان رامون يعرف أن باراك دخل الحزب والحكومة فقط لقطع الطريق عليه، ومن جهته فإن باراك قد أدرك أن عليه أولاً مهما كان الثمن إزاحة منافسه رامون الموهوب من طريقه! وهذا التنافس بين باراك ورامون المتوقع والحتمى لن تكون له نهاية!.. بل كان له تداعيات خلال الانتخابات التى واجه بيريز فيها نيتنياهو، وكانت انتخابات ١٩٩٦ لتكون هزيمة مدوية لرامون الذى كان يساند المرشح الذى يواجه بيريز!.. بينما باراك يدفع بيريز للصراع دون نجاح، رشيمون بيريز لا يكن أية محبة لأى منهما للمطالبين بالإرث، فيجاهد لتحييدهما ويقول للمقربين منه: إن باراك يميل لفرض نفسه بالقوة وهذا ما يضايقه كما يشك فى مدى إخلاصه نحو مسيرة السلام مع الفلسطينيين، ويعتقد أنه يحمل ضغينة ضد العرب ويشك فيهم شكوكاً مبالغ فيها! أما بالنسبة لرامون فهو يشبهه بطفل صغير شب بسرعة دون أن يجد وقتا ليفتح كتابا ويراه بعيدا عن أن يكون قائدا سياسيا بل على عكس ذلك يراه محتالاً ومناوراً عديم الذمة ينقصه هذا العمق الذى يخلق رجل الدولة الحقيقى!..

أما يوسى بيلينى فهو صديق قديم وحليف سياسى لرامون، لن يتوانى عن بذل جهوده لتسهيل وصول باراك إلى منصب رئاسة الحكومة، إلا أنه يريد بأى ثمن ألا يكون التنافس بين الرجلين سببا فى إلحاق الضرر بالمعركة الرئيسية والحقيقية وهى المعركة التى يجب خوضها ضد التيار اليمينى.. العدو الحقيقى لحزب العمل، ويقول بيلينى لواحد من أبرز وأشهر الصحفيين «بن بورات Porat»: لقد قابلت باراك فى مناسبات عديدة وكان كل اهتمامى منحصر فى كيفية أن أساهم شخصياً فى تحسين الجو السياسى الإسرائيلى، أما التشرذم السلبى السائد فى كل الأحزاب فقد أخافنى دائماً، وغالبية من يصلون لفرض أنفسهم على الحياة السياسية هم هؤلاء الذين لم يكن يقدر لأى منهم الفوز بأقل منصب فى الإدارة العليا للبلاد.. كانت هذه رسالتى التى حاولت نقلها إلى باراك بينما كان لا يزال مترددا بشأن مستقبله ولقد قلت له: إذا كنت تشعر أن السلامة العامة للبلاد تشغل بالك فلا تتردد، فمستقبلك فى الحياة السياسية التى تحتاج إلى رجال يدافعون عن «القيم» ولعدم وجودهم فإن

كل من يعرف كيف يرطن ببعض الكلمات الإنجليزية هو إحدى العبقريات!.. وفى رأى أن رامون سياسى من طراز رفيع وأحد قادة حزب العمل الذين يمتلكون الموهبة ليصبحوا يوما رؤساء للحكومة وكذلك باراك وقد كنت واحداً من أقرب الذين عايشوا الصراع بين رابين وبيريز وكان التنافس بينهما أمر حتمى لا فكاك منه ،ولذا فقد حذرتهما من أنه سيأتى يوم يتبارون فيه لزعامة الحزب.. صحيح ليس غدا ولكن على أى حال سيكون هذا اليوم قبل عام ٢٠٠٠ لذا لا تبدءا منذ اليوم فى صراع لا معنى له، وإنما على العكس شاركا بمواهبكما التى تتكاملان.. وإلا فسوف تستبعدا أنتما الاثنين وذكرتهما أنه لتفادى المبارزة بين ديان وآلون، تمكن وزير الاقتصاد وقتئذ الرجل القدير بنحاس سابير أن جاء بجولدا مائير لتولى السلطة والمنافسة على زعامة حزب الليكود بين شارون وليفى، فاستفاد منها شامير فإذا ما بدأتما الصراع مبكرا فسوف يبرز منافس ثالث يلتهم منكما المنصب، وأعتقد أنهما فهما مغزى الرسالة وأدركا أن صراع علنى لن يجلب لأحدهما سوى أسوأ العواقب!

وحاييم رامون كان يعرف أن المشكلة العرقية ستظل قضية شائكة أمام حزب العمل ويقارن الاحتفاء بباراك وتعيينه وزيرا فور خروجه من الجيش بما حدث بازدراء تجاه الجنرال الكردى الأصل موردخاى من جانب شيمون بيريز.. والذى عينه حزب الليكود وزيراً للدفاع ولقبه أورى أور بـ «بطل العقد النفسية»!.. ورامون يعرف أن لايكفى صرف الأموال فى المدن النامية لتحطيم الحائط الفاصل بين حزب العمل والسفارديم فلا يزال حزب العمل اليسارى يتكلم معهم بازدراء ودائماً يتباهى قادته: نحن أخرجناكم من البؤس، نحن جلبنا لكم الثقافة.. نحن.. نحن.. وكيف يشكروننا اليوم؟.. هاهم يصوتوا ضدنا ثم ألم تصرخ جولدا مائير يوماً صائحة: الشرقيون ليس لديهم تربية!.. وفى نهاية الستينيات بدأ قادة حزب العمل أخيراً يدركون برؤوسهم وليس بقلوبهم، بأن لا شيء تبدل حقيقته كما يؤكد حاييم رامون لذلك فهو وبدون تحفظ يساند طلب الصفح والاعتذار الذى قدمه باراك للشرقيين، ومع ذلك فإن حاييم رامون يعرف أن صيحة الندم المشهورة «هذه غلطتى Mea Culpa» التى قام باراك بتقديمها ليست كافية لإعادة أصوات الشرقيين إلى حزب العمل.. وتكتب جريدة يديعون أحرونوت: على حزب العمل أن يتغير جذريا أو يختفى ويبدو أن من المستحيل بقاء الحزبين الكبيرين العمل والليكود بحالتهما الراهنتين!!.

ويضطر رامون للبحث عن الموقع الثانى، حيث كان قد فشل فى الفوز بالموقع الأول فى حزبا أفودا Avoda وأثناء الحملة الانتخابية يستبعده جماعة الجنرالات فلا يحصل إلا على منصب الرجل الثانى أثناء الإعادة الثانية والتى من حسن حظ باراك أمكن تفاديها!.

حزب إسرائيل آهات:

وبديلاً عن الوحدة التى طالما داعبت خيال التيار اليسارى، فها هو حلم جديد يتمخض باسم حزب إسرائيل آهات Ahat وهو تحالف بسيط أعلن تأسيسه يوم ٢١ مارس ١٩٩٩ فى مقر قصر الأمم بالقدس تحت أضواء السهام النارية!.. وتتقدم أحزاب أفودا Avoda والجيشر Guesher وميماد Meimad بقائمة مشتركة لانتخابات ١٧ مايو ١٩٩٩.. كان ذلك بمثابة «إعلان الخطوبة» ثم الزواج فقد تم الاتفاق على إرجائه لفترة قادمة واحتفظ كل من الأحزاب الثلاثة بشخصيته الاعتبارية الخاصة وينتصر باراك!.. وكان باراك يأمل فى أن يستحوذ على دعم أفضل وحاول بلا جدوى ضم حزب إسرائيل بياليا - Bealya الذى يتزعمه شتارانسكى كاهالانى Kahalani وأفراد الجيل الجديد من حزب الليكود المحبطين ويمثلهم شلومو لاهيانى Lahyani ويثير مفاجأة عندما يعلن عن متطوع جديد من الشخصيات البارزة مثل جنرال الاحتياط يوسى بيليد Peled وكان قائداً للمنطقة الشمالية!

ويتفاوض باراك إلى مدى بعيد مع شلومو لاهيانى الذى كان مقاولاً كبيراً فى مدينة بات يام Bat Yam ومن عائلة تنتمى إلى أصول تونسية، وكان قد لفت الأنظار عندما فاز من أول دور لمنصب عمدة مدينة بات يام إحدى معاقل حزب الليكود.

ويقبل لاهيانى عرض باراك، مقترحا عليه الانضمام لحزب إسرائيل آهات محتلا المركز الحادى عشر فى القائمة المشتركة، مما يدفع به لدخول الكنيست ويهب قادة حزب العمل ثائرين لفوز مرشح ليست له قاعدة انتخابية قوية مثلهم، مما جعل باراك ينقض تعهده تجاه لاهيانى. ويعاند زعيم حزب إسرائيل آهات فيعرض على شلومو لاهيانى المركز الـ ٣٤ إلا أنه يرفض وفورا يقطع كل جسور الاتصال!..

وباراك يعرف أن بين يديه جوكر فى شخص دافيد ليفى من حزب الجيشر الوطنى الاجتماعى، فيعرض عليه المنصب الثالث مباشرة بعد شيمون بيريز، و الجميع يعرفون ما

وراء تلك القائمة التى أعدها باراك، ففى الواقع أن حزب الجيشر لم يحدث أن غامر ملتمسا من الناس التصويت لصالحة، ففى عام ١٩٩٦ كان متحالفاً مع جناح حزب الليكود وفى ١٩٩٩ يدخل المعركة تحت جناح حزب العمل، وفى خطابه المطول الذى رسخ تحالفهما يقوم دافيد ليفى بإغراق باراك فى وابل من الأوصاف اللامعقوله مثل: لقد وجدت الإسرائيلى الأصيل الذى حلمت به أثناء إقامتى بالمغرب، وهو مقاتل عنيد وإنسان مخلص كلمته واحدة روعده صدق!! ولو تقدم حزب الجيشر وحده لخوض المعركة الإنتخابية فقد كان من السهل عليه الفوز بثلاثة أو أربعة مقاعد ولكن فى هذه الحالة كيف كنا سنشترك فى هزيمة نيتنياهو وانتزاع الحكم منه!.. هذا الرجل الذى أودى ببلادنا إلى هذه الحالة القائمة التى نعيشها!!

أما بيريز فقد كان أكثر اهتماما بمكانته فى التاريخ السياسى لإسرائيل، أكثر من اهتمامه بموقعه فى النتائج الانتخابية، وأن يظل باحثا عن الأسس الاقتصادية والثقافية لشرق أوسط جديد، حتى قبل تسوية المشكلة الجوهرية وهى التوصل إلى السلام!

حزب ميريتز:

فوق المسرح السياسى يرى كل حزب أن يكون موقعه فى الصدارة، وحزب ميريتز هو الحزب الصهيونى الوحيد الذى يعلن صراحة عن اتجاهاته اليسارية، وتجمع أقطابه ثلاثة محاور: اتجاه حقوق الإنسان لحزب راتز Ratz واتجاه السلام والاشتراكية لحزب مابام Mapam واتجاه الليبرالية وعدم تدخل الدولة فى الدين والأمور الحياتية التى ينادى بها حزب «الشنوى» الذى فقد تقدمه منذ رحيل كاهنته شولاميت آلونى Shoula Mit Aloni فيصل عدد نوابه إلى ١٢ نائباً عام ١٩٩٢ وينخفض عددهم عام ١٩٩٩ إلى عشرة فقط وإذ يفشل فى إعادة تجديد صفوفه، فإن هذا الحزب المكون من صفوة أشكيناز مدينة تل أبيب فأراد أن يتجه إلى تيار اجتماعى والصراع ضد تصاعد نفوذ جماعة الهاريديم ـ Haredim الـــذى أصبح هدفاً للأحزاب التقدمية، وجد حزب ميتريز نفسه مرغما على الاحتفاظ بخاصيته المميزة ووجد ديدى تسوكر Dedy Tsouker نفسه مستبعدا من قائمة المرشحين للكنيست، لأنه أراد أن يتجه إلى منعطف نحو الاعتدال ومضاعفة الاتصالات بالأوساط الدينية فى محاولة إثارة جدل: لقد اقترحت على حزبى الاتجاه إلى علمانية أقل توحشا آخذاً فى

اعتبارى المصالح المشروعة للجماعات الأخرى فى المجتمع الإسرائيلى ولكن ذلك لم يمنع الحزب من تفادى الاتجاه نحو اليمين، ومع حزب «Shinoui شينوى» يشكلان جبهة موحدة تعارض دخول حزب شاس للتحالف الحكومى، ولم يستبعد فى أى وقت التحالف مع حزب المفدال Mafdal وحزب يهودوت هاتوراه Yahadout Hatorah اللذان سوف ينسحبان من التفاوض مع باراك بسبب الاعتراض على إلزام طلبة اليشيفوت على أداء الخدمة العسكرية!!

بوب بوليتيكا!!

عندما انشق النائب إبراهام بوراز عن حزب ميرتيز بدأ يعطى لحزبه القديم المحتضر: حزب شنوى بعض القوة، فقد أثاره اتجاه الحزب إلى التيار اليسارى وسيطرة قدامى حزب مابام عليه، فيلجأ إلى أحد الصحفيين ويجد فى هذا الصحفى تومى لابيد Tomi Lapid ضالته المنشودة، فهو أحد نجوم التليفزيون ولد فى المجر من أب محامى أبعده الألمان ويصل تومى لابيد إلى إسرائيل عند إنشائها، وهو يعمل محرراً بجريدة معاريف وكان مناحم بيجين قد عينه مديرا للجهاز الوطنى المشرف على الإذاعة والتليفزيون وأظهر كفاءة بإدارته الحازمة، وخلال الأعوام الأخيرة أصبحت له شعبية كبيرة بفضل إعداده للبرنامج التليفزيونى الناجح: «بوب بوليتيكا»، كما اشتهر بنقده الشديد لجماعة الهاريديم والتعصب الدينى، فجماعة الهاريديم يرفضون القيام بالعمل والخدمة فى الجيش ويطالب بعزلهم عن المجتمع لأنهم بممارستهم الخرافية إنما يرتكبون جريمة أخطر باحتقارهم اليهود السفارديم، وشعاره إنقاذ الدولة اليهودية الصهيونية الليبرالية من خطر الثيوقراطيين الظلاميين!.

ولقى هذا الشعار صداه لدى الرأى العام، وأظهرت استطلاعات الرأى احتمالات حدوث مفاجأة كبرى فى الانتخابات وتنبأت بفوز الحزب بـ ٦ مقاعد فى الكنيست وهو ما حدث بالفعل يوم ١٧ مايو.

مرشح عربى لرئاسة الحكومة!!

اتحاد القوى العربية كان وحده كفيلا بأن يفوز العرب ويحصلوا على ١٥ مقعداً فى الكنيست، إلا أن المعوقات التى تواجه هذا الاتحاد ثبت أنها معوقات ليس من السهل التغلب

عليها، فالأحزاب اللا عرقية تستحوذ تقليدياً على جزء من الأصوات العربية، كما أن هذه الأحزاب العربية قد تزايدت من حزبين اثنين فى انتخابات ١٩٩٢ إلى أربعة فى انتخابات ١٩٩٦ وانتخابات ١٩٩٩، وكانت أول سابقة تاريخية ترشيح عربى لمنصب رئيس الحكومة، وكان هذا فى حدّ ذاته مثارا لخلافات وانقسامات حادة بدلاً من التوحد والتكاتف، بينما كان نيتنياهو يدعى أن معظم الأصوات العربية فى جيبه!.

العرب.. منقسمون!

الانقسمات التى بين اليهود غالبا ما تجعلنا ننسى أزمة هوية عرب إسرائيل، وظهر ذلك بوضوح عندما احتفل اليهود بالعيد الخمسين لنشأة دولتهم، بينما فلسطينيو الضفة وغزة يتذكرون فى ألم «النكبة» نكبة عام ١٩٤٨!! فبالنسبة لهم فإن نشأة دولة إسرائيل ثم حرب ١٩٤٨ هما المأساة الجماعية والفردية على السواء!.. فالتفرقة جزء من حياتهم اليومية ومع ذلك فإن ما يشعرون به من إحباط ليس فقط من عدم المساواة الفعلى أو من الظلم الذى يقع عليهم دائما، وإنما من جراء عوامل أخرى قابعة فى أعماقهم وهى شعورهم بالفشل!!

ويظهر عزمى بشارة مرشحا لمنصب رئيس الحكومة فلا يتردد فى أن يقول: أريد أن نكون شركاء متساوون فلسنا من سلالة مختلفة ولكننا لن نكون أبدا يهود.. ولابد أن نناضل ونكافح من أجل هوية وطنية وإلا فسوف ننقرض كما انقرض هنود أمريكا!!

حزب هاداش Hadach

ورثت الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة من مضداها الرئيسى حزب الماكى Maki (الحزب الشيوعى) تقليداً طويلاً فى مزج القوائم الانتخابية اليهودية - العربية وحلت محلها التعادلية، وعلى قمة الأربعة مراكز المؤكدة وهو عدد من تم اختيارهم فى تشكيل الكنيست الرابع عشر وعلى رأسهم محمد برقة Barka ثم إحدى المرشحات اليهوديات تامار جوزانسكى Gouzanski والتى تعد من أ نشط البرلمانيين فى الكنيست والمبادئ التى أعلنها حزب هاداش لصالح الوحدة العربية كان من نتائجها إثارة خروج اثنان من مرشحيه هما هاشم محميد Mahmid وعزمى بشارة فيقرر أن تأسيس حزب جديد هو حزب هاداش (حداش - Hadach) وانخفض عدد ممثليه إلى ثلاثة مقاعد.

الحزب الديمقراطى العربى (مادا) :

مؤسس هذا الحزب عبد الوهاب الدراوشة وكان انسحابه من الكنيست وليس من الحياة السياسة لفتح الباب لدخول ممثل للحركة الإسلامية وهو عبد الملك الدراوشة.. وهو من مواليد إكسال Iqsal فى وادى جزرئيل Jezreel وهم السكان الذين عادوا لقراهم فى ١٩٤٨ بعد أن كانوا قد غادروها عندما وضعوا ثقتهم فى البالماخ Palmach!

واهتمام عبدالوهاب الدراوشة بالسياسة كان عن طريق نشاطه النقابى بصفته مدرساً ثم مفتشا للتعليم العربى، وكان أول عربى ينتخب رئيساً لنقابة المعلمين مما فتح له عام ١٩٤٨ أبواب الكنيست على قائمة حزب العمل، ثم ينسحب من حزب العمل بعد اندلاع الانتفاضة وينشىء حزباً جديداً لا يفوز فى انتخابات الكنيست سوى بمقعد واحد فقط.. ومنذ ذلك الوقت اتخذ أكثر المواقع إلى حد أن أنه صفق فرحا لاجتياح القوات العراقية للكويت عا م ١٩٩٠..!

وفى عام ١٩٩٢ يحقق عبدالوهاب الدراوشة تمثيله فى الإنتخابات باثنين من مرشحيه يفوزان بمقعدين فى الكنيست، وكان يأمل أن يصبح أول وزير عربى فى تاريخ إسرائيل مكافأة على مساندته البرلمانية لإسحق رابين، وبعد ذلك انتقل أمله إلى نيتنياهو الذى كان فى المعارضة، وبفضل تحالفه مع الحركة الإسلامية تمكن من مضاعفة عدد مقاعد ممثلية فى الكنيست فاصبحوا أربعة مقاعد فى انتخابات ١٩٩٦ ثم يرفض عام ١٩٩٩ مساندة نيتنياهو أو عزمى بشارة، وانتظر الحزب حتى آخر دقيقة للاختيار بين باراك وموردخاى فى انتخابات رئيس الحكومة.. وبالطبع انتهى بالوقوف بجانب باراك وحصل على ٥ مقاعد فى الكنيست!.

حزب الوحدة الديمقراطية (بالاد) :

كان عزمى بشارة يحلم بتوحيد صفوف عرب إسرائيل للحصول لهم على كيان أقلية وطنية مستقلة، إلا أنه لم ينجح فى تلك الأوقات سوى فى تكوين حزب عربى جديد وفى انتخابات عام ١٩٩٦ يفوز لأول مرة على قائمة حزب هاداش Hadach، وعزمى بشارة الماركسى وأستاذ الفلسفة بجامعة بيرزيت الفلسطينية هو ممثل الجيل الجديد من المثقفين العرب، ويشبه الدددكتور أحمد طيبى مستشار عرفات للشئون الإسرائيلية وانتهى بالانضمام إليه بعد فشله فى عقد اتفاق مع حزب هاداش.

وعزمى بشارة متعجل الولوج إلى صميم الأحداث بالوسائل الديمقراطية والمساواة مع مواطنيه اليهود فى الحقوق كما هو مدون فى النصوص واللوائح، ولذلك فهو يأمل أن تتخلى إسرائيل عن هويتها كدولة يهودية صهيونية!.. لتصبح دولة كافة المواطنين ويقرر عزمى بشارة تحطيم هذا الحرم المقدس، فيرشح نفسه لمنصب رئيس الحكومة ولكن هذا الترشيح لم يحظ بإجماع السكان العرب ويرد على كل من كان يخشى أن تكون نتيجة ترشيحه تفتت و ضياع الأصوات، يستفيد من ضياعها وتناثرها نيتنياهو: هذه المخاوف لاوجود لها بل على العكس إن ترشيحى سيؤدى بكثيرين من الناخبين العرب إلى التوجه لصناديق الاقتراع أما الاحتمال المتخوف مهن فربما يكو ن فى الاقتراع الثانى، وفى هذا الدور الثانى سيعطون أصواتهم بكثافه إلى أفضل المرشحين الحائز على أعلى الأصوات على رأس القائمة لهزيمة نيتنياهو فى الدور الثانى للاقتراع!

ويبدو عزمى بشارة فى واقع الأمر أنه لم ينجح فى إقناع عرب إسرائيل بصحة اتجاهه، وأقل من عدم الاقتناع هذا موقف السلطة الفلسطينية التى تحاول ألا تتدخل فى الشئون الداخلية لإسرائيل ولم تألوا هذه السلطة وسعاً فى محاولة إقناعه بالعدول وسحب ترشيحه!!.. إلا أنه يصمم ويحافظ على تحالفه الجديد مع أحمد طيبى مستشار ياسر عرفات الذى يقنعه على أى حال، فيتخلى عن الترشيح يوم السبت ١٥ مايو مساءا ليفتح الطريق أمام انسحابات أخرى ليتركوا باراك وحده ليواجه نيتنياهو، وقرارات الانسحاب هذه حققت الفوز بمقعدين، ويجب أن نسجل أن كل العرب الذين تم انتخابهم سوف يسخطون لاستبعاد كل تحالف مع باراك، ومع ذلك فإن رئيس الوزراء كان يعتمد على مساندة هؤلاء النواب داخل الكنيست لتعزيز أغلبيته من الخارج!..

وتجدر الإشارة إلى أن الكنيست أصدر قراراً بإسقاط الحصانة عن عززمى بشارة، عقب زيارته لدمشق فى نوفمبر ٢٠٠١ وإعلانه تأييده لحركة «حماس»!

حزب هاآرابى هاداش Ha' Arabihadch

آخر مواليد الأحزاب العربية هو حزب هاآرابى هاداش (العربى الجديد) الذى يريد أن يكون ممثلا للجيل الجديد من العرب الراغبين فى تأكيد اندماجهم الحقيقى فى المجتمع الإسرائيلى على أساس من المساواة الفعلية فى الحقوق!.. خلافاً للأحزاب العربية التقليدية

الأخرى تستمد أصولها من قرى الجليل وسكان المثلث الصغير. وهذا الحزب الذى يتزعمه أكرم حورى Akram Houri و من أفكار أهالى يافا أقدم كبرى المدن العربية وتوأم تل أبيب.

ويفشل فى الدخول إلى الكنيست حيث لم يحصل سوى على ألفى صوت!..

صراع المتطرفون.. ومجلس القضاء الأعلى:

قضية الفصل بين الدين والدولة أثارت المتطرفون وسكان المستوطنات.. وحاكموا نيتنياهو داخل الكنيست!..

وهو فى حقيقة الأمر مدين لهم بموقعه رئيساً للحكومة، وذلك لمعاقبته على توقيعه على اتفاقيات الواى ريفر بلانتيشان لما تمثله من خطورة - حسب أقوالهم - على مشروع الاستيطان فى يهودا والسامرة (الضفة الغربية).

وبتأثير جماعة الهاريديم Haredim يقوم الأرثوذوكس والأشكيناز والسفارديم من حزب شاس بحملة ضد مجلس القضاء الأعلى بشأن قضية الفصل بين الدين والدولة، وينكرون على القضاء المدنى أى اختصاص فى الأمور الدينية، ولا يتردد نيتنياهو فى إطلاق التهديد ضد المتظاهرين من رجال الدين الذين يعكرون صفو النظام العام.. ووزير العدل فى حكومته لا يتردد فى اعتلاء شرفة دار القضاء العالى أثناء تجمع الهاريديم الهائل فى القدس للدفاع عن الدار، ويؤكد أنه المسئول عن القضاء ومن المدهش أن وزير العدل نفسه كان المحرض على مظاهرات قامت بها جماعات المتطرفين ضد رئيس الوزراء إسحق رابين قبيل اغتياله!!

ويدخل الزعيم الروحى لحزب شاس أوفاديا يوسف ونجله فى نزاع مع مجلس القضاء الأعلى غير عابئين باحتمال ملاحقتهما قضائياً بسبب أطلقاه ولكن حدث العكس كما لو كان قد أريد منح الأولوية للأمور الدينية، فلا يتردد زعيم حزب شاس آرييه ديرى من إطلاق شعارات لصالح مسيرة السلام والانسحاب من لبنان ومن الجولان منذ بداية الحملة الانتخابية، بهدف عقد اتفاق سلام مع سوريا بل وإلى حد التعبير عن لا مبالاته تجاه المستعمرات الدينية!! ويتفادى إعلان موقفه فى الدور الأول للاقتراع على رئيس الحكومة تاركا الأمر ليقوم نيتنياهو بالتخمين عن موقفه فى الدور الثانى، وقبل أسبوع واحد فقط

يصرح أنه ليس مرتبطاً بنيتنياهو وأنه على استعداد **لعقد اتفاق تفاوضى مع باراك!.. فى** حدود ابتعاده عن حلفائه من حزب ميريتز وشنوى، **وفى الحقيقة كان باراك** قد أعلن رفضه التفاوض مع حزب شاس طالما ديرى Dery زعيماً **له.. وأصبحت مساندة نيتنياهو** أمراً واقعاً فالغالبية من ناخبى حزب شاس ستصوت لنيتنياهو **وكما سوف نلاحظ** أن ٦٦ ٪ من أصوات الناخبين من أصول مغربية حصل عليها نيتنياهو.

أزمة فى حزب المفدال Mefdal

بعد ما يقرب من ٢٠ عاما من الراديكالية، بدأ حزب المفدال كأنه يريد أن يحدد موقفه مع مبادئه ومسيرته إلا أنه لم يكن يعرف طريقه لذلك، إذ أن الانتخابات الداخلية لإعداد قائمة الحزب لانتخابات الكنيست أوقعته فى موجة من الاضطراب، فالمرشحين الأكثر تطرفا تم استبعادهم.. ولم يظهر أى بديل واضح.

وكما كان متوقعاً فإن زعيم الحزب وزير التعليم إسحق ليفى Levy انتخب واحتل **صدارة القائمة، ويعد من أخلص أنصار** إسرائيل الكبرى والمدافع بكل حرارة عن نيتنياهو **وسياسته، إلا أنه كان من بين الستة مراكز الأولى فى القائمة**صقرين اثنين.. من الذين كانت **لهم فرص حقيقية لدخول الكنيست وهما:** نائب الوزير إيجال بيبى Bibi والنائب نيسان **سمولانسكى** Smol Anski، **ومن جهة** أخرى نرى شريكهم من أنصارالاتجاه الوطنى من **حزب المفدال، وقد استقر فى الموقع** الحادى عشر، أى تقريباً قد حرم من أى فرصة **لانتخابه للكنيست وهو حانان بورات،** وبورات هذا ولد فى مستعمرة كفار إتسيون Kfaretsion وجرح عام ١٩٤٨ واشترك فى حرب عام ١٩٦٧ وفى العالم التالى يعود إلى المستعمرة التى سبق طرد أهله منها ويصير نواة لجيل جديدمن سكان المستعمرات المتطرفين ذوى الكيبا Kipa (رداء الرأس اليهودى) ويجرح جرحاً بالغاً فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ثم ينضم إلى حزب تحيا Tehya المتطرف!

وحانان بورات الذى كان دائماً يتسم بإخلاصه لمبادئه فهو لا يقبل من نيتنياهو الذى وضع فيه سكان مستعمرات الضفة الغربية آمالهم.. أن يوقع على اتفاق الواى ريفر ويندفع بحماس فى عدائه لنيتنياهو بين معارضة أقرانه من حزب المفدال!

والأزمة كثيراً ما تسفر عن أزمة أخرى!.. وحزب المفدال لا يشارك الهاريديم فى تعصبهم فى أمور (الهالاخا - Halaka الشريعة) ولا معارضتهم لمبدأ صهيونية الدولة، فمنذ حرب الأيام الست رأى الاتجاه الدينى أصوليته وهى تتلاشى أمام الهارديديم بينما الهاريديم يصبحون صهيونيين!!

ويتنامى هذا التوازن عند مناقشة مدى شرعية المحكمة العليا، ويقوم الزعماء الروحانيون أمثال الحاخام إلياهو Eliahou والحاخام شابيرا Shapira بتقدم صفوف مظاهرة الاحتجاج فى القدس.. كما لم يتحرك أحد من الزعماء السياسيين، وإذا كان العصيان يتصاعد منذ سنوات، فلم يكن هناك شىء يوحى بأن يندلع هكذا وبصورة مشهودة يوم الأحد ١٥ فبراير ١٩٩٩ وبرغم أن المجلس الأعلى للقضاء لم يكن على وشك اتخاذ أى قرار إلا أن جماعة الهاريديم كانت فى أشد حالات الانزعاج، فمجلس القضاء الأعلى لايكف عن إحباطهم بسبب انتصاراتهم السياسية وبالإضافة إلى قرارات الجدل حول فتح المحلات يوم السبت فى المستعمرات، تأتى تلك الشرارة التى أشعلت النار بشأن الغرامة وقدرها ٣٠ ألف شيكل والتى قررها رئيس المجلس الدينى لمدينة القدس الحاخام إسحق رالباج Ralbag لأى إهانة توجه للمأمور القضائى . ورفض الحاخام وهو من بين أعضاء المجلس... الموافقة، وكان ذلك بالمخالفة لقرار المجلس الأعلى القضائى الذى ينهى تلك التفرقة الدينية ويقول: منبع الحق والعدل بالنسبة لى هى الهالاخا التى لا تعترف بالسلطة الدينية للمحافظين ولا للمجلس الأعلى للقضاء ويعلن أنه على استعداد لو أدى الأمر لدخول السجن!

وتثور صحافة جماعة الهاريديم ضد الدكتاتورية القضائية التى لا مثيل لها فى العالم الغربى، والتى تقف بالمرصاد للقرارات الديمقراطية التى يصدرها الكنيست، وتطالب بمزيد من التمرد والعصيان.. فالوقت يمضى.. وسيكون عسيراً على أى يهودى مخلص لدينه أن يعيش داخل دولة إسرائيل!!. ثم يقوم الحاخام أوفاديا يوسف بصب الزيت على النار المشتعلة واصفاً قضاة مجلس القضاء الأعلى بأنهم أعداء اليهود من الكفرة وفاقدى الإيمان بينما نجد الحاخام دافيد يوسف يصف رئيس هذا المجلس بعدو اليهود رقم واحد ويخطط البوليس لملاحقته لتحريضه على العنف إلا أنه يعدل كى لا تزداد النار اشتعالاً!.. وابتهالاً للسماء وشفاعتها تكلف جماعة الهاريديم واحداً من رجالها السياسيين وهو مناحم بوروش Porouch لإعداد مظاهرة من جموع المصلين لتكون أضخم ما تم تنظيمه فى إسرائيل لإنقاذ الأرواح

البشرية والنفوس! ونودى على السيدات بل والأولاد لهجر دروسهم مؤقتا للمشاركة فى هذه المظاهرة فى مواجهة ما أطلق عليه إعلان الحرب على آخر معقل من معاقل الديمقراطية والصهيونية!!.

وتقرر المنظمات العلمانية بدورها ومعها أنصار التيار اليسارى إعلان التعبئة العامة بين أنصارهم لإنقاذ البلاد ومواجهة غزو الدولة لفرض نظام ثيوقراطى!..

ويكون المجلس الأعلى للقضاء آخر باب يمنع الأرثوذوكس المتعصبين من بلوغ هدفهم الخطير.. وجاء يوم الأحد ١٥ فبراير ١٩٩٩ ورجال البوليس على أهبة الاستعداد لمواجهة موجات الجماهير التى لم يسبق حشدها وقدر عددها بـ ١٠ ٪ من مجموع سكان البلاد..يتجمعون فى الشوارع مما كان متوقعاً حدوث كوارث.. إلا أن كل شىء مر بسلام.. ولم يكن يفصل بين الطرفين سوى ١٥ متراً فى إحداها ٤٠٠ ألف من الهاريديم ينشدون ترتيلاتهم مطالبين بإلغاء القرار الآثم، بينما يواجههم على الطرف الآخر ٧٠ ألفاً من العلمانيين تعهدوا بحماية المجلس الأعلى للقضاء!.. ولو أدى الأمر بتعريض أجسادهم للدفاع عنه، ويبدو أن الحرص الانتخابى كان الدافع لتغيب أربعة مرشحين لرئاسة الوزراء!

وعلى العموم فقد تمكنت جماعة الهاريديم من حزب ياهادوت هاتوراه Yahadout Hatorah من إظهار عضلاتهم، ولم يجد المتطرفون أمامهم سوى العودة للانزواء فى معاقلهم «الجيتو» تاركين للعلمانيين الاستمتاع بحياتهم كما يحلو لهم فى هدوء..!

وفى انتخابات ١٧ مايو ١٩٩٩ حقق كل من الهاريديم الأشكيناز من حزب يهادوت هاتوراه وأكثر منهم الهاريديم السفارديم من حزب شاس حققوا نصاًر لم يكن متوقعاً.

ياهادوت هاتوراه Yahadout Hatorah

أما جماعة الهاسيديم Hassidim (الصوفيين) من أنصار أجودات إسرائيل والمتناجديم Mitnagdim (المعارضين) من حزب ديجيل هاتوراه (بيرق التوراة) قرروا تجديد الاتفاق السابق خلال آخر عملية انتخابية والتقدم بقائمة مشتركة باسم ياهادوت هاتوراه، يترأسها مائير بوروش Porouch ثم موشيه جافنى Gafni ورافيتز Ravitz ثم يأتى بعد ذلك وافد جديد الحاخام يعقوب ليتسمان Litsman من حزب أجودات، أما الظاهرة الجديدة فى هذه

الانتخابات كانت اختفاء هذا الشغب من جانب الحاخامات بنيتنياهو فهذه المرة لم يحدث ما سبق أن حدث عام ١٩٩٦ ذلك لان زعيم الليكود قد أخل بوعده للحفاظ على وحدة إسرائيل الكبرى Eretz Israel فوقع بإمضائه على اتفاق الواى بلانتيشان!.

ويحاول حزب ياهادوت هاتوراه وقد شعر بالغيرة من حزب شاس تحطيم حدود تمثيله بأربعة نواب، فيتجه إلى الجمهور العريض من أتباع التيار الدينى وسكان المستعمرات فى الضفة الغربية كما أن ممثله فى الحكومة نائب الوزير فى وزارة التعمير والبناء مائير بوروش يشيد بالموازنات التى قام بإعدادها أثناء عمله فى وزارة التعمير لبناء شقق للسكان، ويفوز تيار اليهودية الموحدة لجماعة الهاتوراه بخمسة مقاعد تمثيلا لـ ١٢٥ ألف صوت،ويحاول باراك باتفاق تام مع حزبى ميرتيز وشنوى ضم تيار ياهادوت هاتوراه إلى تحالفه، ولكن الفارق بين اختيارات باراك الدينية واختيارات جماعة الهاريديم حتى الأشكيناز منهم يتمثل فى عدم السماح سوى بأمل إشراكهم فى الحكومة مع مجموعة نوابهم!

تناقضات حزب شاس!

كان هذا الحزب غارقاً فى خصومات ونزاعات متكررة مع أجهزة العدالة وهذه النزاعات لم تكن لصالحه.. وتتوالى المشاكل بدءا من اتهام يائير ليفى Yair، أمين صندوق الفرع التعليمى للحزب بالسرقة وعدم الأمانة التى اتهم بها النائب السابق شلومو ديان وكذا الاتهام بالتنصت الغير قانونى على المكالمات التليفونية من جان آيلان تسوبيرى Ilan Tṣuberi إلى الاتهام الشائن الموجه لزعيم حزب شاس آرييه ديرى Dery وكان بمثابه زلزال هد كيان الحزب، والقضاة الثلاثة الذين رأسوا المحكمة الفرعية بالقدس لم يشكوا أبداً فى إدانة آرييه ديرى ربما أكثر من الثلاثة الكومبارس المتهمين معه بأنه غشاش ونصاب من الدرجة الأولى!... كما أنه يتمتع بذكاء خارق وضعه فى خدمة أطماعه ويدينه ثلاثة قضاة من بين الأربعة من وكلاء النيابة الذين مثلوا الادعاء واتهامة بأنه تجاوز الثقة وبالنصب والاحتيال والفساد، وكان آرييه ديرى قد حصل على رشاوى تقدر بـ ١٥٥ ألف دولار، اقتنى بها شقة فاخرة تفوق إمكانيات رئيس حزب شاس بالإضافة إلى عدة سفريات للخارج على حساب حزب ييشيفا Yeshiva واستمرت المحاكمة تسع سنوات حاول المحامون المدافعون عنه مراوغة الشهود والتضييق عليهم على أمل الإطالة ليتدخل أصدقائه من

رجال السياسة!.. ومما أخذ عليه أن ثلاثة من رؤساء الحكومات وهم على التوالى شامير ورابين ونيتنياهو كانوا قد منحوه ثقتهم، ولم يشفع ذلك كله فى رأفة أى من القضاء، كما لم تشفع له الابتهالات والصلوات والدعوات التى قام بها كبار الحاخامات!!.. فى تخفيف حدة الاتهامات على مؤسس حزب شاس وكان التساؤل هو: هل كان آرييه ديرى يلاحق بهذا العنف وهذا الإصرار لو لم يكن من اليهود الشرقيين؟! وفى الحقيقة إن نجاح حزب شاس كان يثير مخاوف المؤسسات الاشكنازية التى أقسمت على قطع رأس الحزب، وذلك عن طريق تكبيل زعيمه بهذه السلسلة من الاتهامات، وعموماً فقد راود الكثيرين الأمل لتبرئته فى الاستئناف.. واليوم يخشى كثيرون من السياسيين مواجهة قضاة المحاكم... وظهرت فى بعض الصحف مقالات تشير إلى مدى العنف الذى وقع على آرييه ديرى وأنه راجع إلى موجة العنف السائدة ضد اليهود السفارديم!

وينبرى الحاخام أوفاديا يوسف فيعلن أن آرييه ديرى فى نظر التوراة برئ ابن برئ!! وكانت عودة حزب (شاس) لاحتلال موقعه فى الكنيست ثمناً لخوف رجال السياسة من فكرة اتهام واحد منهم.. أما رئيس الحكومة فقد صم أذنيه مفضلاً الصمت الذى يعبر عن نفسه!

وكان «نيتنياهو» قادراً على الاستفادة من الاتهامات التى وجهت لآرييه ديرى ليعيد إلى حزب (الليكود) الأصوات التى فقدها خلال الحملات الانتخابية الأخيرة وأعطيت لحزب (شاس)!... وعموماً فإن الحزبان (الليكود) و(العمل) حاول كل منهما هذه المحاولة.. إلا أن «نيتنياهو» تحفظ!!

أما «إيهود باراك» فكان الوحيد من بين المرشحين الخمسة لرئاسة الحكومة، الذى أعلن صراحة رفضه التفاوض مع «ديرى» فى حالة فوزه بتشكيل الوزارة، وفيما بعد حاول «موردخاى» أن يطلب من «ديرى» الابتعاد، ذلك لأنه لم يكن يخسر شيئاً من الهجوم على «ديرى» بما أن حزب (شاس) السفاردى كان قد رفض منذ البداية مساندة أول مرشح سفاردى لرئاسة الحكومة فى تاريخ إسرائيل!... مع أن ذاك كان الاتجاه التلقائى لدى غالبية نواب الحزب!

وكان «ديرى قد شرح لأعضاء حزبه أنه فى السياسة لا يعطى شيئاً بلامقابل!...

وإذا ما كان الحزب يريد عودة الزمن الغابر فعليه تفضيل واحدمنهم.. رجل دين مهمته ممارسة الشعائر... ممن يقبل الأيادى بل وأن يكون ذو لحية حاخامية أما الأشكينازى العلمانى فهو بعيد عن كل القيم الدينية والعائلية!.... ويصف «ديرى» «نيتنياهو» فى أواخر أيام الحملة الانتخابية بأنه أحسن صديق للسفارديم ولم يرفض لنا أية مطالب،وكان «ديرى» و«نيتنياهو» قد ربطا مصيرهما فى داخل حزب الليكود مما أثار اعتراضات تعزو السقوط التدريجى الذى لحق بنيتنياهو إلى تلك العلاقة بين «ديرى» وبنيه كما أوضحت استطلاعات الرأى وإزاء هذه التلميحات كان على حزب (شاس) سرعة التصرف بحسم مؤكداً بأنه إذا أمكنه التخلى عن «نيتنياهو» فإن «نيتنياهو» لا يستطيع التخلى عن (شاس) فبدون (شاس) فإن «نيتنياهو» لا شىء ولولا (شاس) لما راوده الأمل فى العودة للسلطة، وظل حزب (شاس) الوحيد الذى يكن لنيتنياهو الإخلاص ربما بأكثر من إخلاص حزب (الليكود) تجاهه!

وحزب (شاس) نابع من تعصب عرقى وإذ يدرك أن خير وسيلة للدفاع هى الهجوم، وكان «ديرى» وقتها مطلق السراح انتظاراً للاستئناف وأمامه اتهامين بالفساد والتورط فى قضية «بار- أون BAR - ON» وكان هناك شريط ڤيديو كاسيت نشر على الملأ بعد طبع آلاف النسخ منه يحمل عنوان «أنا أتهم» يفند الاتهام بالفساد ويشير إلى قسوة القضاة والنائب العام فى توجيه اتهام باطل تجاه «ديرى» الذى يقطن شقة متواضعة اشتراها بمنح من عائلة زوجته «يافا»، وإذ يرفض التخلى عن موقعه مشيراً إلى أنه حتى وهو داخل السجن فسوف يستمر فى زعامة الحزب وإدارته، وتعهد أن يتخلى فقط فى حالة ما إذا لم يفز حزبه بالعشرة مقاعد التى يحتلها فى الكنيست فى دورته الرابعة عشرة... وبدلاً من إضعاف موقف الحزب.. فقد كان على يقين أن قضيته سوف تدعم موقف الحزب وترسخ أقدامه عملاً وتشبهاً بمصير شعب إسرائيل الذى يؤمن بأنه: «كلما زاد الاضطهاد زادت التقوية وزاد التدعيم»!

وأى تناقض هذا لحزب بنى نجاحه على «عودة» النقاء الأصيل ومشهور بأنه نصير الفقراء أن يجد نفسه فجأة مدافعاً عن زعيم متهم بالفساد؟! ولم يخلو حزب (شاس) من المتناقضات، فالتلاميذ الذين يدرسون فى مؤسساته يتعلمون تعليماً صارماً خليقاً بالتوانيين وتقمصوا طبائعهم، ويحارب الحزب الفقر بفضل الإعانات التى تمنحها له الدولة، وهل هناك

تناقضاً أكبر من أن الحزب الذى يدعى أنه حزب السفارديم يحجم عن مساندة إسحق موردخاى المرشح الوحيد فى انتخابات رئيس الحكومة؟! وفى مناسبة احتفال عيد (البوريم) فى مارس ١٩٩٩ رأينا الرئيس الروحى للحزب ينادى بيبى (نيتنياهو) بقوله: «حبيبى الغالى»!!... وبعد فترة قصيرة لم يتورع هذا الرجل عن وصف نفس هذا النيتنياهو بألفاظ التلمود: «العنزة العمياء»!!.. وكان فى مقدرة «نيتنياهو» الاستفادة من الموقف لتدعيم مكانة حزب (الليكود) إلا أنه صمم على ألا يبتعد عن صديقه «ديرى» الذى لم تمر مناسبة إلا وأطنب فيها فى «نيتنياهو» وتمنى له أن يعاد انتخابه رئيساً للحكومة! وكان «موردخاى» قد لثم يد الحاخام «أوفاديا» فى اليوم التالى لخروجه من الحكومة ومن المحتمل خداع البعض، فإن «موردخاى» أوضح دائماً أن الحاخام كثيراً ما حذره من ترك حزب الليكود!

محاولات اليمين المتطرف:

حزب التسوميت Tsomet

إن الأحزاب ليست أقل خشية من الوفاة مثل الرجال، لذا فإن حزب التسوميت (مفترق الطرق) كان يخشى الدخول مرة أخرى الانتخابات، ورافائيل إيتان Raphael Eitan ينادونه برافول مؤسس الحزب ودعامته الوحيدة وكان رئيساً للأركان خلال حرب لبنان، وهو الذى وقع شهادة وفاة حزبه عندما أعلن منذ عدة شهور انسحابه من الحياة السياسية وفى ذات الوقت يعين خليفته وهى مديرة مكتبه فى وزارة البيئة نيهاما رونين Nehama Ronen وكانت من حزب التيار الوسط، وعند الإعلان عن الانتخابات الجديدة يستيقظ إيتان من جديد باحثاً عن ما سبق أن حققه عام١٩٩٦ فبدلاً من مواجهة الانتخابات وحده فضل أن ينضم تحت جناح نيتنياهو الذى وعده بخمسة مقاعد فى الكنيست على حساب الليكود مقابل خروجه من سباق انتخابات رئيس الحكومة، ولكن المعجزات لاتتكرر مرتين فالظروف تغيرت وإزاء معارضة قادة حزبه فلم يعد فى إمكانه أن يضمن لحزب تسوميت سوى مقعد واحد فى الكنيست ويعد نيتنياهو إيتان بأن يعنيه وزيراً إذا ما فاز وشكل الحكومة: ولم يجد حزب تسوميت أمامه سوى أن يتقدم كحزب مستقل برأسه رافول وينتهز الحزب الصغير المناسبة لهجرة اليمين المتطرف ضربة قاصمة لتيار الوسط فلم يعد برنامج الحزب يذكر

شيئاً عن الوفاء لإسرائيل الكبرى وإذ يستخلص عبرة من التطورات الجيوبوليتكية فى المنطقة فيعلن أنه يساند عقد اتفاق مع الفلسطينيين وفى نفس الوقت ينادى بتقوية المستعمرات بالاعتدال فى مواجهة التعصب الدينى فينادى بالحوار مع جماعة الهاريديم Haredim حول المشكلة الشائكة: تجنيد طلبة تدريس الدين «اليشفوت»، وإذا كان حزب تسوميت هو حزب الرجل الواحد، فإن حزب الوسط حزب التيار الثالث يظل هو حزب الفكرة الواحدة!

حزب التيار الثالث:

حزب التيار الثالث إذ يغازله كل من حزب الليكود وحزب إسرائيل آهات، فإنه فى النهاية يختار أن يحافظ على استقلاله محتفظاً دائماً ببرنامجه فى الدفاع عن الجولان، ومن بين أربعة مقاعد حصل عليها عام ١٩٩٦ يخسر مقعدين فى مسيرته ثمناً غالياً للإخلاص الزائد من جانب رئيسه أفيجدور كاهالانى تجاه نيتنياهو!.. وكان انسحاب الروسى أليكس لوبوسكى Luboski الذى انضم لتيار الوسط ثم انضم بعد ذلك لحزب إسرائيل آهات، أتاح لوزير الأمن الداخلى أن يضع فى المركز الثانى لقائمته رئيس لجنة السكان بالجولان: إيلى مالكا Malka ويليه ساكن آخر من سكان الجولان وهو إسرائيل هاريل Harel الذى كان قد سبق وأعلن انسحابه من الحياة السياسية إلا أنه عاد بعد أن ابتلع اشمئزازه السابق لنيتنياهو ليجد له مكاناً فى الكنيست!..

ويختلف نيتنياهو وافيجدور كاهالانى عند نهاية الحملة ويحاول نيتنياهو أن يبدو «رجلاً قوياً» فيصف كاهلانى بـ «الفرخة المبللة»!.. وحصل على ٢٦ ألف صوت أى ٧٪ ولم يفز بمقعد فى الكنيست.

اتحاد اليمين المتطرف حول بيجين:

ويثبت بينى بيجين أنه سياسى حصيف عندما غادر الحزب الذى أسسه والده فى الوقت المناسب مفضلاً «المبادئ» عن أى مكسب انتخابى وبينى بيجين من مواليد ١٩٤٣ فى تل أبيب فى شقة مؤجرة من غرفتين وليس فيها شئ من مظاهر الترف وهى التى كان

والده ينظم فيها نشاطه الإرهابى المستتر ضد القوات الإنجليزية، ودفعه غرامة بفكرة إسرائيل الكبرى لدراسة علوم الجيولوجيا فى القدس ثم يحصل على الدكتوراة من جامعة كولورادو بالولايات المتحدة ولم يكن يبدى اهتماما كثيراً بالسياسة ويحصر همه فى تربية أولاده الستة، وكان دائماً بجوار والده الذى كان يقدر فيه «الصدق والرزانة والاستقامة».. وبعد وفاة والده «أدركته السياسة» فدخل الكنيست فى صفوف حزب الليكود عام ١٩٨٨ وبعد خمسة أعوام، يحاول استمالة مساندة قدامى زعماء الحزب زملاء والده إلا أن أغلب هؤلاء سحرتهم هالة نيتنياهو المخادع ففضلوه عليه!.. ويعينه نيتنياهو وزيراً للعلوم، وكان مثالاً للتواضع فرفض السيارة بالسائق المخصصة له فى منصبه الوزارى ويكتفى بسيارته الخاصة بينما كان يحضر جلسات الكنيست مستقلاً الأتوبيس، وإذ يتحلى بتقاليد جابوتنسكى الفروسية فلم يكن يلجأ أبداً إلى مستوى الديماجوجية لمهاجمة منافسيه، وكان من أشد المعارضين لموجة الكراهية المندلعة ضد رابين ويدين بشدة اتهامه بالخيانة كما كان يدين بشدة وحزم هجوم هانجبى Hanegbi ضد باراك وشعاره الذى يقذف به باراك:باراك.. بره!.. إن باراك أنقذ نفسه من «حادثة تسيليم» Tseelim التى سيجئ ذكرها فيما بعد..

حملة انتخابية شخصية:

كانت حملة الانتخاب المباشر لرئيس الحكومة لحكومة تستدعى فحص شخصية المرشح بأكثر من الاهتمام ببرنامج الحزب، ولم يحدث أن اتخذت أى حملة انتخابية هذا الاتجاه فى التركيز على شخصية المرشح وحدها، ولاشك أن سبب ذلك يعود إلى أن شخصية رئيس الحكومة الموجود كانت شخصيته متناقضة من كثرة تردده ونكوصه عن تعهداته واضطراره مرغماً على ترك منصبه فى منتصف فترة ولايته، وكانت الحملة أشبه بمعركة صليبية تستهدف طرد رئيس الحكومة من منصب ربما كان يحلم بالتخلى عنه وربما أيضاً لم يكن أصلاً يتوقع الوصول إليه!

وبعد جلسة محاكمة آمنون شاهاك.. هذا الرجل الذى يصوره البعض بأنه يمثل خطراً على مستقبل البلاد، وأكثر الناطقين الراديكاليين عن الأقلية المزعجة ضد نيتنياهو وكان قبل

ذلك وزير ماليته السابق: دان ميريدور Dan Meridor الذى يعلن أنه لن يتقبل أبداً وفى جميع الحالات أن يزاحمه أحد فى منصبه داخل الحكومة، ووفاء لذكرى والدها تعلن داليا رابين نفس التعهد على نفسها بألا تجلس بجوار نيتنياهو!!

ومن تيار اليسار أعرب يوسى بيلين Yossi Beilin عن نفس المشاعر ضد نيتنياهو فيقسم بألّا يجلس بجواره فى أى حكومة!

ومثل الأوانى المستطرقة، فقد كان حتماً أن ينعكس صراع الشخصيات على الحملة الانتخابية. وكان حجم التحديات فى معركة اتفق الجميع على اعتبارها حاسمة بالنسبة لمستقبل البلاد مع التلويح باحتمال تأسيس دولة فلسطينية من جانب واحد يوم ٤ مايو ١٩٩٩ وهو أمر مرفوض أثار موجة من الجدل الأيديولوجى العميق والبلاد على أعتاب القرن الـ ٢١.

وبدلاً من الالتزام بالتعهدات الحاسمة فى مجال العلاقات مع الفلسطينيين والسوريين واللبنانيين، فضل الحزبان الكبيران ومعهما حزب الوسط اللجوء إلى الشعارات التقليدية لدعاياتهم والتمسك بالوعود والتحذيرات المستترة وبغمزات العيون وركزوا على مشاعر وتخوف وآمال الناخبين بأكثر مما كان واجباً التركيز عليه وهو مخاطبة عقول الناخبين والتحدث إليهم بصراحة!

وعلى عكس انتخابات عام ١٩٩٦ فإن المعسكران الكبيران حزب العمل وحزب الليكود، أعطيا للحملة الانتخابية نوعاً من التردد وأسبغوا عليها جواً من الحيرة، أما حزب الوسط «إسرائيل آهات» فقد جاهد فى إثارة الجدل حول المشاكل الاقتصادية والاجتماعية واختارها وسيلة للتصالح الوطنى وإصلاح الحياة العامة والأخلاقيات بدلاً من التشرذم، بينما حزب الليكود سعى جيداً لجر منافسيه إلى السياسة!

بديل للدولة الفلسطينية:

لم يحدث أى جدل حقيقى حول الدولة الفلسطينية، وتعهد كل من حزب إسرائيل آهات وحزب الوسط ألا يطرقا هذا الموضوع الذى يشبه الأرض المنزلقة، بينما حزب الليكود كان على العكس مستعداً لمناقشته، فمصير الأراضى الفلسطينية التى يجب ردها بموجب

مفاوضات كان مفروضاً أن تبدأ منذ ١٩٩٦ وتنتهى فى ٤ مايو ١٩٩٩ وهى مفاوضات لم تبدأ بعد، ومع ذلك توجد وثيقة يمكن أن تصلح أساساً لمواجهة فكرية مثمرة وهى البروتوكول المتفق عليه بين أبو مازن وبيلين Beilin وعلى الرغم من أنها وثيقة شبه رسمية فإنها تصلح أن تكون أساساً محتملاً لتسوية إسرائيلية فلسطينية حول أكثر القضايا اشتعالاً وأهملت عمداً فى مفاوضات أوسلو ونقصد بها: عودة اللاجئين ووضع مدينة القدس ومستقبل المستوطنات وتجريد السلاح على الحدود!

وكان نيتنياهو هو الوحيد الذى أعاد هذه الوثيقة من غياهب النسيان، مستفيداً من أنها لم يسبق الإشارة إليها بصفة رسمية ولايمكن تكذيبها، ويقدمها كعلامة على الروح الانهزامية لحزب أفودا Avoda المستعد للتنازل عن ٩٥ ٪ من الأراضى للفلسطينيين، ويقول فى هذا الصدد: «ما وعد به بيلين فإن باراك مستعد لتنفيذه»!!.. فهما على استعداد للتخلى عن غالبية أراضى يهودا والسامرة (الضفة الغربية) والعودة إلى قرار الأمم المتحدة بالتقسيم وعن أجزاء من النقب وما أخشاه إذا عادا للحكم فسوف يجئ الدور على الجليل!! وبالطبع كان العرب يتمنون هزيمة نيتنياهو لأنه سيكافح ويعارض فكرة إنشاء دولة فلسطين بالإضافة إلى تهديده بضم الأراضى المحتلة وهو التهديد الذى أرغم عرفات على التراجع عن إعلان الدولة الفلسطينية من جانب واحد فى ٤ مايو ١٩٩٩ ...!

وبدلاً من تحليل عقلانى للمزايا والمخاطر الناجمة عن إنشاء دولة فلسطينية فإن نيتنياهو لايذكر سوى المظهر الشيطانى (حسب تعبيراته) للدولة الفلسطينية مثيراً بذلك مشاعر ومخاوف اليهود، وتذكيرهم بمآسى الهولوكست على يد النازى ومحارق الغاز التى تعرض لها اليهود واحتمال أن يكون لهذه الدولة الفلسطينية جيشاً قوياً وتكون بؤرة تأوى «الإرهابيين» الذين يخططون لتدمير دولة إسرائيل!!

ويحاول نيتنياهو إخفاء أو تناسى ما سبق أن صرح به من ضرورة أن تكون تلك الدولة ديمقراطية محبة للسلام، فيسارع بالهجوم على تصريح برلين الذى أصدره زعماء الاتحاد الأوروبى فى مارس ١٩٩٩ بادعاء أن من السخرية أن يتم ذلك من جانب أوروبا وهذه الوحدة الأوروبية تشمل مندوب لألمانيا.. هذه الدولة التى فوق أرضها حدثت محرقة اليهود ويريد مندوبها أن يفرض على إسرائيل حلاً يعرض مصيرها للخطر!

وكان نيتنياهو بمثل هذه الذكريات التى يثيرها يخطط تكسب تأييد كل أنصار التيار اليمينى من رجال الدين حتى أنصار بيجين!

أما فى التيار اليسارى، يعلن ميرتيز Merrtz بلا تحفظ أنه يساند إنشاء دولة فلسطينية وحـزب إسـرآئيل آهات Israel Ahat لم يقبل فتح الحوار حول فرص ومخاطر حل يراه بالضرورة حتمياً على المدى الطويل، ولا مفر من الاعتراف به، إلا أنه وفى الوقت الحالى لاداعى لإثارته، وكان من المؤكد أن أهم تكوين حزبى يسارى «أفودا» كان قد تخلى عن معارضة إنشاء الدولة الفلسطينية تحت شرط أن تكون منزوعة السلاح وتقديم الضمانات الضرورية لأمن إسرائيل، أما تيار الوسط فيكتفى بتأكيد حسن النية ويعلن أن جميع المشاكل لها حلول وأنه مع استئناف فورى للمفاوضات مع الفلسطينيين حول مبادئ الاتفاق النهائى فى نفس الوقت الذى تطبق فيه بنود اتفاقية الواى ريفر Wye River.

ويتجاوز رئيس الدولة «وايزمان» اختصاصاته الدستورية مرة أخرى، فيدلى بدلوه فى المعركة الانتخابية، ففى مقابلة مع تليفزيون القاهرة وبمناسبة مرور ٢٠ عاماً على اتفاقية كامب ديفيد يعلن أنه إذا رفضت الحكومة الإسرائيلية إنشاء الدولة الفلسطينية، فهى بذلك ترتكب نفس غلطة الفلسطينيين بالنسبة لمشروع تقسيم ١٩٤٧!

وكانت استطلاعات الرأى التى نشرت فى ٣٠ مارس ١٩٩٥ بواسطة مركز أبحاث جامعة تل أبيب تشير إلى أن ٦٩٪ من سكان البلاد اليهود مقابل ٢٥٪ كانوا مقتنعين بأنه عند نهاية اتفاق أوسلو سوف تنشأ دولة فلسطين، ومن جهة أخرى فإن ٥٥٪ من الإسرائيليين يعتبرون أن من حق الفلسطينيين أن تكون لهم دولتهم فى مقابل ٤٣٪ يرون غير ذلك، بل ويؤكدون أن الفلسطينيين يريدون تدمير إسرائيل وكانوا ٦٠٪ عام ١٩٩٨ و٧٠٪ عام ١٩٩٥.

حدث ٤ مايو ١٩٩٩ الذى لم يحدث!

وتتباهى حكومة نيتنياهو بأنها بتهديدها عرفات حسمت الموقف، فلم تعلن الدولة الفلسطينية فى ٤ مايو ١٩٩٩ كما سبق وأعلن عرفات عن إعلانها من جانب واحد! ولكن

الحقيقة غير ذلك فليس بسبب تهديدات نيتنياهو أن أرجأ عرفات إعلان الدولة الفلسطينية، وأن الأمر لايعدو أن يكون «تأجيلاً» وليس تنازلاً لأن عرفات لم يكن يريد إثارة موضوع كهذا قبيل أسبوعين اثنين من تاريخ المعركة الانتخابية!! وكان عرفات يدرك أنه طالما لم يستلم بعد الأراضى المتفق على إعادتها للسلطة الفلسطينية، فإن إعلان الدولة لن يكون سوى إعلاناً شكلياً بحتاً، وعرفات متأكد من مساندة جميع الدول العربية والإسلامية له وهو ينتظر فقط اختيار الوقت المناسب وكذلك لغرض حصوله على دعم سياسى ومالى من جانب الدول الغربية، كما أنه بإرجاء إعلان الدولة الفلسطينية، فقد يحصل من الولايات المتحدة على تعهد قاطع يشبه وعد بلفور الذى صدر لصالح الصهيونية: «حق الشعب الفلسطينى فى العيش فى سلام فوق أرضه»!

وفى خطاب حرره الرئيس كلينتون يوم ٢٦ إبريل ١٩٩٩ موجه إلى ياسر عرفات رئيس السلطة الفلسطينية، أشار كلينتون إلى سابق تصريحه فى غزة فى يناير ١٩٩٩ الذى أكد فيه مساندته لطموحات وأمانى الشعب الفلسطينى إذ قال: «إننى أعتقد أنه يجب أن يعيش الفلسطينيين أحراراً. اليوم.. وغداً وإلى الأبد»!

والولايات المتحدة تدعى أنها لم تتورط بالتعهد، إلا أنها تعلن عن أملها فى استئناف المفاوضات حول الوضع النهائى فور انتهاء الحملة الانتخابية، وهذه المفاوضات يجب أن تنتهى فى ظرف عام على الأكثر، كما يقترح الرئيس كلينتون عقد لقاء قمة بين الطرفين قبل نهاية عام ١٩٩٩، ويحاول نيتنياهو الادعاء بأن عدم إعلان الدولة الفلسطينية إنما جاء بتنسيق بينه وبين الأمريكيين فى ألا يعلن عرفات من جانب واحد إعلان الدولة الفلسطينية ويستطرد نيتنياهو بزهو فيقول: «عرفات رجل عاقل فهو يدرك أن حكومة تحت رئاستى لن تسمح له أبداً أن يحدد هو من جانب واحد مستقبل دولة إسرائيل.. وهذا النجاح لم يتحقق من فراغ وإنما هو ثمرة جهود نشاط سياسى أحياناً تم علناً أحياناً وأخرى سراً!! وهذا القول يناقض بالطبع تعهد كلينتون الصريح بأنه يساند حاضراً ومستقبلاً حق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم وإعلان استقلالهم، وباراك من جانبه لايحرم نفسه من التعليق على ادعاءات نيتنياهو فيقول: إن سياسة نيتنياهو سبق أن خلقت الأحداث التى مهدت بدورها لفكرة نشأة الدولة الفلسطينية التى يتباهى كذباً بأنه هو الذى أجهض ميلادها!.. وبالنسبة لباراك فإن

سياسة نيتنياهو المتناقضة والمتنافرة هى التى جعلت من عرفات شخصية مرموقة من كل الدنيا ،بينما وجدت إسرائيل نفسها منعزلة حتى عن حليفتها الاستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية، وأن أكبر ما تواجهه إسرائيل من مخاطر يتمثل فى «توقعات» الفلسطينيين التى تتنامى بدلاً من الانكماش وتزداد بدلاً من الانخفاض كما يعى نيتنياهو، الذى لا يهتم سوى بالدعاية والمشاهد التليفزيونية التى يظهر فيها!

انتعاش مغربى:

كان عرفات قد أعلن أنه سيقوم من جانب واحد بإعلان إنشاء الدولة الفلسطينية فور انتهاء مدة الفترة الانتقالية، وهذا التاريخ كان واضحاً أنه ستصادفه عواصف وأنواء، فخلال عدة أسابيع ازدادت الضغوط الدولية حتى يمر هذا التاريخ بلا صواعق أو رعود. لكن المفاجأة تأتى إثر قيام وفد هام من اليهود بالسفر إلى المغرب، حيث أفاضت الصحف فى ذكر تحركاته وذلك لحضور مؤتمر الاتحاد الدولى لليهودية المغربية!.. الذى عقد يومى ٢، ٣ مايو ١٩٩٦ ومقر الاتحاد فى إسرائيل وضم مندوبين عن اثنى عشرة من الجاليات اليهودية من أصول مغربية، جاءوا مع وفد إسرائيل للتعبير عن جذورهم وهويتهم المغربية، وللتعبير أيضاً عن إرادتهم ورغبتهم فى تنمية ثقافاتهم وعاداتهم وتقاليدهم المغربية الأصيلة والخاصة بهم.

وحظى هذا الحدث منذ وصول نيتنياهو للحكم برعاية الملك الحسن الثانى ملك المغرب، وبحضور رئيس وزرائه وكبار المسئولين ورجال السياسة من كافة الأحزاب الإسرائيلية، من بينهم دافيد نجل الزعيم الروحى لحزب شاس الحاخام أوفاديا يوسف Yossef Ovadia وكان المدعو الذى أثار المفاجأة هو أنا تولى شتارانسكى Chtaranski وزير التجارة والصناعة الذى أعلن أنه يمثل نيتنياهو؟!.. ورأس الوفد الإسرائيلى رافى إيديرى Rafi Edery الرجل المسيطر على العلاقات مع المغرب منذ عدة سنوات وبصحبته ٣ وزراء من أصول وعرقيات مغربية وهم مئير شتريت Meir Chetrit وزير المالية وشاؤول أمور Shaul Amor وزير دولة وشلومو بنزرى Shlomo Benizri نائب وزير الصحة وعدد من النواب من بينهم يهودا لانكرى Yahouda Lancry ونواف مسالاه Nawaf Msalah ورافى إيلول Rafi

Eloul هذا بخلاف عدد من الوزراء السابقين والنواب والعمد وأساتذة جامعات ومؤسسو الـ Crim (المنظمة اليهودية المغربية) بل وأيضاً رجال أعمال وحاخامات من عائلة أبو حصيرة Abo Hassera وهما بابا باروخ baba Baroukh ويهو تيل Yehoutiel كما كان هناك أيضا شخصيات ليست مغربية من بينها رانان كوهين Raanan Cohen وحاييم رامون Haim Ramon وأفيشاى برافيرمان Avishay Braverman جاءوا ليساندوا العرقيات المغربية!

وكان المعتقد أن هذا اللقاء فوق الأرض المغربية قد يدعم مسيرة السلام.. ويدعوهم الملك لحفل استقبال بدأه بالأعضاء المؤسسين للاتحاد العالمى، من بينهم عشر شخصيات إسرائيلية، ومن بينهم مستشار الملك اندريه أزولاى Andre Azoulay ورئيس الجالية اليهودية فى المغرب سيرجى بيرديجو Serge Berdugo ورئيس الاتحاد الدولى، ثم بقية السبعين مندوباً من بينهم خمسين إسرائيلياً ورجال الصحافة والإعلام الحاضرين.

وأثارت كلمات الملك ببساطتها وعمقها قلوب كل الحاضرين، وكانت تخاطب مباشرة المندوبين الإسرائيليين، قال فيها «لقد تحدثت الآن مع ممثلى أحزابكم السياسية وتناولت أحاديثنا مستقبل تلك المنطقة التى حباها الله بموارد تتقاسمها كل شعوبها ويمكن استغلالها لصالح هذه الشعوب إلا أنها محدودة الأراضى الزراعية، والمياه نادرة، وعدد السكان يتزايد، وأثق عندما تتضافر الجهود وتتوحد الإرادات فإن هذه المنطقة.. أرض الأنبياء والرسل عليهم السلام والبركات سوف تصبح بفضل من الله جنة من الجنات المزدهرة، والسلام لا يمكن أن يقوم بين يوم وليلة، وإنما يحتاج إلى الصبر والإيمان وأنا على قناعة أن الجالية اليهودية من أصول مغربية والتى استقر مقامها فى إسرائيل، ستقتفى أثر الطريق المؤدى للسلام والمحبة، فنحن المغاربة لدينا فى عروقنا وفى دماءنا حب السلام والرخاء تجاه إخواننا فى الله المسيحيين واليهود الذين يمارسون شعائر ديانات عيسى وموسى عليهما السلام، أنتم إخواننا فى الله وإخواننا فوق الأرض واخواتنا فى الحقوق، فلتكونوا أخوة لنا فى مشاعر شخصياتكم المغربية، فى القدرة الغريبة، وإننى لمؤمن أن اختياركم فى الانتخابات القادمة - وأنا لا أريد التدخل فى شئونكم الداخلية - سوف تكون بجانب السلام وكم كنت أريد أن يكون معنا اليوم «أوفاديا يوسف» الذى أكن له كل احترام وتقدير، وأن تتمكن صلواته من توصيلنا جميعا للسلام والمحبة!.. وأنا أعرف أنه مريض ولايستطيع الحضور وأبتهل إلى الله

أن ينعم عليه بنعمة الشفاء العاجل وقولوا له إننى فى انتظاره فور شفاءه، لكى أتناقش معه ولأطلب منه أن يصلى من أجلى وليمنحكم الله النجاح،!!

وبعد هذه الكلمات الموجهة مباشرة إلى الحاخام أوفاديا يوسف، قام كبير حاخامات المغرب أهارون مونسو نيجو Monso Nego وبصحبته ثلاث حاخامات إسرائيليين من الحاضرين وهم دافيد يوسف واثنان آخران بتلاوة الشعائر التقليدية «بركات هامالكوت Hamalkout Birkat (صلوات الملوك) داعين الله أن يحفظ الملك الحسن الثانى وأن يسبغ عليه وعلى ذويه وأنجاله وأفراد العائلة الملكية الطمأنينة وبازدهار الشعب المغربى!.. وأذاعت أجهزة الإذاعة والتليفزيون فى كل من المغرب وفى إسرائيل تفاصيل هذه الاحتفالية المؤثرة التى بهرت كثيرون ودهش منها آخرون!

وكان رد فعل شتارانسكى أن نادى بوضع حد للكراهية بين اليهود الروس ويهود المغرب ثم يستطرد ليقول: «إن مثل هذا التعاون بين هاتين الجاليتين الهامتين سيكون حتماً تدعيماً لمستقبل البلاد»!.. وإذ يرفض الملك الحسن التدخل فى شئون الانتخابات الإسرائيلية إلا أنه أوصى بالتوصيات إلى جانب السلام!.. بل أبدى استعداده لاستئناف مساعيه فى التوسط فوراً، وترك الملك الباب مفتوحاً بهدف استئناف المفاوضات تحت الرعاية المغربية بعد انتهاء المعركة الانتخابية، بينما مستشاره أندريه أزولاى ومعه بعض وزراء الحكومة المغربية عبروا كلهم عن الأمل فى أن يفتح هذا اللقاء عهداً جديداً فى العلاقات بين المغرب وإسرائيل بعد ثلاث سنوات ظلت فيها مجمدة وكذلك بين إسرائيل والعالم العربى!

قضية تقسيم القدس!

قضية تقسيم القدس هى مشكلة المشاكل، وكان نيتنياهو كأنما يريد إثارة موضوعها المأساوى من جديد، والذى تسبب فى «كارثة» لشيمون بيريز فى الانتخابات الماضية، أما محاولة استغلال هذه المشكلة لإثارة باراك فكان أمراً بعيد المنال، حتى برغم دهاء نيتنياهو ومقدرته الدعائية، وحزب الليكود لم يكن مستعداً للتخلى عن قضية هامة كهذه تحيط بها الحساسية، وتحشد فى نفس الوقت بالأفكار اللا معقولة والمبالغ فيها من جانب اليهود، وبرغم ذلك يهاجم نيتنياهو باراك فيقول عنه: «من المؤكد أن باراك لايريد تقسيم أورشليم إلا

أنه سيضطر رغماً عنه للموافقة على التقسيم لأنه ضعيف، وهناك فقط رئيس قوى واحد يمكنه درء الخطر ويضمن وحدة المدينة العاصمة التقليدية للشعب اليهودى!! وفى مارس ١٩٩٩ كان نيتنياهو يزهو بأنه يمكنه خفض نشاط بيت الشرق Orient House الفلسطينى إن لم يكن غلقه تماماً - كما كان قد سبق وتعهد - وسوء تصرفه تجاه هذا الموضوع، دفع نيتنياهو بدون قصد شبح المدينة المقدسة من مشكلة راكدة إلى قمة الأحداث المثيرة، فيطلب من الدبلوماسيين الأوروبيين ألا يتوجهوا لبيت الشرق - رمز السيادة الفلسطينية - ويرد وزير خارجية ألمانيا على هذا الطلب فيقول: «ليس الأوروبيون وحدهم الذين لا يعترفون بشرعية ضم القدس الشرقية وحق الفلسطينيين فيها، وإنما ذلك واضح فى قرار التقسيم الذى أصدرته الأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بإنشاء دولة لليهود ودولة أخرى للعرب، وجاء فى القرار أن القدس تعتبر أرضاً مستقلة وتوضع تحت السيادة الدولية».. وبالطبع كان الرد الأوروبى رداً دبلوماسياً ولكن نيتنياهو اختار إعلانه على الملأ لأغراض انتخابية من السهل إدراك مراميها المستترة!

ولكى لايبدو باراك وكأنما يهمل الإجماع اليهودى فى موضوع كهذا.. اضطر أن يكون أول من يحتج على الأوروبيين على هذا التراجع! وتنافس المرشحون فى طرق موضوع القدس بعد أن جرهم نيتنياهو جراً إليه، فيصرح عمدة القدس إيهود أولميرت بأنه من الانتحار اتهام نصف الشعب بأنه يريد تقسيم القدس، ويسارع موردخاى الذى يرفض قبول «درس فى الوطنية» من نيتنياهو فيعلن أنه لايقبل تقسيم القدس!.. ومن جهة أخرى يقدم عمدة المدينة لباراك شهادة الكاشيروت Cacherout (وثيقة دينية) التى تشير إلى وحدة المدينة!!.. وأصبح موضوع المدينة من أهم ما يثار فى الحملة الانتخابية!

وفى بداية مايو ١٩٩٩ وإذ يشعر أن «ورقة القدس» تهرب من يديه، فيأمر بإغلاق بيت الشرق الفلسطينى اعتباراً من إبريل، وكان وايزمان رئيس الدولة قد حذر من أمثال هذا الإجراء، وقال أن مشكلة القدس حساسة جداً ويجب حلها بالمفاوضات وأردف يقول: إننى لا أرى أى حكمة فى إثارة موضوع فى مثل هذه الظروف كـ «بيت الشرق» وفى مثل هذا الوقت؟! ويقرر وزير الداخلية أفيجدور كاهلانى تأجيل غلق بيت الشرق حتى يصدر المجلس الأعلى للقضاء حكمه وإبقاء الوضع كما هو عليه حتى الانتهاء من الحملة

الانتخابية.. وتهدأ حدة العواصف التى أثارها نيتنياهو، وإذ يختلق نيتنياهو المشاكل اختلاقاً وذلك بإثارة مستقبل مدينة القدس وهى المشكلة الموضوعة على جدول أعمال مفاوضات الحل النهائى، وكما ورد فى محضر مفاوضات بيلين وأبو مازن فى أوسلو والحل الذى قدم وقتئذ للالتفاف حول السيادتين الإسرائيلية والفلسطينية، ويتلخص فى توسيع المحيط الدائرى للمجلس البلدى متضمناً قرية «أبو ديس» بحيث يمكن للفلسطينيين إقامة عاصمتهم، ويكون لكل طرف عاصمته الخاصة: أورشليم لليهود والقدس «للآخرين» (كذا) وبدون حاجة إلى تقسيم المدينة!.. وكان من الممكن قبول أو رفض مثل هذه الفكرة.. وبدأ الجدل والنقاش والإشاعات والتلميحات والتهديدات بشأن أماكن مقدسة لها اعتبازها لدى الديانات الثلاثة!

الانسحاب من الجولان:

الموضوع الذى كان يشغل بال تيار الطريق الثالث «هو مستقبل الجولان الذى لايزال الرأى العام منقسم بشأنه، فحزب الليكود الذى لم يعد يستبعد احتمال التوصل إلى تسوية فى هذا الشأن، وتوقيع اتفاق مع سوريا «دون أن يوضح كيفية الوصول لذلك ما لم ينزل الإسرائيليون من هذه الهضبة، والتى كثيراً ما كانت مطمع الجميع وأملهم، وكان موردخاى أيام كان يشغل منصب وزير الدفاع فى حكومة نيتنياهو فى فبراير ١٩٩٩ قد قام بجمع سكان الجولان وأوضح لهم رأيه بصراحة واعتقاده أن اتفاقاً حول التخلى عن الجولان كفيل وحده بتحقيق أمل التوصل إلى سلام مشرف مع سوريا، وبعد أن صار كل من نيتنياهو وموردخاى غريمان فى معركة انتخابية، يحاول نيتنياهو أن يذكر بأنه هو شخصياً رفض استئناف المفاوضات مع السوريين على الأسس التى فرضتها سوريا، ورفض التخلى عن مرتفعات الجولان، وتفادى فى نفس الوقت إلى رأى موردخاى لأنه بخبثه المعهود يريد أن يحتفظ بسهامه ليطلقها على باراك الذى كان يراه من الضعف بحيث يمكن على يديه «رؤية السوريين وهم يتنزهون على ضفاف بحيرة طبرية»!.

أما موردخاى فلم يتخلى عن رأيه السابق، وإنما تمسك بالحذر فنراه يحاول مرة ثانية مقابلة جموع سكان الهضبة يوم ١٤ أبريل ١٩٩٩ ومعه ثلاثة من زعماء التيار الوسط، وفى هذا اللقاء رفض أن يحدد نطاق التسوية التى سبق أن أشاد بها ويقول إن موضوع الجولان

لايزال موضع نقاش وتفاوض ويستطرد فيقول: «شاهاك وأنا قاتلنا معاً لغزو هذه الهضبة ومن موقع القوة يجب علينا التلويح فقط ببعض التنازلات الضرورية بدون تعريض أمن البلاد للخطر!! أما باراك وقبل أن يصبح مرشحاً رأيناه منذ ٢٥ ديسمبر ١٩٩٥ وفى داخل الكنيست وأثناء توليه منصب وزير الخارجية فى حكومة شيمون بيريز، كان قد أشار إلى ضرورة إيجاد حل للنزاع مع سوريا بهدف التوصل إلى سلام واستقرار وازدهار المنطقة، وقد اقترح إجراء استفتاء حول مشكلة الجولان، وذكر أيضاً أن من رأيه أن كل تصفية لمشكلة الجولان لابد وأن يسبقها الاتفاق على إقامة هذا الاستفتاء وكان رأى باراك فى هذا الشأن أقرب إلى رأى موردخاى، إلا أن باراك ارتأى أن يبقى حذراً وأقل تحديداً للأمور فى تصريحاته حتى لايفقد أصوات الناخبين من التيار اليمينى الذين خابت آمالهم فى نيتنياهو!!

الخروج من لبنان:

على أثر فقد أرواح عدة ضباط من كبار الرتب فى بداية مارس ١٩٩٩ من بينهم واحد من جنرالات جيش التساحال، يتعهد باراك بالتخلى عن أراضى لبنان بعد عام من تشكيله الحكومة لو فاز فى الانتخابات، ولم يتركه المرشحان فوجها إليه اللوم لتحديده مثل هذا التاريخ الملزم، وهما على أى حال ربما كانا من رأيه إلا أن المعركة الانتخابية كانت على الأبواب، وتستدعى الحذر فى إطلاق الوعود والآراء والتصريحات، الثلاثة كانوا يدركون عمق تورط إسرائيل فى هذا المستنقع وتنامى ضيق أهالى الدولة الإسرائيلية من مقولة أن هذه المنطقة الآمنة لازمة لإسرائيل، ولا أحد من المرشحين الثلاثة جرؤ على التصريح بإمكانية الانسحاب من جانب واحد إلا بعد عقد اتفاق مسبق مع كل من سوريا ولبنان.

وبالنسبة لكل من باراك وموردخاى، فإن مفتاح حل المشكلة مع لبنان فى دمشق، وأن استئناف المفاوضات مع سوريا سيفتح تلقائياً الطريق لمناقشة موضوع الشريط الأمنى فى الأراضى اللبنانية وضمان أمن مناطق إسرائيل الشمالية، أما نيتنياهو فمن رأيه استئناف المفاوضات مع سوريا وفى نفس الوقت لايستبعد حدوث اتفاق منفصل مع لبنان، وكان هناك رجال سياسة لا رابط بين أفكارهم أمثال يوسى بيلين وآرييل شارون ضمن رأيهم أن يتم الانسحاب من لبنان من جانب واحد، ما عدا شارون فيضيف ضرورة التهديد بالانتقام

الصارم وتدمير البنية الأساسية للدولة اللبنانية فى حالة عودة الهجمات وإطلاق صواريخ الكاتيوشيا وتهديد قرى إسرائيل الشمالية.. نفس تهديد دافيد ليفى وزير الخارجية فى منتصف فبراير ٢٠٠٠ بحرق لبنان وتدمير البنية الأساسية!!

مقاومة الاحتلال:

تردد نيتنياهو كثيراً قبل أن يعزو انخفاض موجة العمليات الانتقامية لسياسته الخارجية، إذ قبل مارس ٩٩ بعام واحد، كان مثل هذا الكلام الأجوف قد أعطى منظمة «حماس» إشارة البدء فى إشعال موجة من العمليات التى وقعت فى قلب مدينة القدس بعد فترة هدوء نسبى.. وفى مقابلاته كان نيتنياهو يحاول إثارة فزع أنصاره بذكريات انفجارات الأتوبيسات أيام حكومة حزب العمل ويقول: «كان المواطنون يخشون الخروج إلى الشوارع لشراء حاجياتهم من الأسواق، وكانوا كلما شاهدوا أى أتوبيس يقترب يسرعون بالاحتماء بالأرصفة ولم يكن لديهم وقت لفحص الخضروات الجيدة ويوجهون أنظارهم يميناً ويساراً من شدة الخوف.. ولقد أقسمت أن أضع حداً ونهاية لهذه الحالة.. ولقد نجحت ونفذت قسمى!.. وفرضت التعامل بالمثل وفرضت على السلطة الفلسطينية إما أن تكافح بجدية «الإرهاب» وإلا فلا هناك أراضى تسلم وأفهمتهم أن ليس هناك شئ بلا مقابل!!.. وظل نيتنياهو يعتقد أن السلطة الفلسطينية لم تقم بواجبها كما يجب ضد «الإرهابيين» وليس لديها خطة أو برنامج محدد وواضح فى هذا الشأن إلا أنه يشكر عرفات لجهوده التى يبذلها.. حتى لايتهم بأنه يثير حفيظته!.. ومرة أخرى يريد نيتنياهو إثارة مخاوف ناخبيه بالرغم من نصائح وتحذيرات المكلفين بتنظيم حملته الانتخابية والدعاية له ولحزب الليكود من بينهم فنكلشتاين Finkelstein الذى أزعجته نتائج استطلاعات الرأى التى أشارت إلى تدهور أسهمه «وإذ يشعر نيتنياهو بمدى تدهور الموقف، يسارع بالأمر بإعادة إذاعة المشاهد الدامية التى وقعت فى أعوام ٩٥، ١٩٩٦ على شاشات التليفزيون..!

ويشمئز من تلك الإعادة أهالى الضحايا معبرين عن سخطهم/استغلال رئيس الحكومة لمثل هذه الذكريات الأليمة والبشعة للدعاية لنفسه فى معركة انتخابية!!

ومع ذلك يعترف كل المرشحين أن نيتنياهو استطاع أكثر من غيره النجاح فى مكافحة «الإرهاب» من وجهة نظرهم وليس من السهل إنكار ما ساهم به عرفات من جانبه هو أيضاً،

حتى ولو كان المستفيد هو نيتنياهو، من انخفاض حدة العمليات وكانت السلطة الفلسطينية تتدخل أحياناً لوقف هذا العمليات الفدائية لأسباب خاصة بها، مثل إغراء وإقناع الأمريكيين أنها جادة وتستطيع أن تجعل الأمن يستتب عندما تتوافر لديها الإمكانيات وإنها كفيلة بإخماد أصوات المعارضة الإسلامية!!

حملة إنتخابية تليفزيونية!

هل هي مجرد مصادفة أن يتزامن عصر التليفزيون مع انقراض الخطباء أمثال بن جوريون وبيجين الذين كانوا قادرين على شد انتباه الجماهير وحماسها.. صحيح استمرت الأحزاب تنظم هنا وهناك الاجتماعات والندوات، إلا أن الإذاعة والتليفزيون كانا قد أصبحا العنصر الحاسم في المعركة الانتخابية بالإضافة إلى الصحافة.

وكانت الأحزاب تلجأ إلى الإعلانات الصحفية المدفوعة، على أن تتوقف قبل يوم الانتخابات بثلاثة أسابيع كل الدعايات السمعية والمرئية، وفي التليفزيون كان مسموحاً لكل حزب بـ ١٠ دقائق و٣ دقائق لكل نائب ولم يمنح لأى مرشح لمنصب رئيس الحكومة أى وقت أكثر من غيره تفادياً لإيقاظ الشهوات التي لا طائل من ورائها، وهذه القاعدة لم تكن لصالح الأحزاب الجديدة إلا عندما استفادت من استمالة بعض النواب مثل حزب بيني بيجين، الذى يجمع ثمانية نواب وحزب العمل بزعامة أمير بيريز Amir Peres الذى لديه خمسة نواب وحزب إسرائيل بيتينو Beitenou بزعامة أفيجدور ليبرمان وحزب بلد Balad بزعامة عزمى بشارة وكل واحد منهما له مقعدان، ويفقد حزب الليكود ١٣ نائباً فصار لديه ١٩ وكان له قبل بداية المعركة ٣٢ نائباً، وكان تقدم نيتنياهو على منافسيه يكمن في التليفزيون فقط وأحياناً كان هذا التقدم ينقلب ضده، لما كان يبدو أحياناً من عنجهيته وتناقض مما كان يدفع المشاهدين إلى التعاطف تجاه منافسيه سواء من التيار اليميني أو اليسارى بل حتى من تيار الوسط، وعندما كان يواجه نقد باراك له يقول عنه: «مسكين باراك إنه ينفذ تعليمات مستشاريه»!.. أما موردخاى فإن رعونته وأخطاؤه كانت تجعله ينكشف ويبدو على حقيقته (ضعيف) وقد وضح ذلك في أثناء المواجهة بينه وبين نيتنياهو التي كانت بمثابة تحول جذرى في هذه الحملة الانتخابية!

المواجهة بين نيتنياهو وموردخاى!

كان نيتنياهو فى أشد الاحتياج للظهور فى التليفزيون لإبعاد أثر انسلاخ ٣ نواب من حزب الليكود «والمعركة الانتخابية على وشك أن تبدأ فى ٢٥ أبريل ١٩٩٩ وقامت القناة الثانية بتنظيم المواجهة، ولم يكن موردخاى مؤثراً أما باراك فقد رفض الاشتراك فى المناظرة، مما جعل موردخاى يواجهه «وحده» براثن وألاعيب نيتنياهو الذى أرغمه إرغاماً على نشر الغسيل القذر علناً أمام المشاهدين ويتعجل موردخاى برغم «بطئه» الطبيعى.. فيبدو مثيراً للسخرية ومسترخياً ويتهرب من الرد الحاسم ويرد كعادته بإيماءات من يديه رداً على اتهامات نيتنياهو وأحياناً يرد قائلاً: هذه أكاذيب.. هذه وشايات.. ليس هذا هو المهم.. ليست النقطة المهمة!!؛ وفى اليوم التالى للمناظرة تكتب صحيفة هاآرتس تقول / فاز البقرة (نيتنياهو) على النحلة (موردخاى) وفى جريدة يديعوت أحرونوت يكتب «ناحوم بارنيا» مقالاً بعنوان «أهذا هو نيتنياهو؟» بينما تكتب جريدة معاريف مقالها بعنوان «الساحر تحول إلى أرنب»!!

وبات واضحاً أن نيتنياهو قد خسر المعركة، لكنه من وجهة نظره كسب الحرب، وهو الذى قد قبل مناظرة هذا الذى كان حتى وقتئذ يصفه ـ المرشح اللا مرشح! وبدأت إشاعات تثرى حول انسحاب موردخاى، مما أثار بعض القلق فى معسكر حزب الليكود لأن ذلك يفتح باب الفوز على مصراعيه أمام باراك ومن أول دور.. وفى محاولة مستميتة لإبعاد شبح الهزيمة، يتنازل نيتنياهو المعروف بعجرفته وتعاليه فيحدث مودخاى شخصياً يرجوه أن يستمر فى المعركة وأن يبقى فيها ولو صورياً!

ومن ناحيته فإن موردخاى والذى كان الجميع يتوقعون هزيمته، كان قد تقبل التحدى فليس أمامه ما يخسره ولذلك لم يخرج من المنافسة!

ولربما واجهت نيتنياهو بعض المصاعب فى مسيرته الانتخابية، إلا أنه كان مقتنعاً بأنه سيفوز إن لم يكن من أول دور ففى الاقتراع الثانى..!

وكانت المعركة أشبه بمباراة فى الملاكمة، إذ أن المناظرة كانت فى حقيقة الأمر تحولاً حاسماً ونيتنياهو أستاذ «فن المناظرات التليفزيونية» ها هو يفقد سحره ويبدو مقاتلاً رديئاً!

أما موردخاى فقد صمم وقرر التنافس حتى نهاية الشوط، بالرغم من أن نيتنياهو أحرجه ودفعه للاعتراف «بأن ليس لديه برنامج سوى رغبته أن يحل محله فقط»!

حملة شعارات!

سرعان ما تزول الشعارات أمام ظهور الحقائق، خاصة إذا ما كانت الشعارات من الكثرة والخواء في ظل معركة انتخابية طويلة وشرسة، وفى هذه الموجة من الشعارات أطلق حزب نيتنياهو ـ الليكود ـ شعار «قائد قوى لشعب قوى»!!! وكان هذا الكلام أشبه بكلام زعيم عصابة وليس زعيم دولة يرتكز على قانون ودستور قانون الغابة الذى يجعل الفوز للأكثر دهاء والأقوى، وأنصاره كانوا يرون فيه آخر حماة إسرائيل وحارس هويتها الصهيونية، وفى مواجهة العرب الذين لايفهمون سوى منطق القوة!.. وفى مواجهة تيار اليسار، منافس مستعد لكافة التنازلات، لايدرك قواعد معركة صارمة كهذه، وسوف يتحول الناخبون إلى الاعتقاد بأن نيتنياهو سيفعل كل ما فى وسعه للاحتفاظ لإسرائيل بكل الأراضى ولن يفرط فيها مثل بقية الأحزاب، وربما وافق بعض الناخبين على أن نيتنياهو ارتكب بعض الأخطاء، إذ فى رأيهم أن الإنسان الكامل لم يوجد بعد.. ولكنهم سيغفرون له هذه الأخطاء لأنه «قوى» ومنافسوه يشبهونه بـ «شيخ قبيلة وقائد لنظم حكم فاشستيه وليس رئيساً لدولة ديمقراطية»!!

أما الشعارات حول تقسيم القدس التى ينادى موردخاى بها، فهو فى نظر نيتنياهو «انهزامى» وباراك مرشح وزعيم حزب العمل فهو من «سيتنازل» ونيتنياهو من «سيحتفظ» لأن نيتنياهو صلب لايتراخى!

وفى منتصف الحملة الانتخابية فى مارس ١٩٩٩ اتضح أن حزب الليكود بالشعارات التى أطلقها إنها لم تحدث أثراً لا للحزب ولا لمرشحه.. شعارات تكتسح الطريق كما تنبأ مطلقوها!.. وعلى رأسهم ناصحه الأمين آرثر فنكلشتاين Finkelstein النيـويوركى الذى أوصله إلى مقعد رئيس الوزارة، وخلال ثلاثة أيام رأس هذا الناصح إحدى حلقات المناظرة دعى إليها المرشحين على قائمة حزب الليكود وعدد كبير من الأنصار، ليؤكد لهم هذا القادم من نيويورك أن نيتنياهو سيفوز بنسبة أغلبية تتروح ما بين ٣,٥٪ من الأصوات.. ويبدو أن هذا الساحر الأمريكى الصنع أدرك أن هذا الكلام لم يكن مقنعاً إلى حد ما فيحاول أن يخرج من تحت قبعته شعاراً آخر، فيبدل ما سبق أن أطلقه نيتنياهو من أن باراك سوف

يتنازل إلى: باراك «سوف يخضع لعرفات» ثم إلى «باراك سيوافق على تقسيم القدس» أو «باراك سينسحب حتى بحيرة طبريا»! هذا كله بخلاف الشعار الذى أطلقه تساهى هانيجبى: باراك بره (يقصد باراك افلت أو هرب) وهو الشعار الذى أطلق بالرغم من نتائج لجنة التحقيق حول قضية تسيليم (التى اتهم فيها بإهماله فى إجلاء جرحى المعركة) والتى أزالت كل شك فى الادعاء بأن نيتنياهو رجل قوى! أما الشعارات حول تقسيم القدس الذى ينادى به موردخاى والذى وصفه نيتنياهو بـ «الانهزامى» فقد ظلت هذه الشعارات تلعب دورها صعوداً وهبوطاً فى نفوس المواطنين سواء عن اقتناع أو بدونه!

أما معسكر حزب العمل فقد أطلق شعارات مثل: «أتريدون أن تظلوا أربعة أعوام أخرى مع نيتنياهو فى جموده محاصرون»! أو شعار: «لقد فقد ٢٠٠ ألف إسرائيلى عملهم فلماذا هو يحتفظ بوظيفته»!.. وبعد تشكيل حزب إسرائيل آهات يعدل الحزب من تكتيكه فيطلق شعار: إسرائيل فى حاجة إلى تغيير.. إلى إيهود باراك «أو» نحن نستحق الأفضل إيهود باراك وإسرائيل آهات!

أما معسكر حزب الوسط فيحاول التشبث بأن مرشحه لرئاسة الحكومة موردخاى هو الوحيد القادر على إزاحة نيتنياهو من الطريق!.

وهكذا ازدحمت الشعارات بألفاظ ومعانى من الصعب التكهن بأثرها وأحياناً كثيرة لم يكن سهلاً إدراك معناها ومرادها مثل ما نادى به حزب الوسط: سنضع إسرائيل فى الوسط أو حزب الوسط الوحيد القادر على إسناد رئاسة الوزارة لموردخاى الذى سيجعل المباراة تعادليه بإزاحة كل من اليسار واليمين!

وتنتهى حرب الشعارات التى ملأت سماء البلاد وأصابتها بحالة من البلادة والبلبلة وسرعان ما انطفأ لهيبها وخمد!

الشعب الآخر..!

من المؤكد أن تبديل التسمية لن يفيد حزب العمل فى محاولة استرضاء اليهود الشرقيين، وعلى الرغم من تحول كثيرون منهم لصالح باراك طبقاً لنتائج استطلاعات الرأى

إلا أن المعارضة عادت إثر حماس اشتد فجأة بإحدى الممثلات الهزليات «تيكى ديان» فتثير عاصفة وهى تستعيد أغنية قديمة مشهورة تقول: عن يهود الشرق «الشعب الآخر» شعب الدهماء والسوقية!! شاتشاتشا!! والتى أسهمت عام ١٩٨١ فى فوز بيجين عندما وصفت الشرقيين بالبربر..!

وكأن ذلك بعثاً للموتى من قبورهم، فمنذ أسابيع كان نيتنياهو فى حاجة إلى إثارة الشارع السياسى، فيتجه إلى مجاله المفضل وهو اتهام حزب العمل بالتعالى على يهود المشرق واللعب على موضوع العرقيات وإستثارة مشاعر عائلات «الشعب الآخر» كما تقول الأغنية!.. ويتردد باراك يومين قبل أن يرغم الممثلة على ضرورة الاعتذار من تلك البذاءات، لدرجة أنها فى اعتذارها قالت: إنها هى نفسها من أصول شرقية وفخورة بأن تكون شرقية!.. ولكن كان ذلك بعد فوات الأوان.. ويصرح باراك بأن كل من يتفق مع المغنية فى بذاءاتها لايعطيه صوته وكلمات الأغنية الفاضحة صارت أكثر الموضوعات سخونة فى الحملة الانتخابية!

إلى سوق كارميل!

مثل الغريق الذى يتشبث بقشة، يحاول نيتنياهو إشعال نار الحقد فيقرر السفر يوم ٣ مايو إلى سوق كارميل Carmel فى تل أبيب حيث مركز تجمع «الأوباش»! ويقول: «هنا أجد الشعب الحقيقى».. ويحاول استرضاؤهم فيقول ويكرر: «أنا منكم وفخور بأن أكون من الهمج»! ولكن يزيد من اشتعال النار فى مشاهدى القناة الثانية التليفزيونية فيستطرد ويقول: «إن الصفوة تكره الشعب فهم يكرهون المغاربة ويكرهون رجال الدين ويكرهون الإثيوبيين ويكرهون الروس.. أى كل من ليس منهم»!! ومن المغرب يبادر الوزير شتارانسكى Chtaranski يوم ٣ مايو وكان يحضر احتفال تأسيس الاتحاد العالمى لليهود من أصل مغربى فيحاول مهاجمة هذه الدعوة التى تستهدف إشعال نار البغضاء التى يثيرها برعونته المعهودة رئيس الوزراء ثم يقول: «إن اليهود من أصول مغربية وروسية هم يشكلون أكبر جاليات إسرائيل وتضامنهما معاً هو وحده الكفيل بتحقيق مستقبل أفضل للمجتمع الإسرائيلى ويجب أن نضع حداً لاستغلال كوامن الكراهية والتفرقة بشكل مؤسف كهذا! ولسخرية القدر نجد أحد أنصار حزب الليكود فى قرية «بموئا» والذى كان قد أوحى للمغنية تيكى دايان لغناء

أغنيتها الفاضحة فيقول: سوف أصوت لحزب الليكود حتى ولو كان عرفات زعيمه؟!! ولكنه يعلن أنه فقد حماسه وأوهامه حول الليكود ونيتنياهو.. وسوف ينتقل إلى التيار الوسط.. إلى حزب موردخاي!

وعلى الرغم من حساسية أجواء المعركة، وما صاحبها من تصاعد موجات العنف التى أثارها نيتنياهو سواء أكان مقبولاً أو مكروهاً **فقد** اتضح أنها لن تحسم يوم ١٧ـ مايو ١٩٩٩ وإنما فى الجولة الثانية **حيث يشتد الصراع الحقيقى**، وكان الاقتناع سائداً وقتئذ أن المنتصر سيدعو المنهزم لتشكيل حكومة ائتلافية!

وفي الجولة الأولى **وبرغم اهتمام المرشحين** الثلاثة الممثلين للتيارات السياسية الرئيسية، **فقد حرص كل واحد من المرشحين على أن يكون متحفظاً**، فقد تجنب بعضهم حضور كثير من الندوات **والمناظرات** التى شملت كل البلاد، ورفض أنصار الأحزاب السياسية الاشتراك فى عملية **إدارة وتنظيم الانتخابات، ولذلك** لجأت السلطات المنوط بها هذا العمل إلى موظفين مقابل أجر مدفوع للقيام بالأعمال التنظيمية.

وخمدت شرارة الحماس التى سادت تيار الوسط بأمل خلق دافع سياسى لانضمام الشباب الجديد الوافد على المسرح السياسى لتيار الوسط، وما كان يواجه موردخاى من صعوبة فى انتزاع «فورة» سريعة لم تلبث أن حل محلها «خمود» حماس الشباب، وبقيت هناك بعض الانشقاقات من جانب قدامى أنصار الأحزاب بحثاً عن فرصة ثانية أما نيتنياهو فقد ظل يمارس حملة شرسة شخصية بحتة حتى أنه لم يكن يعير انتباهاً لحزبه ـ حزب الليكود ـ الذى يمر بأزمة تفكك وانحسار الأضواء عنه وظل أمل نيتنياهو معلقاً بموقف جماعة الهاريديم الذين جندوا أتباعهم وأنصارهم بواسطة حاخاماتهم..!

أما باراك فقد ظل يستمع إلى مستشاريه الأمريكيين إلى حد أنه أبعد زملائه قادة حزب العمل ولم يعهد حتى لصديقة شلومو بن عامى Shlomo Ben Ami بأى دور!

ومن جمود واضطراب أحزاب القمة، استفادت الأحزاب الثانوية الصغيرة أمثال حزب شاس وحزب ميريتز وحزب إسرائيل بياليا، حاول حزب شنوى أن يكون الحزب الثالث بعد الحزبين الرئيسيين، فقط كان شنوى يلعب على موجة معاداة جماعة الهارديديم، وكثرت المراهنات حول النتائج والأمل فى تفادى الجولة الثانية.. وكانت أكثر المراهنات تشير إلى

قرار يوشك موردخاى أن يتخذه فى آخر لحظة بانسحابه من المعركة، وباراك يتوقع انسحاب المرشح العربى بشارة. وبينما تتصاعد استطلاعات الرأى مشيرة إلى احتمال فوز باراك من الجولة الأولى، فقد ركزت الصحف على مرشح تيار الوسط والمرشح العربى لإنقاذ البلاد من نيتنياهو الذى بدوره كان يأمل الفوز من الجولة الأولى!

وكان أمراً متناقضاً أن يأمل باراك الفوز من الجولة الأولى ويبدى المخاوف من الجولة الثانية!

وكانت المعركة الانتخابية الرسمية قد بدأت بخمسة مرشحين وكل واحد منهم مصمم على المضى فى الحملة، ولكن عشية يوم الانتخاب أى منذ السبت ١٥ مايو مساءً يقرر عزمى بشارة سحب ترشيحه ويطلب من ناخبيه العرب التصويت لـ باراك وتلاه موردخاى الذى حاول أن يوحى بأن انسحابه جاء لضغوط «عناصر خارجية» لإعطاء الفرصة لباراك للفوز وإنقاذ البلاد من مواجهات جولة ثانية حيث من المحتمل أن تندلع المصادمات وموجات البغضاء والفرقة التى سيحلو لنيتنياهو إثارتها!

أما المرشح بينى بيجين وعلى الرغم من توسلات نيتنياهو فقد انسحب بدوره قبل ٢٤ ساعة من التصويت تاركاً نيتنياهو وحده يواجه غريمه باراك.. ويرفض أن يوصى أنصاره بالتصويت لصالح نيتنياهو متجاهلاً ضغوط حلفاؤه من حزب موليديت Moledet.

وكانت خطة نيتنياهو ترتكز على الجولة الثانية وكأن يراهن عليها.. ولكن خاب ظنه، وفى غمرة الخوف والفزع من استطلاعات الرأى، يسارع بعقد مؤتمر صحفى حوله بما عرفه عنه من صفاته وخبث إلى ندوة انتخابية، ومعرضاً نفسه لفضيحة من جانب الصحفيين الحاضرين، إذ ظل خلال المؤتمر يطلق السهام فى كافة الاتجاهات ويكيل الاتهامات للجميع وبالذات اتهامه لبشارة لخضوعه لضغوط عرفات!!.. وادعاء أن موردخاى لم يكن سوى «مرشح قش لا قيمة له ورشح نفسه فقط لصالح باراك»!!

كان الوقت قد أزف وأصبحت كل هذه التجاوزات والأقاويل والاتهامات فقاعات تطلق ولاتحدث أى أثر.. ففى اليوم التالى جاء انتصار باراك بمثابة فوز مدوى حتى لأبعد مما توقعته استطلاعات الرأى.. مثلما تنبأت بسقوط نيتنياهو الذى وفى مساء نفس اليوم ١٧ مايو ١٩٩٩ يعلن انسحابه كزعيم سياسى!!

بارقة أمل:

سيظل يوم ١٧ مايو ١٩٩٩ علامة على تغيير حاسم فى التاريخ السياسى لإسرائيل.. تغيير وضع نهاية هيمنة عقود من السنين ساد خلالها التيار الاشتراكى على رأس حركة صهيونية.. فهاهى السلطة ومقاليدها وبعد اثنين وعشرون عاماً بالتمام فى ١٧ مايو ١٩٩٩ تنتقل لتيار اجتماعى على رأسه باراك المتحالف معع دافيد ليفى المغربى الأصل الذى كان قد انشق عن حزب الليكود ويفوز باراك بنسبة ٥٦,٠٨٪ مقابل ٤٣,٩٢٪ لمنافسه وكأنما المجتمع الإسرائيلى يسدد ما عليه من ديون بعد اغتيال رابين!

وبعد تحقيق فوزه، استمر باراك يذكر اسم رابين وينصه بأولى تصريحاته وتعبيراته الرمزية لأنه أدرك أن ذكريات الاغتيال لا تزال فى نفوس الكثيرين!...

وعند إعلان هزيمة نيتنياهو وبلا ترتيب من أحد، سارع آلاف من الشباب لاقتحام «ميدان الملوك» فى قلب تل أبيب الذى أصبح منذ ١٩٩٥ يطلق عليه «ميدان رابين».. وجموع الشباب هذه الذين يطلق عليهم ناريه هانيروت NAARE HANEROT وتعنى «شباب الشموع» والذين ظلوا منذ نوفمبر ١٩٩٥ ولمدة شهر، يوماً بعد يوم وليلة بعد ليلة، يعبرون عن حزنهم على رابين... سارعوا ليعبروا فى ذلك المساء عن «أمل جديد» وبأنهم استعادوا دولة كانوا قد افتقدوها خلال ثلاث سنوات من حكم نيتنياهو!

ذكرى ..... وبهجة:

ويصعد شاب منهم إلى المنطقة والدموع تترقرق فى عينيه وهو واقف أمام صورة ضخمة لرابين يبتسم ويقول: هناك... فى السماء وللمرة الأولى منذ اغتياله... ها نحن نمنحه الحق فى الابتسام!!... ونفس ذات المشاعر كانت كلها تنطلق وفى كل الأنحاء... بدا وكأنما الإسرائيليون قد صحوا من كابوس طويل جثم على نفوسهم طيلة ثلاث سنوات ذكريات المؤمرات والمناورات والتناقضات التى كانت خبز الناس اليومى ! ... والشباب المحتفل لا يعبر عن أى حقد واللافتات التى أعدت على عجل تحتفى بالعودة إلى التعقل ... والسلام إحداها مكتوب عليها... «السلام انتصر... والوحدة فازت»!!

فريق من الجنرالات:

عندما تولى باراك قيادة حزب العمل منذ ١٩٩٦ أطاح بإدارة حزب أفودا، ثم استبعد محترفى السياسة ليضع مكانهم معاونيه الأكفاء من زملائه القدامى فى قيادة الأركان وأغلبهم من الجنرالات الذين عملوا تحت رئاسته، وكان يدرك أنه على وشك الصراع مع المدنيين فى الحزب، ولكن حل الكنيست المفاجئ جاء ليثير الاضطرابات فى كل التوقعات بسبب فتح باب حملة انتخابية تمهيداً لتشكيل الكنيست، ويستعد باراك للاستفادة من هذه الظروف، فيصر على إبعاد كل الكوادر القديمة من زعماء الحزب، ويعهد إلى فريق جنرالاته وبعضهم كان قد ترك الجيش منذ وقت قصير، لتنظيم عملية الانتخابات، والإشراف التام عليها، ويتكون هذا الفريق من ٦ جنرالات، حديثو التسريح من الجيش، ووضع كل الفائزين فى الانتخابات التمهيدية داخل الحزب تحت الاختبار وهم: شلومو بن عامى، حاييم رامون، أورى بارام أما دافيد ليفى الحليف، الذى انضم سابقاً لحزب الليكود، وكان عليه أن يقنع بتكليفه بالسفر إلى المدن النائية المنتشرة فى شمال وجنوب البلاد، حتى شيمون بيريز تقبل أن يصمت وفى المقابل يضمن أن يفوز بالمركز الثانى، أما يوسى بيلين مبتكر مخطط أوسلو بضغط من بيريز فسوف ينال دوراً فى محيط اللجنة المشرفة على عملية الانتخاب، فيكلف بالسهر على أصوات العرب الإسرائيليين، ويصاحبه واحد من جنرالات باراك... ولكن... لا يغير ذلك من رغبة باراك ... فى إبعاد «المدنيين»!

وهذه الخاصية العسكرية سادت أيضاً فى تيار الوسط وعلى رأسهم رونى ميللو RONI MILO ودان ميريدور DAN MERIDOR اللذان كان ورائهما جنرالات هما: آمنون ليبكين شاهاك LIPKIN AMNON SHAHAK والذى كان إلى وقت قريب رئيساً للأركان والجنوال إسحق موردخاى MORDEKHAI وزير الدفاع السابق فى حكومة نيتنياهو، ولم يستطع أى من قدامى العسكرين الاستحواذ على تيار الوسط، إلا أن المحاولة على أى حال قد أثمرت انضمام السيدة دينا رابين - ابنة رابين - مع أورى سافير لتيار الوسط على الرغم من ارتباط والدتها «لينه رابين بصلة قرابة مع باراك، وأورى سافير المقرب من شيمون بيريز منذ بداية عمله قد تم تكليفه بمحاولة إرغام موردخاى على سحب ترشيحه لرئاسة الوزارة قبل ٤٨ ساعة من بدء الانتخاب، كما كانت هناك أيضا تنازلات استفاد منها باراك مثل انسحاب

عزمى بشارة المرشح العربى وهذه المرة بضغط من عرفات وكان الثانى على قائمة عزمى بشارة هو مستشار عرفات للشئون الإسرائيلية أحمد الطيبى.

ومن كل هذا بدا وكأن كل شيء تم إعداده منذ فترة طويلة بواسطة مستشارى باراك الأمريكيين الذين استعان بهم للتخطيط، فيضعون أحد رجال بيريز بالقرب من موردخاى ومستشار رسمى لعرفات بالقرب من بشارة! وفى هذا الصدد تكتب جريدة لوموند LE MONDE الفرنسية مقالاً يتضمن حواراً تم بين مستشارى باراك الأمريكيين ومندوبيها سيجلا - SEGALA وفوكس FUOKS وهما مستشاران فرنسيان عملا تحت إشراف جان فريدمان FRIEDMAN وشيمون بيريز مما يشير إلى أن بعض نواحى العملية الانتخابية كانت تكتنفها بعض التعقيدات الغريبة وإلى درجة كبيرة لصالح باراك الذى كان بحوزته ٢٠ مليون دولار ليفوز فى الحملة الانتخابية!.....

كما أن بينى بيجين يبتعد عن نيتنياهو وينسحب من المعركة ويرفض إقناع أنصاره بالتصويت لصالح نيتنياهو.

هذا هو مسلسل الأحداث النادرة والغريبة والتى لم تكن فى حسبان أى من المراقبين، فى معركة انتخابية هامة وانتهت بتدمير نيتنياهو تماماً!

ويطلب باراك من رجال السياسة المدنيين ألا يتدخلوا فى المسيرة الانتخابية بعد تعيينه لفريق قدامى الجنرالات العسكريين، واستطاع إدارة الحملة الانتخابية بهذا الطاقم من العسكريين كما لو كانت إحدى المعارك الحربية!... وللدلالة على ذلك تجنيده الجنرال حاجاى شالوم HAGAI SHALOM قائد التموين فى جيش الدفاع سابقاً وهو من مواليد ليبيا، ووصل إلى إسرائيل وعمره ثلاث سنوات، وكان قد حصل على إجازة مدتها ثلاثة أشهر للمساهمة متطوعاً ليفوز رئيسه باراك فى معركته الانتخابية وقد عاد لعمله بعد المعركة الانتخابية، وتجدر الإشارة إلى شخصية عسكرية أخرى، وهى الجنرال مالين فيلناى M. Vilnat ، نائب رئيس الأركان السابق وكان نيتنياهو يرغب فى أن يحل محل موردخاى فى منصب وزارة الدفاع على أثر انتخابه نائباً فى الكنيست على قائمة حزب العمل، ولاشك أنه وعد بمنصب نائب وزير الدفاع إذا فاز باراك الذى سيحتفظ مع رئاسة الوزارة بمنصب وزير

الدفاع، ومنذ ٢٣ مايو ١٩٩٩ أصبح الجنرال فيلناى عضواً فى اللجنة الخماسية التى تم تكليفها بإجراء المفاوضات لتشكيل الحكومة، وهذا وحده يكفى للدلالة على مدى نفوذه إلى كان يتقاسم هذا الدور دافى ليبائى Davi Libai وزير العدل السابق فى حكومة رابين وشلومو بن آمى AMI والحاخام ميلكائير MILKHAIR من الحزب الدينى المعتدل ميماد MEIMAD والمحامى موتى ميخانى MOTI MEKHANI من حزب دافيد ليفى حزب الجيشر GESHER والجنرال أورى أور أحد النواب الذى حافظ باراك على صداقته على الرغم مما سببه من مشاكل إثر تصريحاته ضد اليهود المغاربة ويوسى بليد PELED YOSSI قائد المنطقة الشمالية سابقاً الذى تخلى عن نيتنياهو ليدعو أصدقاؤه القدامى من حزب الليكود لانتخاب باراك!

وأخيراً لا يمكن إنكار دور دانى ياتوم DANI YATOM السكرتير العسكرى لرابين سابقاً والرئيس الأسبق لجهاز الموساد الذى طرده نيتنياهو بعد فشل محاولة الاغتيال فى الأردن .. ليصبح واحداً من أهم مساعدى باراك!

فى تياترو الكنيست!

على عكس بيريز عندما رفض الاعتراف بأدنى مسئولية عن أسباب هزيمته الانتخابية عام ١٩٩٦ فإن نيتنياهو قد انسحب على الفور من حزب الليكود محاولاً أن يجنبه الانفجار، وكان أنصار نيتنياهو قد سبق أن حددوا بداية نهاية حكمه بسبب موجة من الضحك أثارها يوم ٢١ ديسمبر ١٩٩٨، فقبل إغلاق باب المناقشة حول مشروع بقانون بشأن حل الكنيست الذى كان لا مفر منه، اقترح آرييه ديرى زعيم حزب شاس الماكر - بسذاجة - إرجاء حل الكنيست بتجربة وزارة ائتلافية!.. فيعارض مثل هذا الاقتراح ويصعد المنصة ليؤكد أن كلام ديرى أدهشه ويقول: «لقد مست كلماته شغاف قلبى ثم يضع يده فوق صدره بشكل مسرحى»!... بما جعل كل النواب ينفجرون فى نوبة من الضحك المتواصل!... وفى اليوم التالى لتلك الواقعة تصدر جريدة «يديعوت احرونوت» وبها مقال بقلم «ناحوم باريا» قال فيه: «بالأمس فى تياترو الكنيست، أثبت نيتنياهو أنه قادر على تمثيل كل الأدوار... أدوار الساحر مثل أدوار المهرج»... كان هذا هو السمة السائدة فى بداية الحملة الانتخابية... حملة بلا

مواكب تكشف عن شخصية نيتنياهو ... عن الذكاء الذى وللأسف الشديد كان ذكاءاً مغلفاً بالاحتقار والاستهزاء بالمرشحين... ذكاء أفسده الاستخفاف وفقدان الدقة .. كاذب من يومه مما دفعه إلى جميع الأخطاء والخطايا!!

آثام وأخطاء:

أثناء الحملة الانتخابية التى كان نيتنياهو يديرها بكل فوضى وهو يقفز من موضوع لآخر بلا أى تنسيق إلى حد استعادة المفاهيم التى ثبت فشلها فى انتخابات عام ١٩٩٦ ليطبقها عام ١٩٩٩ فأحياناً ينقص من قدر «عرفات» وأحياناً يقول عنه أنه خطيب قدير ومحاور صلب ومحترم!... ثم يتهم «باراك» بأنه يريد تقسيم القدس بينما عمدة المدينة يكيل الثناء لمرشح حزب العمل (باراك) ويقول عنه: «هذه الشخصية العسكرية الفذة وأكثر العسكريين حصولاً على الأوسمة فى جيش الدفاع فى الوقت الذى يضرم «نيتنياهو» النار».... نارالغيرة والحقد بين الجاليات العرقية مستغلاً على سبيل المثال التمايز والفوارق التى يعانى منها اليهود الشرقيين، ولم يستفد من ذلك إلا حزب «شاس»، وفى التليفزيون يحب أن يبدو كأستاذ محاولاً إهانة «موردخاى».... ومرة أخرى يدعى أنه بذل جهداً لإقناعه ألا ينسحب من المعركة ويستمر فيها حتى النهاية... وعموماً فإن «نيتنياهو» الذى وصف بأنه وحش الشاشة التليفزيونية ومن كثرة التناقضات فى أقواله التى انتهت بأن تنقلب ضده، وحيث أنه كان يسعى جاهداً ليظفر بالهتافات والثناء الكاذب أحياناً كثيرة، ها هو فجأة يحس بخيبة الأمل على عكس «موردخاى» و«باراك»، وعلى الصعيد الداخلى أخطأ «نيتنياهو» فى محاولته بتصعيد الكراهية بين يهود روسيا واليهود المغاربة مما أضر ضرراً بالغاً بالتحالف الهش بين الأقليات وبدأ بمساومة «أفيجدور ليبرمان» على مساعدته لتأسيس حزب جديد لليهود الروس يرتبط بحزب الليكود ليثير حنق «ناثان شتارانسكى CHTARANSKI» زعيم حزب روسى قائم وهوالذى كان يعد من أخلص أعوان «بيبى» مما دفعه إلى الانتقام!... ونتج عن هذه التصرفات أن ٥٨٪ من أصوات اليهود الروس منحت لباراك!

وخطأ آخر ارتكبه نيتنياهو هو محاولة مهاجمة «الصفوة» وهو لفظ أصبح فى مفهوم نيتنياهو لفظاً معادياً وغير مقبول ويسخر منه دائماً ويقول أنه أصبح لفظاً ممقوتاً فى «بلد

ديمقراطي، ولا زلنا نذكر كيف كان يبدو مزهواً وهو يقول «أنا من الدهماء»!... مما أثار عليه غضب رجال القضاء والنيابة وكبار قادة البوليس وكبار موظفي الدولة بل وأيضاً سكان االمستوطنات (الكيبوتزيم) ورجال الإعلام وأساتذة الجامعات والأدباء والكتاب والفنانين وأصحاب الملايين وهم من كان يشار إليهم بأنهم «الصفوة» كما يقول عنهم أقرب أصفيائه «أفيجدو ليبرمان»: كل هؤلاء الذين لا يفكرون مثلنا!!

مجتمع تجار البركات!

هل يمكن في أي مجتمع إزالة طبقة الصفوة؟!... يبدو أن «نيتنياهو» لم يكن لديه البديل، ربما كان يخالجه شعور بأنه يستطيع اقتراح أن يحل محلهم أنصاره «المخلصين» المتعصبين والمتطرفين الذين كان هو نفسه أسيرهم، وأغلبهم من الحاخامات ومفسروا الشريعة HALAKA الدينية اليهودية وجماعة الكاباليست KABALISTES (مفسروا التوراة) و(الصوفيين) ومعاونيهم من أصحاب التعاويذ وتجار البركات.. هؤلاء الذين يفكرون مثلهم!! فهل هم من يمكن أن يحلوا محل «الصفوة»؟!... وتظل هذه المفاهيم عرضة للتناقضات السياسية في المجتمع الإسرائيلي الذي يجمع بين رئيس حكومة حاز على أعلى وأكثر الدرجات العلمية في تاريخ إسرائيل والذي ينادي بأنه خليفة الزعيم «هرتزل HERZL».

لقد كان «نيتنياهو» في صراع دائم مع أعدائه في الداخل وفي الخارج، وتلخصت رؤيته بأن لا حاجة للإسرائيليين في السلام... وكأن التوصل إلى السلام هو أمر يخص العرب وحدهم!... وبخلاف المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، فإن سياسة «نيتنياهو» الخرقاء كانت سبباً رئيسياً في سقوطه!!

هزيمة... تؤدي إلى النصر!

فور انتهاء المعركة الانتخابية يحدث تغيراً ملموساً في الأسلوب، إذ يتجه «باراك» إلى بير شيفا - بئر سبع - BEER SHEVA إحدى مدن الجنوب، اختارها تعبيراً عن أن وسط إسرائيل قد انتقل وتحول، ثم ابتعد عن كاميرات التليفزيون، فيغلق على نفسه حجرة بأحد فنادق تل أبيب في انتظار فرز الأصوات تماماً حتى لا تستهويه شهوة النصر مثلما استبد

الفوز بشيمون بيريز قبل ذلك بثلاثة أعوام، فأبدى سعادة مبكرة، ويصبر «باراك» حتى الساعة الثالثة صباحاً قبل أن يلحق بأعضاء حزبه للاحتفال بالفوز ويصدر بياناً للإسرائيليين يقول فيه: «إننى أحترم مئات الآلاف من المواطنين الذين لم يصوتوا لى ولكن اعتباراً من هذه اللحظة فنحن كلنا جميعاً معاً، شعب واحد وأنا أنوى أن أكون رئيساً لحكومة لكل المواطنين، ونمد يد الأخوة هذا المساء للعلمانيين والمتدينين والأشكيناز والمهاجرين الجدد والنازحين إلينا قادمين من روسيا ومن إثيوبيا والعرب والدروز والبدو.. فكلهم جزء لا يتجزأ من شعب إسرائيل!... وهذا الفوز قد حققته إسرائيل على نفسها!.. ويتذكر «باراك» مرشده الروحى فيقول: «إننى على ثقة أن إسحق رابين قادراليوم على رؤيتنا من السماء وسيكون فخوراً بنا كمانحن فخورون به»! ومن فوق منصة «رابين» وأمام آلاف الأنصار يستطرد «باراك» فيقول: «لقد تجمعنا فوق تلك المنصة فى الميدان الذى أطلقنا عليه اسم فقيدنا... هنا حيث تمزقت قلوبنا حزناً على ما وقع!.... ولقد جئنا هنا الليلة كى نزيح حجراً كبيراً كان قد وضع فى طريقنا ولأقدم التعهد أمامكم وأمام أستاذى إسحق رابين.. أنتم يا شعب إسرائيل إننا على أعتاب عصر جديد»!... وفى اليوم التالى يتوجه «باراك» إلى مدينة القدس وكانت أولى زياراته للمدينة فى مسيرة رمزية للمدينتين اللتين يريد توحيدهما!... ويتجه أولاً إلى حيث حائط المبكى مرتدياً قبعة «الكيبا» الدينية فوق رأسه ويصحبته حلفاؤه رجال الدين من حزب «ميماد» ثم يتلو لخلاص شعب إسرائيل!!... ثم يتجه بعد ذلك إلى جبل «هرتزل» ويصرح: «اليوم ها هى الدائرة تنفتح من جديد على إمكانية تحقيق وصية «رابين» التى أريد أن أكون المتمم لها، إنه واجبنا... واجب الجيل الذى وجد نفسه مضطراً لخوض حروب إسرائيل لضمان أمنها وإعلاء شأن السلام وبكل قوة وعزم أقول لكم إننا لن نتوانى ولن أتردد من جانبى فى اتخاذ القرارات الصعبة التى تتطلبها المواقف لتحقيق السلام»!... (أين هذه الوعود اليوم... ولكن منذ متى يصدق زعماء صهيون) ؟!

أغلبية مفقودة!

كان تشكيل الكنيست الجديد مهمة صعبة... فليس بداخله حزب يمتلك الأغلبية الحاسمة، فيلجأ باراك إلى فرض شخصيته كرئيس حكومة منتخب انتخاباً مباشراً لديه

القدرة على تكوين تحالفاً حكومياً من حزبه مع تيار وسط اليمين أو اليسار المعتدل مع أو بدون حزب الليكود/ مع أو بدون حزب المفدال MAFDAL، أو شاس أو ياهودوت هاتوراه، وإذا ما استبعد «باراك» حزب الليكود وحزب شاس وأحزاب اليمين المتطرف فإن تحالفه لا يزيد عن ٥٦ مقعداً فإذا ما أضيف إليهم العشرة مقاعد التى فازت بها الأحزاب العربية الثلاثة أصبح لديه ٦٦ نائباً، إلا أن هذا التحالف رهن بانضمام أحزاب صعب السيطرة عليها مثل حزب شنوى SHINOUI، كما أن أصوات العرب، طبقاً للتقاليد الإسرائيلية، أصوات غير مضمونة فى جميع الحالات ويجب ألا تؤخذ فى الاعتبار، وحزب الليكود الذى يتزعمه «أرييل شارون» بعد انسحاب «نيتنياهو» لا يريد التحالف مع «باراك» الذى يسعى لأن يكون «المتمم» لسياسة «إسحق رابين»، «واتفاقيات أوسلو وكذا الاتفاق مع سوريا ولبنان لضمان الأمن وأخيراً فى نهاية المطاف سياسة لا تستبعد إنشاء دولة فلسطينية وانسحاب تدريجى على مراحل من أراضى الضفة الغربية كما وأن التقديرات تشير فى ظل تكوين تحالف مقبول بأنها ستكون «حسابية» وبعيدة عن أن تكون «سياسية» ومن المحتمل أن تقبل مجموعة حزب افـودا AVODA اليسارى وحزب ميرتز MERETZ التحالف أوالانضمام لشارون المتهم بالتواطؤ فى أحداث (صابرا وشاتيلا) ومثل ديرى DERY المحكوم عليه بحكم عقابى!

وفى يوم الإثنين ٢٤ مايو ١٩٩٩ يستقبل رئيس الدولة عزرا وايزمان EZER WEIZMAN «باراك» ويخطره بانتخابه وفوزه رسمياً كرئيس للحكومة الإسرائيلية لمدة أربعة أعوام، وكان رئيس الدولة وبصفته رجل عسكرى يدرك أن فوز «باراك» - حتى برغم تردد «باراك» - سيدعوه إلى استئناف مسيرة السلام، وفى نفس اليوم ينقل مكاتبه الشخصية إلى منطقة هرتزليا HARZLIA الحى الراقى فى مدينة تل أبيب.... بعيداً عن مبنى حزب (العمل) وهناك تستقبل «لجنة الخمسة» التى أشرفت على إدارة العملية الانتخابية، مندوبى الأحزاب الأخرى لإعداد الائتلاف والتحالف البرلمانيين بينما يتفاوض «باراك» مع كبار زعماء وقادة الحزب بدون أن يطلب مشورة السياسيين، يرفض البوح بأى إشارة عن التاريخ الذى سيقدم فيه حكومته للكنيست، ويقول أن من حقه فترة ٤٥ يوماً حتى بداية شهر يوليو... كان بذلك يرى إخفاء أى معلومة تشير إلى اختياراته والشخصيات التى يفضلها ويكتفى بأن يكرر ما سبق وأعلنه بأنه يستبعد إشراك حزب (شاس) فى الحكومة طالما لم يتم

إزاحة (ديرى) نهائياً عن الحركة الأرثوذكسية!! ثم يعلن «باراك» بأنه يتمنى تحقيق تحالف موسع لإصلاح الانقسامات التى حدثت فى المجتمع الإسرائيلى ويصر على ضرورة التوصل إلى السلام وإنعاش المفاوضات مع الفلسطينيين وانسحاب جيش الدفاع من الأراضى اللبنانية!!

«باراك» لم يكن يريد أن يفهم أن رئيس الحكومة ليس قائداً عسكرياً يخفى خططه ومشروعاته عن الصحافة التى سرعان ما تعاديه لهذا التصرف!... فى مقالها يوم ٢٤ مايو ١٩٩٩ تكتب جريدة «يديعوت أحرونوت»: «على باراك ألا يجعل تصريحاته للأمة فارغة المعنى والمضمون فالمعركة الانتخابية انتهت... والجماهير بدأ يصيبها الملل من كثرة الفصاحة الكلامية الفارغة»!.... ويحاوره حلفاؤه من حزب (ميرتز) بشكل حاسم ومحدد وهم مصممون على الضرورة العاجلة للإعلان عن تجميد الاستيطان اليهودى فى الضفة الغربية واستئناف مسيرة السلام بدون تأخير مع الوضع فى الاعتبار أن الرئيس كلينتون يساند عرفات فى حتمية تنفيذ اتفاق (الواى ريفر)!

تحالفات حزبية!

وصل حزب «إسرائيل آهات» أو على الأصح كتلة حزب (العمل) إلى أدنى مستوى فى تاريخه بفوزه بـ (٢٦ مقعداً) بينهم مقعدين تفضل بهما حزب (جيشر) ومقعد تفضل به حزب (ميماد) أى حزب (العمل) كان يستحوذ على مقاعد تقل عما كان له إثر هزيمة ١٩٩٧، وكان الحزب قد وصل إلى أفضل حالاته عندما استحوذ على (٥٦) مقعداً عام ١٩٩٦ أما اليوم فليس لديه سوى ٢١٪ من مقاعد الكنيست، والمراقبون كانوا قد توقعوا ألا تزداد قيمة الحزب بانضمام حزب (الميماد) وحزب (الجيشر)، فالأول حزب دينى من المثقفين والثانى يضم اليهود المغاربة المنفصل عن حزب (الليكود) ولن يستفيد «باراك» منهما، وبالفعل فإن حزب (ميماد) و(جيشر) لم يساهما مساهمة فعالة فى هزيمة «نيتنياهو» مما دفع أنصارهما من يهود (السفارديم) للتصويت لحزب (شاس)، وهكذا نجد التحالفات يكون لها أحياناً آثار ونتائج غريبة ومتنافرة وغير متوقعة!

وعلى أى حال فقد بدا أن «باراك» مصمم على اتباع سياسة شخصية بحتة بلا دور يؤديه قادة حزبه، ونتج عن هذا التصميم أن تمكن من عقد تحالف حكومى متميز خالى من

الضغوط المعتادة من جانب الأحزاب التقليدية، ولذا فقداقترح برنامجاً لحكومته يعد تجديداً وأساساً مفتوحاً أمام كل الأطراف للمشاركة فى التحالف الحكومى.

تقسيمات عرقية!

حيث كان الانتصار فوزاً شخصياً مباشراً، فقد كان من المنطقى أن يكون العامل العرقى الذى فرضه تواجد اليهود النازحين من روسيا هوالعامل الثانى الأساسى داخل مجلس الكنيست الجديد ويتشكل من ثلاثة مجموعات: ١٧ نائباً من (السفارديم) و١١ نائب من الروس و١٠ نواب من عرب إسرائيل، ولكل طرف مصالحه ومشاكله واتجاهاته الخاصة بل وفى الطرف المواجه نلاحظ أن أحزاب التياراليسارى وتيارالوسط وتياراليمين بخلاف حزب (شاس) وحزب (العمل) يمثلهم ٧٠ نائباً من (الأشكيناز) و١٨ فقط من (السفارديم).

وكان حزب شاس بطبيعته يمكنه أن يبقى فى المعارضة بعيداً عن ميزانية الدولة ويضعف نفوذه السياسى تنامى البرلمانى، وكان على باراك أن يستقر سواء على إدماج أو عدم إدماج حزب شاس فى حكومته، ففى البدء اتضح أن ترك حزب شاس خارج تحالف باراك على أنه شكل جديد من التمييز العنصرى ضد الشرقيين! ويهود السفارديم انتظروا أكثر من ثلاثين عاماً لتقديم قوائمهم العرقية الحقيقية بما فيهم حزب الجيشر، بينما يهود الاتحاد السوڤييتى النازحين كانوا قد حزموا أمرهم وتحدد موقفهم فى بضع سنوات قليلة .. ولم يقل من نفوذ حزب إسرائيل بعاليا BEALYA ظهور حزب روسى آخر تحت عباءة نيتنياهو «حركة شتارانسكى ويكرر فوزه بـ ٦ مقاعد بينما حزب بيتينو إسرائيل زعيمه أڤيجدور ليبرمان يدخل البرلمان دخولاً متميزاً بأربعة نواب، وبهذا أصبح اليهود الروس يمتلكون ١٠ مقاعد وهو تمثيل «إقليمى» بارز ومتميز إذا ما أخذنا فى الاعتبار قياس عددهم بين سكان البلاد، ويبدو حزب شتارانسكى كشريك «مفروض» على باراك أما حزب ليبرمان فهو من أتباع ومن تيار اليمين المتطرف... وستظل هذه السمات العرقية منقسمة على الصعيد السياسى.

والأحزاب العربية هى أيضا رفعت مستوى تمثيلها فى الكنيست على الرغم من انقسامها إلى ثلاثة أحزاب، فبين ١٢ نائباً عربياً فى الكنيست وهو رقم قياسى نجد اثنان فقط

يمثلان الأحزاب التى يقال عنها «وطنية» من بينهما إحدى السيدات «حساية جبارة» وهى عضوة فى اللجنة الإدارية لحزب ميريتز وتقول: «إننى فخورة جداً ومتأثرة أن أصبح أول امرأة عربية فى برلمان إسرائيل حيث سأفعل كل ما فى وسعى لتمثيل مصالح المواطنين العرب والفلسطينيين، ذلك، لأننى أعتبر نفسى فلسطينية الموطن»!...

أما أكثر الخاسرين بين الأحزاب العربية فهو حزب هاداش وكان سابقاً حزباً شيوعياً، فقد فاز بثلاثة مقاعد بدلاً من خمسة والاثنين استحوذ عليهما حزب عزمى بشارة الجديد وهو حزب بالاد ويشاركه أحمد طيبى المقرب من عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية بفضل مساند الحركة الإسلامية الفلسطينية ، وهكذا ازداد تمثيل عرب إسرائيل فى قائمتهم الموحدة من ٤ إلى ٥ نواب أى أكثر من ٢٦٨ ألف صوت، ومن المثير والجدير بالتنويه أن ٩٦٪ من عرب فلسطين انتخبوا باراك بشكل مكثف، غير أنهم بعيدون عن الفوز بمعقد وزارى فى التحالف الحكومى، إلا أن باراك مثله مثل رابين وبيريز يمكنه الاعتماد على مساندتهم له داخل الكنيست!

لم يغب العامل العرقى فى المواجهة بين العلمانيين ورجال الدين المتعصبين خلال هذه الحملة الانتخابية الغريبة، ومن هذا الصراع استفاد حزبان هما حزب شاس وحزب شنوى كما أن حملة «يوسف لابيد» زعيم حزب شنوى ضد القهر الدينى ورفضه تأدية الخدمة العسكرية وتجاوزات جماعات الهاريديم، أدت إلى انضواء جماعات السفارديم التقليديين تحت جناح حزب شاس، وكان ضمن حملة يوسف لابيد رفضه لبعض طقوس العقائد الدينية، فمثلاً سخر من ضرورة إشراف الكاشيروت CACHEROUT على السلع أمثال ورق التواليت ومعجون الأسنان ومنتجات الصيانة وكان لابيد يرى غرابة مثل هذا الإشراف ثم ينادى بإلغاء إعفاء الكاشيروت من الضرائب والتى يسددها أساساً طبقة العلمانيين وهم الغالبية بين سكان البلاد ويقول أن هذا الإعفاء رفع تكاليف المعيشة ١٥٪.

وحزب شنوى الذى تأسس فى السبعينيات بواسطة وزير التعليم السابق البرفيسور آمنون روبنشتاين A. A.RUBINSTEIN وأطلق عليه «حزب التغيير» وجميع أعضائه من الأشكيناز فقد تميز فى الماضى باعتداله فى الصراع ضد القهر الدينى ولم يجذب إليه الأنصار، ولذلك

فقد آثر الانصهار فى حزب ميريتز، الذى بدوره كان ضد تجاوزات رجال الدين واستطاع الفوز بـ ٦ مقاعد فى أقل من ثلاثة شهور، كما أن حملة الحزب الروسى، إسرائيل بعاليا، وصراعه ضد إشراف حزب شاس على وزارة الداخلية باستحواذه على منصب وزيرها كان من نتيجة ذلك قيام ردود أفعال لدى اليهود الشرقيين...

هذه الصراعات الدينية ربما كانت تسعد نيتنياهو ولكن باراك كان يريد أن يكون رئيس حكومة كل الإسرائيليين بكافة طوائفهم، ويريد أن تتجانس وتتآلف كل الاحزاب، وكان عليه لتحقيق هذه الرغبة «تربيع الدائرة» وهو أمر مستحيل!... أن يجمع فى حكومته كل من أحزاب ميريتز وشنوى وإسرائيل بعاليا وشاس وكل منهم يلقى باللعنة على الآخر!!

ويخفى حزب شاس رغبته فى أن يصبح جزءاً من الحكومة.. حكومة السلام وقائدة الروحانى الحاخام أوفاديا يوسف OVADIA YOSSEF كان على اقتناع أن مسيرة السلام سوف تستأنف انطلاقها بفضل عقلية باراك وحكومته ويتمنى أن يشارك حزبه فيها!... وكان ذلك موقفاً منطقياً حيث كان الحزب يقف بجانب رابين خلال مفاوضات أوسلو... وباراك يقول عن نفسه أنه ابن روحى لرابين «ونحن كنا أصدقاء وأعوان رئيس الحكومة رابين ونحيى ذكراه ونباركها... ثم يتقابل سراً مع رئيس الدولة عيزرا وايزمان بتدبير من آرييه ديرى زعيم شاس الذى صدر الحكم بسجنه، وكان رئيس الدولة يريد أن يبعد عن نفسه أية أقاويل، أو تفسيرات خاصة باعتباره الزعيم الروحى للحزب!!

ولكن زعيم حزب ميريتز «يوسى ساريد» لايقبل أى مناقشة، ويعلن أن حزبه ميريتز لن يشارك فى أى تحالف حكومى إذا ضم باراك حزب شاس إلى تحالفه... بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيعلن أن حزب شاس لا زال يتصل برئيسه الذى لا يزال حتى وهو فى سجنه يوجه ويتآمر ويناور ثم «إن مسألة رفضنا مبدأ أخلاقى، فنحن نرفض أن نجلس بجوار حزب شاس»!

ولم يكن باراك يرغب أن يقف موقف الاختياربين حزبى ميريتز وشاس.. وكان ذلك أول تحدى بالنسبة له....!

تجربة قاسية للتيار اليمينى!

كانت أقسى الهزائم هى مالحق بالتيار اليمينى الأيديولوجى الذى تقريباً كان قد تم إبعاده عن المسرح السياسى، ومحوره الأساسى الوحدة الوطنية الذى يضم ثلاث أحزاب: حيروت HEROUT، تيكوما TEKOUMA وموليديت MOLEDET ولهم ٨ نواب مستقلين ولم يتبقى سوى ٤ نواب.

أما «الذئب المنزوى» وبجموده المعهود وتشبثه الفكرى «بينى بيجين» الذى يترأس قائمة حزبه، استخلص النتيجة «فيقدم استقالته من الكنيست ويبتعد عن الحياة السياسية ويقول : «أنا (جنرال) بدون قوات... وأنا رسول جماهير بلا جماهير، ولقد ارتكزت أنشطتى السياسية على قيمتين رئيسيتين، يبدو أنهما متناقضتان فى المفهوم السياسى الذى يستحوذ عليه اليمين من جهة واليسار من الجهة الأخرى.. والليبرالية وحقوق الإنسان والقيم الديمقراطية من جهة ومن جهة أخرى حق الشعب اليهودى فى إسرائيل الكبرى وحق مواطنى إسرائيل فى العيش فى طمأنينة وأمان... وحيث لم يعد حولى سوى قلة تحترم هذين المبدأين وهذه القيم، فلم يعد أمامى سوى الانسحاب من الحياة السياسية»!! ويسعد هذا الانسحاب الحزب الوطنى الدينى الذى يعزو فشله لظهور «الوحدة الوطنية» أما بقية التشكيلات فقد تأسفت لهذا الانسحاب إذ يفقد الكنيست واحد من أكثر خطبائه موهبة وبلاغة بين كل السياسيين!.. وعلى أى حال، فالحكمة اليهودية تقول: «الأنبياء.. فى سخطهم لم يكونوا أبداً شعبيين»!!

وهناك اختفاء جديد هو «رافائيل إيتان» وحزبه «تسوميت» الذى حقق مجده عام ٩٢ بفوزه بعدد ثمانية مقاعد ولم يستطع تخطى حاجز التمثيل، وبشئ من المرارة يعلن زعيمه وقتئذ أنه سعيد بعودته إلى غرامه السابق.. مهنة التجارة فى مستعمرة تل أواتشيم!

وعلى العكس يعلن أفيجدور كاهالانى عن نيته فى الاستمرار فى المناداة بالاحتفاظ بالجولان تحت السيادة الإسرائيلية، وحزبه «الطريق الثالث» لم يحقق نسبة الـ ١,٥ ٪ من أصوات الناخبين، والأصوات التى حصل عليها عام ١٩٩٦ كانت من تيار لوسط وليس من تيار اليمين المتطرف، وعوقب أفيجدور كاهالانى يومئذ بسبب تضامنه مع نيتنياهو!.... وحزب الطريق الثالث برنامجه الوحيد الدفاع عن الجولان لم يستطع حتى إقناع سكان الهضبة الذين لم يمنحوه سوى نسبه ١٣,٩٥ ٪ من أصواتهم فى مقابل نسبة ١٨ ٪ مما سبق

منحه في عام ١٩٩٦، وبالنسبة لانتخاب رئيس الحكومة فإن سكان الجولان انتخبوا باراك بنسبة ٥٨,٥ ٪ فهم السكان الأكثر واقعية من كاهالانى لإدراكهم أن السلام مع سوريا والانسحاب من لبنان لن يتم التوصل إليهما سوى بالانسحاب من الجولان!

أما الحزب الوطنى الدينى المصنف حزباً من تيار الوسط، فقد انتقل إلى التيار اليمينى إن لم يكن التيار اليمينى المتطرف، منادياً بشعار «إسرائيل الكبرى» وحاول الاتجاه نحو تيار الوسط عشية الانتخابات، إلا أن الوقت لم يسعفه ليحقق نتائج تسفر عن فقده نصف عدد مقاعده التسعة، إذ لم يفز سوى بخمسة مقاعد، واليوم يتجه إلى تيار اليسار محاولاً أن يجد له مكاناً فى حكومة باراك برغم أنه معروفاً عنه مساندته لنيتنياهو!

تيار الوسط المفقود!

أثبت حزب الوسط إمكانية كسب الحرب وخسارة المعركة!... كان هدف هذا الحزب هو طرد نيتنياهو من السلطة وتحقق له ذلك تماماً بينما مرشحه موردخاى بستقيل من الحكومة، وبهذه التصرفات وهذه المواقف والقرارات التى اتخذها موردخاى، قنع حزب الوسط أخيراً بقبول المكان المتواضع بين الأحزاب الصغيرة التى كثيراً ما تبتلعها الحياة السياسية الإسرائيلية!!

وموردخاى وفريقه كانا يراهنان على أن تكون معركة باراك - نيتنياهو معركة متعادلة فيفوز موردخاى... إلا أنهما جاءا فى وقت مبكر جداً أو متأخر، إذ أن خطأ موردخاى الأساسى أنه ركز على خرافة التصويت الاستراتيجى أى تصويت الجولة الثانية، وعندما اتضح بأنه لن تكون هناك جولة ثانية، تردد الثلاثة رؤساء لحزب تيار الوسط فى التحرك خشية ردود الفعل لدى موردخاى العنيد الذى أصر على المضى إلى آخر الشوط... وإلى آخر دقيقة والفوز بأصوات الـ١٧٠ ألف ويحصل بها على ٦ مقاعد فى الكنيست... إلا أن ذلك لم يتحقق، بل حتى «تقبيله للحية الحاخام أوفاديا يوسف» لم تفده بشئ!!

ويبتعد الجنرال آمنون شاحاك الذى قدمته داليا رابين على أنه خليفة والدها بديلاً عن باراك!..

وسرعان ما أسدل الستار على صراعات الماضى، وثبت أن تيار الوسط سوف يشترك فى حكومة باراك ولكن ليس فى منصب وزير الدفاع، لأن باراك قرر الاحتفاظ به لنفسه بالطبع بالإضافة لرئاسة الحكومة، لإيمانه بضرورة أن يكون هناك تنسيقاً ما بين السياسة والعسكرية وأنه تنسيق حيوى وضرورى لمواجهة احتمالات التفاوض النهائى مع الفلسطينيين وإنهاء حالة الحرب مع السوريين واللبنانيين، ويرغب باراك بالاحتفاظ بوزارة الدفاع لنفسه خلال أول عامين من عمر الوزارة فقط!

حكومة جديدة....

ويبدأ باراك فى تجديد أسلوب تشكيل حكومته، ومعروف عن الإسرائيليين أنهم خبراء فى المساومات وراء الكواليس وإطلاق الوعود!... ويقوم باراك باستعراض الخطوط الرئيسية لبرنامجه ويدعو كل الأحزاب التى على استعداد لتنفيذ وتطبيق هذه الخطوط إلى التقدم للتفاوض حول التفاصيل التى تمهد لاشتراكهم فى التشكيل الوزارى، وينشر ويعلن بوضوح هذه الخطوط الرئيسية على الأحزاب بل وعلى الرأى العام (واضعا كل أوراقه على المائدة!) وأهم هذه الخطوط سياسية التعليم ورفع قيمة المرأة وإعلان شأن الأقليات وسرعة اندماج النازحين الجدد فى المجتمع الإسرائيلى، وعلى كافة المستويات حتى داخل دوائر النفوذ والسلطة، وعلى الصعيد السياسى يتوقع باراك الانسحاب من لبنان وعقد اتفاق سلام مع سوريا واستئناف المفاوضات مع الفلسطينيين، والاحتفاظ بوحدة مدينة القدس!.... كما يؤكد تطبيق التجنيد العسكرى الإجبارى على طلبة تدريس الدين «اليشيفوت»، وتعديل الإعفاء الحالى، وفى المجال الاقتصادى يجدد ضرورة تركيز الأسبقية للاستثمارات التى تتعلق بالبنية الأساسية واستئناف التنمية الاقتصادية!

ويواجه باراك سابقة لم تحدث من قبل: فكل الأحزاب والتيارات ماعدا المتطرفين بادرت بالاستعداد للاشتراك فى الحكومة وأصبح لدى رئيس الحكومة مجالات واسعة للاختيار... فيبدأ بتعديل عدد الوزراء ويحدده بـ٢٤ منصب وزارى بدلاً من ١٨ كما كان قبل ذلك، مما كان له وقع طيب لدى أعضاء كثيرين من نواب الكنيست، ثم كانت أمامه مشكلة كبيرة هى مشكلة حزب شاس حيث أن اشتراكه فى الحكومة سوف يثير معارضه عنيفة لأن شخصية آريبه ديرى كانت تزعج قدامى السياسيين بأكثر مما يزعجهم اتهامه

والحكم عليه بالإدانة والسجن، المعلق بسبب الاستئناف الذى تقدم به محاموه - ويشكل مثير للدهشة فإن عشرات من الشباب الذين سبق احتفالهم بفوز باراك مساء يوم إعلان فوزه... لم يعد لهم من شعار يطلقونه الآن سوى هتاف واحد بلى شاس...بلى شاس(أى بدون شاس!!) .. إذن فالاعتراض ليس ضد شخص ديرى وإنما هو جماعياً ضد المتعصبين والسفارديم المتطرفين...بل وضد أى اتجاه عرقى.. لماذا!... كان هذا هو السؤال والرد عليه وتفسيره ربما يكون بسيطاً أو حتى مركباً ومعتقداً ... ويسمع باراك التحذير إلا أنه لم يبدو عليه أى رد فعل، وفى يوم ٢٢ مايو ١٩٩٩ يحضر إليه مئات من التيار اليسارى من حزب ميريتز وحزب شنوى يذكرونه بمعارضتهم لحزب شاس واعتراضهم على ديرى... وكانت أشبه بمظاهرة صامتة أمام منزله فى مستعمرة «كوشاف يائير KOCHAV YAIR» وصاحبتها مئات من المكالمات التليفونية ورسائل الفاكس لمناشدته ألا يضم حزب شاس لحكومته!.

ويوسى ساريد الليبرالى يتحول فجأة وبغرابة إلى «الرعاع» ولايريد سوى تسهيل مهمة باراك فيعلن أنه متمسك بأن يظل حزبه خارج التشكيل الوزارى إذا دخل حزب شاس الحكومة، ويكرر لا بيد نفس التهديد وحتى داخل أوساط حزب الليكود سمعت أصوات من أمثال: ميخائيل إيتان وهو نائب وزير سابق فى حكومة نيتنياهو، تنادى بأن تتحرر الحكومة من قبضة حزب شاس «القاتلة»!..

ويشترط - هو الذى قد سبق اتهامه بالتعصب العرقى - أن يكون اشتراك حزب الليكود فى ائتلاف حكومى مرهوناً بعدم اشتراك حزب شاس فيه! وفى أوساط حزب إسرائيل آهات تختلف المواقف فالغالبية فى الحزب ترى أن اشتراك حزب شاس فى الحكومة تلويث لسمعتها مذكراً بإدانة ديرى وكذلك نزاع الحاخام أوفاديا يوسف ونجله مع المجلس الأعلى للقضاء!... وقلة فقط أمثال: شلومو بن عامى ويوسى بيلين وحاييم رامون وشيمون بيريز ومكسيم ليفى ودافيد ليفى ترى ضرورة حرمان أى حزب كان من الاشتراك فى الحكومة .. بينما كان باراك يريد أن يكون رئيس حكومة للجميع!!

والمتحدث باسم هذه الأقلية من حزب العمل وهو يوسى بيلين يصرح للتليفزيون فيقول: لقد انتخبنا المواطنون لعقد السلام مع العرب وليس لمحاربة حزب شاس!... ويضيف

بتفكير عقلانى: على أى حال إن حزب شاس بدون ديرى هو حزب آ خر ويجب إذا ما أراد الاشتراك فى الحكومة أن يحترم القانون وأحكام المحاكم... ويتجه حزب شاس إلى الاعتدال ذلك لأن اشتراكه فى الحكومة سيكون علامة على إمكانية التوصل إلى تصالح يتم بين التيار العلمانى وبين جماعة الهاريديم... ومن الخطر إبعاده خارج دائرة الحكومة وهو يحظى بنصف عدد أصوات السفارديم بين الناخبين أى ما يقرب من نصف مليون ناخب، وفى المجال السياسى سيكون حزب شاس شريكاً بأكثر من حزب الليكود إذا ما أرادوا التوصل لعقد اتفاق مع الفلسطينيين والسوريين!

وتكتب جريدة يديعوت أحرونوت: «سوف يظهر تعارض وجهات نظر داخل أوساط حزب شاس نفسه، بين أوفاديا يوسف وآرييه ديرى، فزعيم الحزب يريد لحزبه المشاركة فى الحكومة حتى ولو ببعض التنازلات ولكن آرييه ديرى لا يريد أن يجثو على قدميه لتحقيق هذه المشاركة... وعلى ذلك يبدو أن باراك بسبيله الاتجاه لتشكيل حكومة فى إطار ضيق .. يتسع فيما بعد ليضم حزب شاس وأحزاب أخرى»!

مواجهة المشاكل:

وتنتهى المعركة ... ويبقى مواجهة المشاكل... وعلى رأسها استئناف مسيرة السلام، وينشغل تفكير باراك بموضوع لبنان وكذلك مشكلة المفاوضات مع سوريا التى كان نيتنياهو قد قام بتجميدها وكانت تمثل أ ولوية فى اهتمامات رابين وبالذات شيمون بيريز الذى كان وزير خارجيته، وجاءت تصفية حزب/ تيار الوسط أمام باراك لإمكانية التوصل إلى أبعد مدى ممكن مع السوريين بدون الالتزام بإجراء استفتاء مثلما وعد رابين وبيريز مضطرين! وبدون أن ننسى أن اتفاق سلام مع سوريا حتى مع ضرورة الانسحاب من الجولان يعنى أيضاً مواجهة الانسحاب من جنوب لبنان بل وكذلك فكرة أن يحدث هذا الانسحاب من جانب واحد كما اقترح آرييل شارون ويوسى بيلين!

ويصرح باراك أنه «مصمم بكل طريقة وبكل شكل وفى جميع المناسبات على احترام كل التعهدات التى وقعها رابين وبيريز كما سيطبق أيضاً بنود الاتفاقات الموقعة مع الفلسطينيين وبصفة خاصة اتفاق الواى ريفر»!

وكل من كانوا يأملون السلام، يأملون أيضاً أن يفسر باراك برغم تحفظه المعتاد «التعهدات» وأن يلتزم بها... فاحترام توقيع إسرائيل ضرورى لفتح باب التفاوض بشأن الوضع النهائى مع الفلسطينيين الذين قبلوا الانتظار حتى تنتهى المعركة الانتخابية وتأجيل تاريخ ٤ مايو ١٩٩٩!

وكان من الممكن الأمل فى إيجاد حلول مناسبة لمسألة الوضع النهائى فى أقرب وقت ممكن وأيضا حلول لكافة القضايا المعلقة مثل مشكلة: الحدود بين دولة إسرائيل والدولة الفلسطينية القادمة ومشكلة عودة اللاجئين الفلسطينيين ووضع مدينة القدس وأوضاع المستوطنات وسكانها، وكل هذه الأمور كانت موضع نقاش بين يوسى والفلسطينيين الذين كان يمثلهم وقتئذ أبو مازن عام ١٩٩٦ وهو مايوجز مقال بجريدة هاآرتس فى ٢٣ مايو ١٩٩٩ بعنوان «الأمل»... الأمل فى تعايش سلمى مع الفلسطينيين.. ومع الجيران العرب!.

وكان فوز رئيس الوزراء الجديد (باراك) أشبه باستفتاء ضد نيتنياهو وضد شبح التعصب من جانب التيار الدينى المتطرف، وقد نثر إسرائيليون أصواتهم على خمسة عشر حزباً سياسياً... هى فى واقع الأمر خليط يضم أكثر الاتجاهات تطرفاً...!

باراك لا يعنيه بنيان حزبه (حزب العمل) ولا يشعر بأى تقدير تجاه قادة الحزب التقليديين وهو مستعد فقط لتقبلهم فى قائمته ويتركهم على حريتهم فى حب الظهور على شاشات التليفزيون.. إلا أنه يحرم عليهم أى محاولة لنقد قراراته ولا يسمح لأى منهم بأى نفوذ!..

ويختار باراك لمحيطه المقرب إليه مجموعة من بين قدامى الجنرالات السابقين زملاؤه فى الجيش ويتم اختيارهم فى سرية تامة.

ويبدو أن جيش الدفاع ـ TSAHAL لم يخرج زعماء وقادة فقط للأحزاب أمثال حزب العمل وأحزاب التيار اليمينى المتطرف.. وإنما أيضاً رجال تتاح لهم الفرصة لاتخاذ القرارات المصيرية فى الجهاز التنفيذى (الحكومة) وفى كافة المجالات لأن «المدنيين» من وجهة نظر باراك غير أكفاء فى مجالات التنفيذ!.. وأحياناً «خطرين» فى شئون «اتخاذ القرار»!

وعلى ذلك فقد قرر باراك استلهام مفاهيم ـ جيش الدفاع ـ بأسلوب مغلف بعناية!!. فالجيش الإسرائيلى يتداخل تداخلاً تاماً فى نسيج حياة الإسرائيليين.. ويرى باراك أن

التساحال قد تعدى مرحلة التكنولوجيا المتقدمة لهذا العصر!... وأنه بأفضل جنرالاته يعرف كيفية تسوية مشاكل المدنيين! ... بعد أن ينتهى من تسوية مشاكل أمن الحدود!!

سقوط قناع باراك؛!!

منذ وصل رئيس وزراء إسرائيل إيهود باراك إلى السلطة بل وقبلها وهو يطلق وعوداً عن الانسحاب من جنوب لبنان، والتوصل إلى حل على المسار السورى خلال عام وإنهاء المفاوضات والتوصل إلى حل نهائى مع الفلسطينيين.

كل ذلك من وراء قناع الداعى إلى السلام والحريص عليه، ولكن عند التنفيذ يفاجأ العالم بشخصية أخرى، فالاتفاقيات مع الفلسطينيين لم تنفذ، وموعد فبراير للوصول إلى اتفاق إطار تنصل منه، والمفاوضات على المسار السورى تم تعطيلها، وجاء الدور على الساحة العسكرية الوحيدة المفتوحة ،التى يستطيع باراك من خلالها أن يرضى أصوات المعارضين له داخلياً ويؤكد لمعارضيه وأنصاره على حد سواء أنه صقر من صقور إسرائيل وجاءت أحداث الجنوب اللبنانى، حيث صعد حزب الله من عملياته ضد قوات الاحتلال الإسرائيلى والميليشيات العميلة له ،وهى عمليات مقاومة مشروعة ضد قوات احتلال تغتصب الأراضى اللبنانية ويقرها القانون الدولى الذى أعطى الشعوب المحتلة الحق فى مقاومة الاحتلال.

لقد خيب إيهودا باراك آمال الجميع وفى مقدمتهم العرب، الذين اعتقدوا أن باراك سوف ينتشل مسيرة السلام من أزمتها، بعد أن تعوقت عامين فى وحل بنيامين نيتنياهو، خصوصاً أن باراك وعد فى حملته الانتخابية بتغيير جذرى فى سياسات إسرائيل بفتح أبواب السلام الشامل، لكنه سرعان ما سلك مسلك بنيامين نيتنياهو... قدم وعوداً لم يحترمها، واقترح تواريخ رفض الالتزام بها، وبدلاً من أن يصوغ سياسة واضحة تساعد على إقرار السلام اتبعه بسياسات غامضة يصعب الوثوق فيها، ولجأ إلى المماطلة والتسويف حتى تجمدت المفاوضات على المسارين السورى والفلسطينى.

جوهر المشكلة يكمن فى باراك ذاته، الذى لا يعرف أحد، حتى أقرب حلفائه ومعاونيه، ما الذى يريده على وجه التحديد، ويطلق تصريحات غامضة متضاربة تثير الشكوك وتزيد

المسائل تعقيداً، ويتصور أن فى وسعه أن يستمر فى لعبته القديمة، بضرب المسار السورى بالمسار الفلسطينى على أمل أن يحصل من كل جانب على أقصى التنازلات الممكنة، ويحاول فى الوقت نفسه تفكيك علاقة التلازم بين المسارين السورى واللبنانى مع علمه الواضح بمدى خطورة هذا التوجه على استقرار الأوضاع فى المنطقة وعلى مستقبل السلام الشامل.

لقد كانت آخر تصريحات باراك وسط جنوده كما نشرتها صحفية «معاريف»، أنه لا يعتقد أن خط الرابع من يونيو الذى تطالب سوريا بالعودة إليه ينطوى على أية قيمة عملية، كما أنه لا يعتزم أن يعاند السوريين على بضع مئات من الأمتار المربعة هنا أو هناك، ومع ذلك ففى اليوم نفسه خرج مستشاره الإعلامى ليقول: أن خط الرابع من حزيران غير قائم على أرض الواقع، ولم يتم ترسيمه على أية خريطة، فمن الذى يمكن أن نصدق، باراك أم مستشاره الإعلامى أم القوات الدولية التى كانت تقف على خط الهدنة؟ ولماذا توقفت إذن المفاوضات السورية الإسرائيلية، إذا كان خط الرابع من يونيو لا يمثل لإسرائيل أية قيمة عملية؟!

وفى مشهد غير مألوف أذاع التليفزيون الإسرائيلى مشاهد الجنود المصابين فى العملية الأخيرة لرجال حزب الله، وسط ذهول الرأى العام الإسرائيلى من المشاهد، وتعالت أصوات بعض القادة والمسئولين عن كيفية إذاعة هذه الصور، على الرغم أن منطقة التصوير هى منطقة عسكرية لا يتم دخولها إلا بتصريح من الجيش، ومعنى ذلك أن الجيش الإسرائيلى هو الذى سمح للتليفزيون أن يصور وأن يذيع أيضا، وكان بمثابة مؤشر ومبرر لرئيس الوزراء باراك فى أن يقدم على تنفيذ تهديداته السابقة، وبالفعل انطلقت الطائرات الإسرائيلية فى الفجر لتدمير محطات الكهرباء التى تغذى العاصمة بيروت ودير نبوح التى تغذى الشمال وبعلبك فى القاع، ليغرق لبنان من أقصاه إلى أقصاه فى إظلام شبه تام ويعلن الشعب اللبنانى الظلام ويسقط أكثر من عشرين مدنيا مصابين فى هذه الغارات ويلتهب الجنوب اللبنانى كله بنيران المدافع والطائرات الإسرائيلية على مدى يومين كاملين، وليزيح الأقنعة عن وجه باراك الذى لا يختلف كثيراً عن سابقيه من رؤساء الوزراء السابقين!!

«نيرون» القرن الحادى والعشرين!

هدد «نيرون» القرن الحادى والعشرين «ديفيد ليفى» بإحراق لبنان وإشعال النيران فى جميع مرافقة إذا استمرت المقاومة اللبنانية الباسلة فى الدفاع عن أراضيها المحتلة.

وهدد ليفى بأن إسرائيل «ستمحو» حزب الله، وقال أثناء مناقشة صاخبة فى الكنيست حول اقتراح بحجب الثقة عن الحكومة تقدم به النواب العرب «تحذيرى السابق مازال قائماً، إن إسرائيل فى مواجهة مع جماعة حزب الله الدموية التى تقتل النساء والأطفال - على حد زعمه - وأضاف مخاطباً جماعة حزب الله «إذا حدث أن قتلتم سكاننا المدنيين وإذا اضطررنا إلى دفن موتانا فسيكون عليكم بدوركم دفن موتاكم، إن الدم سيسيل على رؤوس حزب الله»!

وقد رفض ٥٨ نائباً اقتراح حجب الثقة الذى تقدم به النواب العرب العشرة ووافق عليه ٨ نواب فقط.

ومع التهديد كان استمرار القصف اليومى على قرى الجنوب اللبنانى الباسلة وحصارها بحرياً بعد أن نجحت آلة الحرب الإسرائيلية فى تدمير محطات الكهرباء بلبنان الذى يعانى الظلام والدمار فى قائمة الخسائر المتلاحقة، ولكن إسرائيل التى وافقت على مبدأ الأرض مقابل السلام وأكد رئيس وزرائها إيهود باراك أن الانسحاب من لبنان سيتم خلال شهر يوليو، وسط تأييد شعبى بسرعة الانسحاب لوقف نزيف الدم فى الجنود الإسرائيليين من عمليات المقاومة الباسلة... يتخلى بسرعة عن تصريحاته ويتهرب من التزاماته ويعود لسياسة خلط الأوراق ويضغط على سوريا مدعياً أنها وراء الدعم للمقاومة اللبنانية، ويهدد بضرب الطريق البرى بين دمشق والجنوب اللبنانى مدعياً أن إيران تدعم حزب الله بالسلاح من خلال دمشق ويتم نقله من سوريا للبنان عبر الطريق البرى.. وفى نفس الوقت بعد أن وافق على اتفاق «شرم الشيخ» بالتزاماته الدولية يتراجع عن التنفيذ ويريد الاحتفاظ بأكبر عدد من البؤر الاستيطانية فى الأراضى الفلسطينية بعد الاستيلاء على معظمها، والغريب أنه برغم تفوقه العسكرى الواضح فإنه يطلب أسلحة متطورة من الولايات المتحدة «راعى السلام» بمليارات الدولارات من أجل دعم قدرته العسكرية بعد الانسحاب من الجولان!! مواقف غريبة ومتناقضة يحكمها منطق الغابة وليس منطق الحق والعدل والسلام؟ أمام ذلك

ماذا نحن فاعلون كأمة عربية وإسلامية ودول العالم أجمع المحبة للسلام .. ألم يحن الوقت لموقف دولى فاعل يوقف هذه العربدة الإسرائيلية....

ولعل المثير فى تطورات الأحداث فى لبنان هو الموقف المنحاز الواضح لأمريكا، فهى ترفض أن تعترف بما اعترف به العالم أجمع من انتهاك إسرائيل لكافة القوانين الدولية ولتفاهم أبريل، بقصفها لأهداف مدنية ممثلة فى محطات كهرباء ومبان ومدارس كلفت لبنان مايزيد على ٥٠٠ مليون دولار، وتحاول واشنطن دون خجل تبرير العدوان الإسرائيلى وتلقى باللوم على الطرف الذى يستخدم حقه فى مقاومة الاحتلال!!

يهودى متنكر!

واجتاحت ربوع لبنان وفلسطين مظاهرات صاخبة لتصريحات «جوسبان» رئيس وزراء فرنسا التى اتهم فيها رجال المقاومة اللبنانية بـ «الإرهاب»!

كما انطلقت مظاهرة طلابية من جامعة بيت لحم للاحتجاج على التصريحات العدائية **والمستفزة لجوسبان، ردد أكثر من ثلاثة آلاف** طالب الهتافات المناهضة لتصريحات رئيس **الوزراء الفرنسى.. بأنه «يهودى متنكر»** وطالبوه بخلع القناع حتى يظهر وجهه اليهودى **الحقيقى، واشتبك المتظاهرون مع الجنود** الإسرائيليين عندما اقتربوا من حاجز إسرائيلى على **مدخل مدينة بيت لحم، كما انتقدت** الصحف الفرنسية بشدة التصريحات التى أطلقها **جوسبان وأثارت غضب الرأى العام العربى** وأكدت صحيفة «لوفيجارو» أن هذه التصريحات **أظهرت انقساما داخليا فى فرنسا وكشفت الميول** الإسرائيلية لرئيس الوزراء الفرنسى، واتهمت صحيفة «ليبراسيون» جوسبان بالحماقة، مؤكدة أن حماقته هى التى أدت إلى تساقط الحجارة فى بيرزيت فوق رأسه، وأكدت الصحيفة أن هذا الحادث لا يساعد فى إبراز صورة جوسبان كرئيس محتمل لفرنسا، وطالبت صحيفة «لاتريبون» رئيس الوزراء الفرنسى بتحمل نتيجة خطأه ومسئوليته عن تصريحاته، ومؤكدة أن مثل هذه السقطة لا تشرف فرنسا!!

الصداع المزمن!

صداع مزمن تعيشه إسرائيل بسبب المقاومة اللبنانية، فهل هناك إحساس بالشعور بالذل والانكسار أكثر من أن يفصح جنود قوات الاحتلال الإسرائيليين علنا وللمرة الأولى عن

أمانيهم فى عدم الخدمة بلبنان تفادياً للموت هناك... وتعلو أصواتهم صارخة بمطالبة الحكومة بالانسحاب الفورى على اعتبار أن الجيش لن يربح شيئاً فى المستنقع اللبنانى، ولن يوقف حرب الاستنزاف التى تشنها المقاومة التى لا ترى بديلاً عنها إلا جلاء المحتل، وتثير المقاومة اللبنانية بضربتها الأخيرة الغبار فى أعين عسكر إسرائيل المباهين بقوة يفضحها واقع مقاتلون عاديون من حيث السلاح والعتاد والتدريب، إلا أنهم لا يبارون من حيث الإيمان بالقضية والرغبة فى الشهادة دفاعاً عن حق مغتصب.

بسرعة صاروخية وما إن يكشر المقاتلون اللبنانيون عن أنيابهم حتى يهرب ٣٠٠ ألف إسرائيلى إلى المخابئ، فى شمال إسرائيل، ليعيشوا فيها إلى إشعار آخر، كل ذلك والقادة السياسيون فى إسرائيل لا يستطيعون تحريك المياه الراكدة فى المستنقع اللبنانى إلا بضربات غاشمة تزيد المقاومة صلابة، وينظر إليها البعض فى داخل إسرائيل نفسها على أنها عمليات «إرهابية» ينفذها جيش احتلال!

فى المقابل تحقق المقاومة أهدافها، فلقد أجمع معظم المراقبين على أن إسرائيل ما كانت لتفكر فى الانسحاب من الشريط الحدودى المحتل إلا إذا تحسرت على قتلاها وجرحاها وسمعتها العسكرية. فها هو باراك بالرغم من غضبه ومحاولته الفاشلة لاغتيال أحد قادة المقاومة لا يتراجع عن رغبته فى الخروج من لبنان قبل يوليو ٢٠٠٠، ويزيد بعض مساعديه على ذلك بالقول أن الانسحاب قد يحدث حتى بدون التوصل لاتفاق مع سوريا، وربما يتم قبل ذلك!

وإذا كان بعض مسئولى تل أبيب يلمحون إلى إمكانية تأجيل الانسحاب، إلا أن الجميع يدرك أن حاجة إسرائيل للخروج من لبنان لا تقل بأى حال عن حاجتها السابقة فى الخروج من غزة، والفارق الوحيد هو أنها تريد وسيلة للانسحاب تحفظ بها ماء الوجه، كما أنها تريد أن تدخل سوريا المحادثات التى توقفت فعلاً منذ يناير ٢٠٠٠ بعد استئناف قصير فى ديسمبر وعقب ٤٥ شهراً من الجمود، حتى تستطيع الانفراد بها كما فعلت من قبل مع الفلسطينيين!

الهروب الكبير...!

فى الخامس والعشرين من مايو ٢٠٠٠، أنهت دولة الإرهاب احتلالها للجنوب اللبنانى الذى استمر ٢٢ عاماً، وقبيل الموعد المحدد للانسحاب فى أوائل يوليو!

أغلقت بوابة «معبر فاطمة» بعد ليلة طويلة مظلمة تدفق فيها جنود اسرائيل كالفئران المذعورة تجاه شمال فلسطين، فى سياراتهم المدرعة هرباً من أبطال المقاومة اللبنانية!... وأسدل الستار على المشهد الأخير، الذى شاهده الإسرائيليون على شاشات التليفزيون وهم فى حالة من الصدمة والذهول!... فقد تحول خروج القوات الإسرائيلية من لبنان إلى عملية فرار مهينة تحت ضغط المقاومة اللبنانية!

ووصفت صحيفة «يديعوت أحرونوت» يوم الانسحاب بأنه يوم «المذلة والمهانة»!.... وعقدت صحيفة «معاريف» مقارنة بين الانسحاب الإسرائيلى والانسحاب الأمريكى من فيتنام، وقالت بأن صورة هذا الانسحاب المهين ستظل عالقة فى أذهان الإسرائيليين!...

وقدم مراسلو وكالات الأنباء العالمية صوراً حية لعملية الانسحاب فى جنح الظلام و«فرحة الجنود الإسرائيليين لدى تأكدهم من عبور الحدود لنجاتهم بأرواحهم»!

لقد تحطمت أسطورة «الجيش الذى لا يقهر» مرتين... المرة الأولى فى العاشر من رمضان/ أكتوبر ١٩٧٣ ... والمرة الثانية فى جنوب لبنان مايو ٢٠٠٠، وتخلى الصهاينة عن عملائهم، بل ولم يخطروهم حتى بموعد الانسحاب!... وانهار «جيش لحد العميل» الذى صنعوه وسلحوه ومولوه ودربوه للدفاع عن «جيش الدفاع»!!..

ولا أظن أن تحالف الحاخام والإرهابى والجنرال فى إسرائيل سوف يدرك مغزى ما حدث أخيراً فى لبنان، وسوف يتمسك كل حاخام بوعد إسرائيل الكبرى وأسطورة الشعب المختار... وذلك الجنرال الإرهابى المحترف صاحب أشهر ابتسامة كاذبة «إيهود باراك» والذى يفخر بأنه يحمل أكبر عدد من الأوسمة بين جنرالات إسرائيل، لا أعتقد أنه سوف يدرك حقيقة ما حدث لجيش الاحتلال فى جنوب لبنان، وقد اتخذ قراره بالانسحاب بعد حساب «الخسائر والأرباح».. إنه يكذب على نفسه، مكتفياً بالدعاية التى يملكها، وترددها ترسانة إعلامية عالمية تقودها أمريكا، وترددها وسائل الإعلام الغنية أو الغبية!!

السلام على الطريقة الإسرائيلية!!

إن للإسرائيليين مفهومهم - الخاص - للسلام الذى يرتكبون تحت مظلته أبشع الجرائم فى التاريخ!... والتعايش بين المشروع الصهيونى الإرهابى الذى استثمر الدين والأساطير،

والمشروع الحضارى العربى.. مستحيل!!.. فمازال الحلم الصهيونى الرهيب «إسرائيل الكبرى» هو الهدف الاستراتيجى لزعماء صهيون!!

وبينما يتسابق العرب فى إظهار حسن نيتهم تجاه السلام واتخاذ المواقف وإعطاء الإشارات التى تؤكد جدية ومصداقية قبولهم لخيار السلام... لم يعد يصدر عن إسرائيل إلا كل ما يمكن اعتباره عملاً مقصوداً يستهدف إجهاض عملية السلام، وتفريغها من كل مضامينها الحقيقية، وأكبر دليل على سوء النية وخبث القصد أنه بينما كانت أصوات الاعتدال فى العالم العربى تحاول احتواء تداعيات الغضب فى الشارع العربى بعد الاعتداءات الإسرائيلية المجنونة ضد لبنان، خرج علينا الكنيست الإسرائيلى بمسرحية التصويت لصالح مشروع قرار يضع عراقيل قانونية وتشريعية أمام أى انسحاب إسرائيلى محتمل من هضبة الجولان السورية المحتلة!!

فما هو معنى ذلك... وما الذى يمكن استخلاصه من مجمل المواقف الإسرائيلية التى تتصاعد درجة تشددها يوماً بعد يوم.

هناك من يرى أن ذلك ليس جديداً على إسرائيل التى عندما تستشعر أن ساعة الحسم السياسى لأى نزاع هى طرف فيه قد دانت واقتربت - بفعل عوامل أو ضغوط دولية أو داخلية - فإنها تسارع على الفور بالقفز درجات إلى أعلى سلم التشدد!

والذين يقولون بذلك يستندون إلى معلومات مفادها أن الإدارة الأمريكية أصبحت فى موقف لا تحسد عليه ،بسبب ما تسببه لها السياسة الإسرائيلية من إحراج يصل إلى حد المهانة، نتيجة عدم التجاوب مع المبادرات والحلول الأمريكية المطروحة لإكمال مسيرة السلام فى الشرق الأوسط، وأنه لم يعد بمقدور الإدارة الأمريكية أن تصبر على التعنت الإسرائيلى لأن ذلك معناه التضحية الكاملة بمصداقية السياسة الأمريكية فى المنطقة وبما يهيئ الأجواء لاحتمال حدوث متغيرات فى الأوضاع السياسية بالشرق الأوسط تؤدى لتهديد المصالح الاستراتيجية الأمريكية مستقبلاً.

ثم إن أصحاب هذا الاعتقاد القائل بأن ما يصدر عن إسرائيل الآن لا يعكس الكلمة النهائية لإسرائيل، وإنما هو أحد أساليب التفاوض الإسرائيلية المعروفة، يستندون كذلك إلى أن صوت الرأى العام الإسرائيلى أصبح أكبر من أن تقاومه أية حكومة إسرائيلية حول

ضرورة الانسحاب من جنوب لبنان، والإفلات من مصيدة الحزام الأمنى الذى تحول إلى مصيدة للضباط والجنود الإسرائيليين وعملاء إسرائيل فيما يسمى بجيش لبنان الجنوبى، يدللون على صحة ذلك بما انتهت إليه الحكومة الإسرائيلية بالإجماع، فى اجتماعها الأخير، بالانسحاب من لبنان مع مطلع شهر يوليو حتى ولو لم يتم التوصل إلى اتفاق مع سوريا ولبنان.

وأيضاً فإن فيما يتعلق بالتلكؤ الإسرائيلى فى تنفيذ البنود الواردة فى الاتفاقيات الموقعة مع الفلسطينيين وآخرها اتفاق شرم الشيخ واستمرار عدم احترام التوقيتات المتفق عليها وآخرها توقيت فبراير ٢٠٠٠ لوضع إطار مفاوضات الحل النهائى، فضلاً عن مواصلة البناء فى المستوطنات باسم ضرورات التوسع وتعديل خرائط الانسحاب حتى لا تشمل مناطق قريبة من القدس أو محاذية لنهر الأردن... فإن ذلك فى نظر الكثيرين يمثل مرتكزاً أساسياً من مرتكزات أسلوب التفاوض الإسرائيلى على مدى التاريخ باعتبار أن «الابتزاز التفاوضى» «جزء أساسى من مكونات العقلية اليهودية من قبل أن تنشأ الدولة العبرية وأن تقوم لها قائمة على الأرض العربية!.

والبعض يرون أن عنوان الخطاب السياسى والإعلامى الذى يصدر عن إسرائيل يكشف عن مضمون المواقف الحقيقية التى تحكم رؤية إسرائيل من عملية السلام.. وهى رؤية لاتبتعد كثيراً عن الحد الأدنى المقبول عربياً لاستحقاقات عملية السلام فحسب، وإنما تبتعد كثيراً عن إمكانية تسمية ما تريده إسرائيل بأنه نوع من السلام، وأن المسمى الصحيح لما تحلم به إسرائيل وتخطط له هو «استسلام» بكل ما فى الكلمة من معان تعكس أوهام القوة المطلقة والقدرة على «فرض الصلح» بدلاً من «مفاوضات الصلح»...!

والذين يقولون بذلك يستندون إلى أن باراك الذى جاء إلى الحكم باسم «السلام» لم يفعل شيئاً يختلف فى كثير أو قليل عن الذى فعله نيتنياهو وأدى إلى سقوطه وإخراجه من الحكم بتهمة المجاهرة بالعداء الصارخ لعملية السلام..!!

بل إن هناك من يرى ويرصد سلوكيات وإجراءات وخطوات اتخذها باراك، وبالذات فى مجال الاستيطان، قد فاقت فى حجمها واستفزازاتها كل ما صنعه نيتنياهو طوال فترة حكمه!

ثم إن من يرون بأن مواصلة الرهان على عملية السلام من جانب العرب بات أشبه بمن يجرى وراء سراب كاذب!!

باراك عندما جاء إلى الحكم، كان أول المعترفين بأن الوقت عنصر مهم فى إنجاح عملية السلام، وأنه كلما تسارعت الخطى والإجراءات التى تخدم هذا الاتجاه كان ذلك فى مصلحة السلام... ولكن واقع الحال والمعايشة مع حكومة باراك لم يترك لأحد مجالاً للشك فى أنها لم تدخر وسعاً فى إضاعة الوقت وتمييع القضية ومحاولة الدخول فى تفريعات وهوامش، حتى أصبح الشعار المرفوع واللافتة التى تتباهى بها حكومة باراك هى.. إنه «لا يوجد مواعيد أو تواريخ مقدسة»!!

ثم إن باراك كان أول من أعلن فور مجيئه إلى الحكم أن مسألة المستوطنات مسألة بالغة التعقيد وأن متطلبات عملية السلام لا تحتمل إضافة مزيد من التعقيدات لهذه القضية المعقدة، وأنه لن يسمح ببناء أية مستوطنات جديدة.. ولكى يعطى إشارات مضللة وخادعة تغطى على المقاصد الحقيقية لحكومته، فقد جرى إشغال الرأى العام العربى والعالمى بتمثيلية فك بعض المستوطنات الهيكلية المتناثرة فى عدة مواقع فى الضفة الغربية، وعددها لا يزيد على ١٥ مسكناً خالياً، بدعوى أنها مستوطنات عشوائية وغير شرعية، وفى نفس الوقت كان العمل يجرى على قدم وساق فى أضخم مشروع لتوسيع المستوطنات القائمة فى الضفة الغربية كلها!

وهكذا جاءت أفعال باراك متناقضة تماماً مع التزاماته ولكى تصب فى خانة تعقيد الوضع ثم الادعاء بعد ذلك بأن يده مغلولة لصعوبة التوصل إلى حل يتفق وضرورة إخلاء وتفكيك هذه المستوطنات فى إطار الانسحاب المفترض إلى خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧ ... ويبدأ فى ظل ذلك الإلحاح والضغط على ضرورات المرونة العربية والقبول بحلول وسط تقطع استحقاقاتها من الطرف العربى وحدة.

إذن فليس غريباً أن يؤكد أصحاب هذا الرأى المتشائم من مستقبل عملية السلام، أن ما جرى فى الكنيست أخيراً بشأن مشروع القرار الخاص بهضبة الجولان كان تمثيلية تصب فى خدمة هدف «وضع العراقيل» أمام عملية السلام وممارسة الضغوط فى اتجاهات

متعددة، بما فى ذلك ممارسة الضغوط على الصديق والشريك الأمريكى وتحجيم ما ظهر من مؤشرات على رغبته فى إفشاء السر بإخراج وديعة رابين من مخبئها الأمريكى!.

لعل ما فضح هذه التمثيلية هو العناق الحار الذى تبادله إيهود باراك مع وزير خارجيته صاحب التصريحات الحمقاء ديفيد ليفى، عقب انتهاء التصويت وإقرار الكنيست لمشروع القرار الغريب والعجيب الذى تريد إسرائيل من خلاله أن تستن شريعة جديدة فى التعامل الدولى بحيث يصبح القانون الإسرائيلى أقوى من القانون الدولى!!

إن الحديث عن مصير الشعب الفلسطينى ومستقبل المنطقة العربية، ينطوى على علامات استفهام كبيرة ... وخطيرة!... وتتضخم علامات الاستفهام عندما نطرح هذا التساؤل الهام: هل لدينا تصور دقيق لما يجرى بشأن المستقبل السياسى والاقتصادى لمنطقتنا العربية فى ضوء المشروعات والمقترحات الصهيونية؟!

الإستقالة البهلوانية!!

وأخيراً.. سقط الجنرال باراك.. عندما فاجأ الجميع باستقالته «البهلوانية» فى التاسع من ديسمبر ٢٠٠٠، نفس يوم اندلاع الانتفاضة الفلسطينية المفاجئة والمثيرة فى التاسع من ديسمبر ١٩٨٧، والتى حاول الجنرال المقتول «رابين» وأدها باتباع سياسة تكسير عظام الأطفال!!

لقد أراد باراك بمناورته الجديدة - الاستقالة الاضطرارية - أن يطبق على الجميع أساليب هجوم الكوماندوز المباغتة، التى طالما أتقنها فى مسيرته العسكرية، الهجوم المفاجئ والساحق على الهدف قبل أن ينتبه، فإما أن تقتل وتضرب وتهرب، وإما على الأقل أن تربك العدو.

وأراد مفاجأة خصومه السياسيين خصوصاً منافسه المعلن شارون زعيم الليكود، ومنافسه المنتظر والعائد إلى المسرح نيتنياهو الذى أراد الثأر من هزيمته فى انتخابات ١٩٩٩، وبالقدر نفسه أراد إرباك حلفائه فى حزب العمل والأحزاب اليسارية، بل أراد تفويت الفرصة مبكراً على المتطلعين لوراثته من أقرب زملائه «بورج وبارام وبيريز»!

أيضاً أراد إرباك كل حسابات القيادة الفلسطينية، التى يعتقد أنها مازالت تفضل التفاوض معه على التفاوض مع شارون أو مع نيتنياهو، ولا سبيل إلى تحقيق ذلك إلا بوقف الانتفاضة أولاً ثم بتعويمه سياسياً وتسويقه عربياً من جديد، ومن ثم دعمه فى الانتخابات بحجة إنقاذ عملية السلام!

ثم هو أراد استغلال هذه الفترة الحرجة والمرتبكة أصلاً، التى عاشتها حليفته الاستراتيجية أمريكا، فى ظل أزمة انتخابات الرئاسة، مثل السيرك الضعيف الفقير بل البليد، فيضمن تأييداً أمريكياً «أعمى» تماماً، بلا ضغوط أو حتى شبهة ضغوط أخيراً.. أراد أن يقول للجميع.. انتخبونى وسد دونى، وإلا فسيأتيكم شارون أو نيتنياهو وكلاهما معاد للتسوية!!!

وبصرف النظر عن هذه الألاعيب السياسية والتكتيكات الصغيرة، فإن باراك قد أسقطته الانتفاضة وأهدرت هيبته، قبل أن تسقطه الصراعات الحزبية الإسرائيلية، بعد فشله المطلق فى كل سياساته ومناوراته، لقد تقطعت خطوط اتصالاته واهتزت دفاعاته وانكشفت مغامراته السياسية والعسكرية، أمام أطفال الحجارة وميليشيات الانتفاضة الفلسطينية.. إنها عقوبة كل بهلوان!

ويقول الكاتب الكبير «كامل زهيرى»:

أشهر ابتسامة كاذبة هى ابتسامة إيهود باراك رئيس وزراء إسرائيل المستقيل.. وهو لا يكذب ويبتسم بل يكذب ويغضب.. وهو يأكل وهو يشرب.. ويكذب أيضاً وهو يتنفس.. وقد يكون حبه للكذب هو السبب فى مهاراته فى التخفى.. وحين كان باراك يقوم بجرائمه الإرهابية لاغتيال القيادات الفلسطينية.. وفى عملية شارع فردان بقلب بيروت عام ٧٣، لبس باراك ثياب امرأة ووضع فوق رأسه الباروكة وحبك على وجهه الماكياج، ورسم ابتسامته الكاذبة.. ولم يكن باراك يحتاج إلى كل ذلك، ولكنه عشق التخفى وهواية الكذب.. وقد اشتهرت ابتسامة باراك الكاذبة لأنها لا تضيق ولا تتسع، وهى مرسومة على وجهه دائماً، بنفس الحجم وفى كل المناسبات.. وقد أثارت تلك الابتسامة الدائمة يهودياً يمينياً فسار ساخطاً فى شوارع تل أبيب.. وكان اليمينى يحمل لافتتين باليد اليمنى بالإنجليزية واليسرى

بالعبرية.. وعليهما صورة باراك الكاذب المبتسم.. وفوقهما بالإنجليزية والعبرية هذا النداء: «يا باراك.. أوقف الابتسام».

ولكن باراك لن يتوقف عن الكذب والابتسام.. وقد استطاع أن يخدع في بداية حكمه من خدعونا فقالوا إنه يختلف عن نيتنياهو أو حاولوا خداعنا فلم يفلحوا لأننا نشرنا تاريخه الإرهابي الأسود منذ عملية طائرة شركة سابينا البلجيكية.. ومنذ اغتيال كمال ناصر وزميليه في بيروت.. واغتيال أبو جهاد في تونس..!

وليس العيب في أكاذيب باراك ولكن في الذين صدقوا أكاذيبه ولم يتحدثوا إلينا عن أكبر صفقة سلاح من طائرات الهليوكوبتر الهجومية تمت مع أمريكا في عهد باراك.. وزادت على ٥٠٠ مليون دولار.. وكلها لمواجهة الانتفاضة.. كما لم يتحدث الذين صدقوا باراك عن اضافة ٥٠٠ مليون دولار لميزانية إقامة المستعمرات في عهد باراك.. وهم يتحدثون إلينا باسم الواقعية مع أن هذه الأرقام واقعية وهي على الأرض بالمستعمرات وفي السماء بالهليوكوبتر!.

ولهذا انفجرت الانتفاضة وسوف تستمر، وياسر عرفات لا يملك أن يصدر أمراً بإيقافها، وباراك لن يستطيع قمعها، وسوف تستمر الانتفاضة وهي أقوى من الانتفاضة الأولى، والضحايا أكثر.. وإسرائيل أكثر شراسة.

ولا أحد في إسرائيل يريد أن يعترف بأن الشعوب تتعلم من دروس التاريخ وتجارب الآخرين.. وقد انفجرت الانتفاضة من الأرض المحتلة بعد انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان، ودرس الفداء والاستشهاد وتجربة المقاومة وحزب الله في الأذهان عن قرب، لأن السلاح الوحيد الذي يملكه الشعب وليس له سلاح مضاد هو سلاح الاستشهاد في سبيل الله والوطن.

الفصل السادس

القدس
التي في السماوات..!!

القدس التى فى السماوات
والمندوب السامى لإسرائيل فى البيت الأبيض!

القدس مدينة السلام... التاريخ... المدينة ذات السحر الخاص، تجلت بها حكمة الأنبياء وشهدت جبالها ووهادها دعوة المسيح عليه السلام.. التقت فيها حضارات العالم، ومر بها الملوك والأباطرة والخلفاء، وجيوش الغزاة.. فكان من قدرها أن تكون طوال تاريخها ميداناً للحروب والصراعات الرهيبة والآلام.

وتاريخ المدينة المقدسة، شديد التعقيد، كثير التداخل، حتى ليبدو وكأنه مخطوط قديم بات من المتعذر فك رموزه! فموقعها الجغرافى والاستراتيجى ومكانتها الدينية، جعل معظم الأمم تتطلع للاستحواذ عليها، فحرمت من أن تكون من المدن السعيدة..!

والقدس بموقعها تتحدى الجغرافيا، حيث تتوسط إقليم جبلى يصعب اختراقه، وطبقاً لتعبير د. جمال حمدان العالم الراحل: «فهو ليس عتبة، بقدر ما هو عقبة، وقد قامت مثل مكة المكرمة فى واد غير ذى زرع» وهى تمثل معيار قوة العرب والمسلمين، فإذا ما أعدنا قراءة التاريخ سنجدها آمنة زاهية فى ظل قوة العرب وازدهارهم، وهى أسيرة عاجزة فى ظل الضعف والانهيار الحضارى.. وهى دون أدنى شك - قلب قضية العرب والإسلام بكل أبعاد المواجهة الحضارية الثقافية والاقتصادية والعسكرية والسياسية مع عدونا التاريخى!

وتتألف القدس من قسمين هما: القدس القديمة، التى يحيط بها السور الكبير القديم، وهى التى تضم كل المقدسات: الصخرة المشرفة، المسجد الأقصى، كنيسة القيامة، حائط

البراق.. مما يشكل لها وضعاً فريداً - لا مثيل له - بين سائر المدن المقدسة فى العالم، أما القدس الجديدة، فهى الواقعة خارج السور، وتميزها حداثة العمران والأحياء الجديدة والشوارع المنتظمة.

سرقة الأرض والتاريخ:

زعماء الكيان الصهيونى من «بن جوريون» إلى «شارون» تحدوهم رغبة دائماً فى قهر الإدارة العربية، بانتزاع «درة العرب الغالية» فخلال حرب يونيو ١٩٦٧، أحكم الاحتلال الإسرائيلى قبضته على القدس، ففى ١١ يونيه ١٩٦٧ عقدت الحكومة الإسرائيلية اجتماعاً لبحث ضم القدس إلى إسرائيل، وفى ٢٧ يونيو تقدمت الحكومة بمشروع قرار الضم إلى الكنيست الذى وافق على القرار رقم ٢٠٦٤ الخاص بضم القدس سياسياً وإدارياً، وفى اليوم التالى، أصدرت الحكومة ما يسمى: أمز القانون رقم ١ لسنة ١٩٦٧ إخضاع المدينة للقوانين والنظم الإدارية الإسرائيلية!

وفى ٣٠ يونيو عام ١٩٨٠، أقر الكنيست ما سمى بالقانون الأساسى، الذى ينص على اعتبار مدينة القدس بشطريها عاصمة موحدة أبدية لإسرائيل، ومقراً لرئيس الدولة والحكومة والكنيست والمحكمة العليا!.. ومضت سلطات الاحتلال فى إجراءات تهويد المدينة فى طابعها المعمارى والمرافق والتعليم والثقافة، والتراث والاستيطان، والاعتداء على المقدسات الإسلامية والمسيحية وهدم العقارات وتهجير السكان العرب.

والنشرات الدعائية الخاصة بالمركز الإعلامى الإسرائيلى بالقدس، والتى يقوم بإهدائها المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة، تزخر بفقرات تكشف حرص الإسرائيليين على تزييف التاريخ كمكون رئيسى فى الفكر الصهيونى، فبعد سرقة الأرض.. يسرقون أيضاً التاريخ! تقول إحدى النشرات المسمومة:

«القدس هى عاصمة إسرائيل، وفيها مقر الحكومة وهى المركز الروحى والقومى للشعب اليهودى، منذ أن بناها الملك داود وجعلها عاصمة لمملكته عام ١٠٠٠ ق.م، ولم تكن القدس أبداً، باستثناء العهد القصير للمملكة الصليبية، عاصمة إلا لدولة اليهود كان ذلك طوال قرون عديدة فى العصور القديمة، ومرة أخرى منذ عام ١٩٤٨»!!

والفكر الصهيونى بالنسبة للقدس يتحدد بوضوح فى مقولة الإرهابى بيجين: «لا وجود لدولة إسرائيل بدون القدس ولا وجود للقدس بدون الهيكل»!!

وقبيل مصرعه بنحو ثلاثة شهور، قال إسحق رابين الذى بكاه بعض العرب! «القدس التى على الأرض هى ملك خالص للإسرائيليين، أما العرب فلهم القدس التى فى السماوات»!!

مواكب تاريخية:

وقف عندها التاريخ إجلالاً وإكباراً، أولها: الموكب شديد البساطة للفاروق عمر، عقب فتح المسلمين لبلاد الشام، اجتمعت فلول البيزنطيين المهزومة فى «إيلياء» كما كانت تسمى القدس آنذاك، وحوصرت المدينة لمدة أربعة شهور، وطلب «صفرونيوس» التسليم والأمان من أمير المؤمنين عمر نفسه!..

ورأى عمر أنه أمر يستحق أن يسير من أجله لتخليص ثالث الحرمين الشريفين، وفى اليوم التالى، خرج على بعيره وليس معه سوى غلام، حتى وصل إلى «الجابية» على مشارف الشام.. وهناك كتب «عهد أهل إيلياء» الشهير:

«هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين - أهل إيلياء - من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيها وسائر ملتها، إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود».

وشهدت القدس مبايعة «معاوية بن أبى سفيان» أميراً للمؤمنين عام ٤١ هـ، والخليفة عبدالملك بن مروان، وتردد عليها الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان، وبويع الخليفة سليمان بن عبدالملك فى ساحة الحرم الشريف، والذى فكر فى أن يتخذ القدس مقاماً وعاصمة لدولته، وزارها الخليفة أبوجعفر المنصور عام ١٤١هـ واجتمع بعلمائها، ثم ولده الخليفة المهدى الذى أمر بتجديد بناء الأقصى.

ثمانون عاماً من الاحتلال وسبعون يوماً من ملحمة «حطين» .. عندما دخل صلاح الدين عسقلان واستقبل وفداً من الفرنجة يعرض السلم والهدنة، مقابل احتفاظهم بالقدس،

رفض صلاح الدين الذى أقسم أن ينالها بالسيف، حتى تم له النصر، فى ذكرى الإسراء والمعراج، يوم الجمعة ٢٧ رجب عام ٥٨٣ هـ/ ٢٠ أكتوبر ١١٨٧م. ودخل صلاح الدين المدينة المقدسة لترتفع أعلام دولته وحدها فوق القدس.

وحتما سوف يشرق فجر عربى إسلامى جديد على مدينتنا، لتعود إلى رسالتها التاريخية.. مدينة للسلام!

حادث السوق..!

فى ظهر يوم الأربعاء ١٩٩٧/٧/٣٠ الموافق ٢٥ ربيع الأول ١٤١٨ هـ كان حدث السوق الإسرائيلى فى القدس الغربية المحتلة عام ١٩٤٨، وهو حدث كان له ما بعده. وقد جاء رداً على تصاعد العدوان الإسرائيلى والدعم الأمريكى المتزايد له.

تمثل تصاعد العدوان الإسرائيلى فى صور عدة منها مصادرة الأراضى الفلسطينية والاحتيال للاستيلاء عليها بزعم الشراء من سماسرة عملاء. واقترن بهذه الصورة عدوان على الآباء والأجداد بزعم أنهم فرطوا من قبل بأراضى الوطن، وذلك رداً على مقاومة الشعب والسلطة الفلسطينية لذلك النفر من السماسرة العملاء.

وكان من صور العدوان أيضاً ما استهدف به الصهاينة المستوطنون العنصريون سكان مدينة الخليل من إجراءات حصار واعتداءات تدعمها قوات الاحتلال الإسرائيلى. وقد تجرأ هؤلاء الصهاينة على المساس بحرمة الرسول الكريم ﷺ وحرمة مريم العذراء. وبقى الحصار الإسرائيلى للضفة والقطاع صورة مستمرة من صور العدوان، وشمل هذا الحصار بعد عملية السوق والمدن والقرى داخل الضفة الغربية بحيث أصبح متعذرا الانتقال من مدينة إلى أخرى منها. واستمر التوسع الاستيطانى فى الضفة والقدس صورة أخرى.

وتعددت صور الدعم الأمريكى المتزايد للعدوان الإسرائيلى المتصاعد. وكان من بينها الحملة الرسمية والإعلامية على السلطة الفلسطينية لإعلانها معاقبة السماسرة العملاء، وكذلك على المراجع الدينية الإسلامية والمسيحية التى أفتت بشرعية المعاقبة. كما كان من بينها تجرؤ الكونجرس الأمريكى على إصدار قانون آخر بشأن اعتماد القدس عاصمة أبدية للكيان الصهيونى فى شهر يونيو ١٩٩٧؛ وبرز «جينجريتش» رئيس الكونجرس رمزاً

للصهيونية غير اليهودية في أمريكا. وقاد حملة لإصدار مزيد من التشريعات الأمريكية التي تمثل سيوفاً على رقاب السلطة الفلسطينية وتحاصر الشعب الفلسطيني في الداخل!

وللكونجرس الأمريكي تاريخ تصاعدي حافل بالعداء للقدس المحتلة، ففي أكتوبر ١٩٩٥ أصدر بمجلسيه النواب والشيوخ قراراً بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس وفي يونيو ١٩٩٧ أصدر مجلس النواب قراراً غير ملزم بموافقة ٤٠٦ أصوات مقابل ١٧ صوتا يقضي ببقاء القدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل، واعتماد مائة مليون دولار لتمويل عملية بناء القدس ونقل السفارة من تل أبيب بنهاية شهر مايو ١٩٩٩ الأمر الذي يؤكد انحياز الأغلبية الجمهورية في المجلس الإسرائيلي، وهو ما يوصف بأنه تغيير جوهري في موقف الجمهوريين الذين كانوا يؤيدون ترك القدس للمفاوضات، وبالتالي هي بمثابة رسالة واضحة لإنحياز الكونجرس الكامل لإسرائيل!

وإذا رجعنا إلى قرار الكونجرس الذي يطالب الإدارة بالاعتراف بالقدس عاصمة واعتماد ١٠٠ مليون دولار لنقل السفارة من تل أبيب إلى القدس، نجد أيضاً عجباً في صياغة القرار.. فالقانون يفرض على الإدارة عدم استخدام ميزانية الخارجية في إصدار أية مكاتبات للسفارات لا تنص على أن القدس عاصمة لإسرائيل كما يمنع الدبلوماسيين الأمريكيين من عقد لقاءات مع الفلسطينيين داخل القدس!

ويزايد الكونجرس الأمريكي على الشروط والقيود، والتي كان مستحيلاً أن تقبلها السلطة الفلسطينية:

* أن تنبذ السلطة الفلسطينية المقاطعة العربية ضد إسرائيل وتعمل على إنهائها من جانب الدول العربية!
* أن تمتنع عن الإدلاء بتصريحات تمس حق إسرائيل في الوجود أو تشجيع الأعمال العدائية ضد إسرائيل!
* أن تلغي ميثاق المنظمة!
* أن تشكل قوة شرطة فلسطينية مهمتها مطاردة «الإرهابيين» وتسليمهم إلى إسرائيل!
* أن تؤكد السلطة الفلسطينية عدم وجود «إرهابيين» في صفوفها!
* وقف كل أعمال التدريب للإرهابيين في أي مكان!

* التعاون مع الإسرائيليين لمكافحة الإرهاب، وتوقيف «الإرهابيين» ونقلهم لإسرائيل!
* نزع سلاح المدنيين الفلسطينيين!
* عدم فتح مكاتب في القدس!
* تقديم معلومات عن أي مواطن أمريكي، كان رهينة لدى الفلسطينيين!
* عدم اتخاذ أية خطوات من جانب الفلسطينيين من شأنها تغيير الوضع في القدس والضفة الغربية وقطاع غزة تسبق مفاوضات المرحلة النهائية!

في مواجهة هذا التحالف الصهيوني الاستعماري، الإسرائيلي الأمريكي، استمرت المقاومة في صور كثيرة على الأصعدة الدبلوماسية والسياسية والفكرية والفدائية والعسكرية. وسجلت على الصعيدين الفدائي والعسكري في القدس والخليل وجنوب لبنان تطوراً نوعياً، يستحق دراسة من المختصين. وحفلت هذه المقاومة بمعان عظيمة تجلى فيها عطاء الشهيد والروح التي يولدها هذا العطاء في الأمة. ومثل بارز على ذلك ما حدث في لبنان إثر استشهاد الشاب هادي حسن نصرالله ورفاقه يوم ١٩٩٧/٩/١٢ . فقد وقف والده السيد حسن نصرالله الأمين العام لحزب الله وقائد المقاومة الإسلامية في لبنان ليعلن بعد سماعه النبأ «ولدي الشهيد اختار هذا الطريق بملء إرادته ككل شهداء المقاومة، وإذا كان لي أو لأمه أو لأب أي شهيد أو أمه فضل، فهو أننا سهلنا ولم نقطع الطريق على هذا الشاب أو ذاك ليمضي إلى حيث يحب ويختار إلى حيث يعتقد.. لقد ذهب إليهم ولم يأتوا إليه.. لقد ذهب بقدم وبندقية وإرادة. هذا هو الفارق. فهذا ليس نصراً للعدو. إنه نصر لحزب الله وعز. إن شهادة الشهيد «هادي» عنوان يؤكد أننا في قيادة حزب الله، لا نوفر أبناءنا للمستقبل بل نفخر بهم عندما يذهبون إلى الخطوط الأمامية، ونرفع رؤوسنا عندما يسقطون شهداء» وكان لهذا المثل صداه الواسع في أنحاء الوطن الكبير. وقد جعلته اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية بلبنان المؤسسة في مصر موضوعاً، «لأسبوع الشهيد» . وفيما يلي قراءة لحدث السوق الإسرائيلي في القدس. كما نرفق تشوفاً لما بعد الحدث وتحليلاً للتحرك الأمريكي الذي تبع حدث القدس الثاني في شارع بن يهودا.

الحدث كما نقلته وكالات الأنباء هو «قيام شابين بعمليتين فدائيتين في السوق المركزي الإسرائيلي في القدس الغربية المحتلة منذ عام ١٩٤٨، فجرا فيها أربعين كليوجراماً من مادة «ت.ن.ت» فقتلا خمسة عشر مستوطناً إسرائيلياً وأصابا مائة وسبعين آخرين، وراحا شهيدين

فى سبيل الله. ولم تعرف سلطات الاحتلال الإسرائيلى حتى كتابة هذه السطور هوية هذين الشابين، وإن وصفتهما بأنهما فلسطينيان. كما لم تعرف حتى الآن، على الرغم من كل إجراءاتها القمعية، ما إذا كانا قد جاءا من فلسطين المحتلة عام ١٩٦٧ أو من الخارج. والتكهنات كثيرة حول منفذى العمليتين ومخططاتهما والجهات التى ساعدت الشهيدين.

توقيت هذا الحدث يوقف أمامه. فقد وقع فى اليوم الذى كان المنسق الأمريكى «روس» قد حزم حقائبه ليأتى إلى فلسطين المحتلة والمنطقة العربية فى تحرك آخر من التحركات الأمريكية التى تستهدف «التخدير» .. تخدير الرأى العام الأمريكى الذى لا يفهم الكثير مما يجرى فى إطار ما تسميه حكومته «عملية سلام الشرق الأوسط» وتخدير أوساط عربية رسمية وشعبية لا تزال تعتقد بإمكانية أن تسفر هذه العملية عن شئ إيجابى. وقد جاء قرار الإدارة الأمريكية بإرسال «روس» بعد مجموعة تحركات جرت فى فلسطين المحتلة وعاصمة الاتحاد الأوروبى استهدفت إعادة المفاوضات المتوقفة منذ شهور بين الحكومة الإسرائيلية وسلطة الحكم الذاتى الفلسطينية. ولم تلبث هذه الإدارة الأمريكية حال وقوع الحدث أن أجلت رحلة «روس».

حين نستحضر السياق الذى وقع فيه الحدث، نجد أنه جاء بعد ثلاثة عشر شهرا من تولى زعيم الليكود الإسرائيلى رئاسة الوزارة الإسرائيلية بعد انتخابه. وقد حفلت هذه الفترة بممارسات عدوانية إسرائيلية استهدفت التأثير على معنويات الأمة العربية وشعوب الحضارة العربية الإسلامية، وذلك بالمجاهرة بإعلان المخططات التوسعية الصهيونية فى فلسطين بعامة وفى القدس عاصمة فلسطين بخاصة، وفى بقية الوطن العربى والدول العربية كافة. وكان أول هذه المجاهرة كتاب «بنيامين نيتنياهو» «مكان تحت الشمس» أو «مكان بين الأمم» الذى سبق كل ما كتبه «العنصريون الغربيون» فى القرنين الأخيرين، ثم جاءت تصريحاته وتصريحات زملائه الصهاينة العنصريون لتكثف هذه المجاهرة، ولم يمض وقت كبير على ذلك حتى كان العدوان الجديد على حرم المسجد الأقصى فى شهر سبتمبر ١٩٩٦ فيما عرف بعدوان النفق. ولم يلتفت الصهاينة لدلالة هبة الشعب الفلسطينى العربى المؤمن بعد هذا العدوان، فمضوا فى سياسة التأثير على المعنويات العربية والإسلامية، وأقدموا على استعمار جبل أبى غنيم فى القدس استيطانياً متحدين القانون الدولى والمشاعر وحتى اتفاقات أوسلو

البائسة. وتفننوا في العدوان على مدينة خليل الرحمن حرما وبشراً- بعد أن كانوا قد نجحوا بمعونة الولايات المتحدة باغتصاب جزء من المدينة فيما سمى «باتفاقية الخليل». وشمل هذا التفنن المساس بمقام نبى الإسلام محمد بن عبدالله ﷺ، ومقام مريم ابنة عمران أم عيسى عليه السلام. فضلاً عن الاستمرار في الممارسات الصهيونية العنصرية اليومية على صعيد الاعتقال الإدارى وتعذيب المعتقلين ومحاصرة شعب فلسطين العربى في الضفة والقطاع والتحكم في لقمة عيشه. ولقد أسهبت صحف كثيرة دولية وعربية في الحديث عما جرى خلال هذه الفترة، ووفقت صفحة «تيارات عربية» بجريدة الأهرام يوم ١٩٩٧/٨/٢ حين أوجزت ذلك في أربع صور، عرضت إحداها نموذجاً للإرهاب الإسرائيلى، والثانية الاعتداء على المقدسات، والثالثة طرد العمالة الفلسطينية، والرابعة حصاد نيتنياهو ممثلا في قتلى العمليتين، وهو يتأمل فيهم وقد أسقط في يده!.

هذا السياق الذى وقع فيه الحدث يُفسر وقعه على مختلف الصُعد، ونتأمل بداية في هذا الوقع، فنجده على الصعيد الدولى الرسمى إدانة للعنف الموجه للمدنيين بألفاظ باتت معروفة بعد أن عممت قوى الطغيان الدولية «كليشهات» لها، جملا لا روح فيها ولا معنى، ودعوة للأطراف بضبط النفس. كما نجده على الصعيد الدولى الإعلامى معبراً عن شعور من كان يتوقع وقوع الحدث وطال انتظاره شيئا ما. وقد اختارت الإذاعة البريطانية في أعقاب الحدث تعليق جريدة «الاندبندنت» اللندنية الذى جاء فيه «إن وقوع الحدث لم يكن مفاجأة لأحد، بل المفاجأة كانت أنه تأخر». أما على الصعيد الإسرائيلى فإن وقع الحدث تضمن حالة من «الذهول» بين عامة الناس والرسميين على السواء، و«انفعالاً محموماً» عند رئيس الحكومة وعصابته الليكودية، و«انفعالاً مقترناً بشماتة» عند معارضيهم من تكتل العمل، و«محاولات تنصل من المسؤولية» في أوساط «الشين بيت» ودوائر الأمن الصهيونى الداخلية، تجلت في التصريح بأن تقاريرهم للحكومة حذرت مراراً من احتمال وقوع عمليات فدائية. وتطورت حالة الذهول يوما بعد يوم لتصبح «حالة من الرعب» من احتمال وقوع عمليات أخرى، تعمُ عامة التجمع الإسرائيلى. كما تجلى الانفعال الحكومى المحموم في إجراءات قمع عنصرية غير إنسانية استهدفت شعب فلسطين العربى. وقد جاء وقع الحدث على الصعيد الأمريكى مشابهاً لما هو على الصعيد الإسرائيلى في أوساط اليهود الأمريكيين، وبدا واضحاً أن الإدارة الأمريكية في حالة «حيص بيص» موزعة بين إدانة حادة للعنف، وخوف

على البقية الباقية من أوراق اللعب بما تسميه عملية سلام الشرق الأوسط، وابتزاز صهيوني من الكونجرس الأمريكي المسيطر عليه صهيونيا وعلى رئيسه المتهم بالفساد. أما الرأى العام الأمريكي فموزع بين توجهات إعلامية تعكس صراعات في مستوى القمة بين قوى سياسية أمريكية، تثور أمامه أسئلة بلا أجوبة!

الأكثر لفتا للنظر كان وقع الحدث فى أوساط أمتنا على الصعيد العربى. فعامة الناس فى غالبيتهم فى هذا القطر أو ذاك، فى حالة من الصحوة والنشوة يتنفسون الصعداء بعد ضيق صدر استمر شهوراً طويلة، ومع أنهم بحكم دينهم وقيمهم الحضارية يدينون العنف الموجه للأبرياء المدنيين، إلا أنهم من واقع خبرتهم بالصهاينة يقولون «وهل هؤلاء مدنيون أبرياء وهم الذين يغتصبون بالإرهاب القدس!!» «وماذا عن المدنيين الفلسطينيين العرب مسلمين ومسيحيين الذين يقتلون برصاص الصهاينة يومياً؟». ومع أن تصريحات رسمية عربية أدانت العنف باللغة المفروضة دولياً، إلا أن الكثير منها تحدث عن الأسباب المؤدية للعنف وأشار إلى تحذيراته للحكومة الإسرائيلية من نتائج ممارساتها العدوانية. وقد بدا غالباً على الصعيد العربى الشعبى الرسمى على السواء استشعار ضرورة التمسك بحق المقاومة ضد الإحتلال وضرورة ممارسته وضرورة الجهر بإعلان التمسك به. ولم يخل هذا الصعيد العربى من نفر قليل يكادوا يموتون من الرعب خوفاً من رد فعل العدو، يشككون فى جدوى المقاومة ويطلقون عليها الاسم الذى يطلقه العدو فيسمونها إرهاباً، وقد وصل الحال بأقلام منهم أن تقول بتلبية كل ما يطلبه العدو من تطبيع وأمن كى يطمئن ويهدأ بالاً لعله حينئذ يكف عن عدوانه! وهؤلاء لا يزالون يجتنبون مواجهة قراءة سياق وقوع الحدث، وإعادة النظر فى منطقهم الذى دللت الأحداث على سقمه، لأن الإستسلام لمطالب العدو شجعته، لا على الاستمرار فى عدوانه فحسب، بل على المجاهرة بعزمه على إذلال الأمة كما فعل نيتنياهو فى كتابه العنصرى!

نستشعر الحاجة لمزيد من التأمل فى هذا الحدث الذى له كل هذا الوقع، كى ننتهى إلى تقويم دقيق له. فنلاحظ أنه وقع فى القدس الغربية المحتلة عام ١٩٤٨، فى قلبها، فى «عز الظهر» حسب التعبير الشائع، فى مكان حافل بالأمن الإسرائيلى بأحدث أنواع التقنية التى تزوده بها قوى الطغيان الغربية ويقف هنا المؤرخ أمام عدة ملاحظات:

أولها : قوة الإيمان الذى يملأ قلبى هذين الشابين اللذين بذلا روحيهما فى سبيل الله ذوداً عن كرامة الأمة وسعيا لتحرير القدس والوطن الغالى فلسطين، وهو إيمان ملأ قلوب من سبقهما من الشهداء ويملأ قلوب شباب كثيرين ينتظرون وما بدلوا تبديلا. وواضح أن قوة الإيمان هذه أوجدت سلاحا لا قبل للعدو به قادر على ردع أعتى أسلحته الفتاكة، سماه البعض بلغة عسكرية «القنابل البشرية» وهو بلغة الإيمان سلاح الاستشهاد الذى يورث الحياة، ويكون الشهداء فيه أحياء عند ربهم يرزقون. ولا بد من وضع قوة الإيمان هذه فى الاعتبار عند حشد أوراقنا فى مواجهة هذا العدوان الصهيونى العنصرى علينا وعلى كرامتنا.

ثانيهما : مدى هشاشة عملية التسوية التى صممتها الولايات المتحدة الأمريكية وأسمتها «عملية سلام الشرق الأوسط» هشاشة تجعلها توشك أن تتهاوى تماما بعد عمليتين فدائيتين، وتفرض على مصمميها وراعيها أن يسارع إلى التحرك لإنقاذ ماء وجهه. ولا بد من وضع هذه الحقيقة فى الحسبان، فى عملنا الدؤوب للوصول بالولايات المتحدة إلى مراجعة شاملة تتخلى فيها عن هذه العملية التى سببت كل هذا الخراب منذ الشروع فيها، والالتزام بالقانون الدولى والشرعية الدولية وفرض الانسحاب الإسرائيلى الفورى من جميع الأراضى المحتلة منذ عام ١٩٦٧ فى فلسطين والجولان وجنوب لبنان كخطوة لإيجاد حل ديمقراطى للصراع ينهى هذا الحل العنصرى.»

ثالثها: التخطيط المتقن للعمليتين الذى تجلى فى اختيار موقعيهما فى القدس الغربية حيث يتكثف الأمن الإسرائيلى، لإثبات القدرة العربية على اختراقه، وحيث لا توجد أية سلطة لسلطة الحكم الذاتى الفلسطينية لتجنيبها إنحاء الحكومة الإسرائيلية عليها باللائمة، ولبيان كذب ادعاء هذه الحكومة إذا فعلت ذلك. وقد فعلت. وواضح أن القدرة العربية على اختراق أجهزة العدو قد زادت مع تراكم خبرة أبناء شعبنا به. ولم يعد عند كثيرين منهم تلك الهالة الأسطورية التى أوجدتها الدعية الصهيونية لكل من «الموساد» و«الشين بيت». ولا بد من أخذ هذه القدرة العربية فى الاعتبار عند التفكير فى ردع العدو عن المضى فى عدوانه.

رابعها: المثل الذى قدمته العمليتان على ضرب نظرية «الأمن المطلق الإسرائيلى» التى على أساسها نجح نيتنياهو فى انتخابات رئاسة الوزارة الإسرائيلية، وكان إسحق رابين قد

نادى بهذه النظرية قبله ومارسها مع المؤسسة العسكرية الإسرائيلية بعد توقيع اتفاق «أوسلو» حين أقدم على اغتيال الشهيد فتحى الشقاقى فى أكتوبر - تشرين أول ١٩٩٥، ثم راح ضحية تآمر أطراف إسرائيلية، ثم مارستها المؤسسة العسكرية حين اغتالت اثنين من قيادات المقاومة من تنظيم الجهاد فالمهندس البطل يحيى عياش. وجاءت عمليتا القدس وعسقلان يوم ١٩٩٦/٦/٢٦ الفدائيتان لتضربا هذه النظرية فى الصميم.

نقف عند هذا الحد فى تأملنا للحدث الذى وقع فى القدس المحتلة فى السوق المركزى الإسرائيلى فى صيف عام ١٩٩٧، ونتهيأ للتأمل فى تداعيات الحدث ومضاعفاته، بعد أن وضح الأثر البالغ لهاتين العمليتين الفدائيتين. ونجد أنفسنا أمام تداعيات مثالية تستحق نظراً وتفكراً. ويتجه تفكيرنا مرة أخرى إلى الشابين اللذين قاما بهما، وقد دخلا تاريخ الصراع العربى الصهيونى الممتد، شهيدين هزا الغطرسة الصهيونية العنصرية هزاً، ومن ورائها قوى الطغيان الدولية. ولا يفوتنا أن نستلهم من توقيت وقوع الحدث فى الذكرى المائة لانعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة بال بسويسرا فى صيف عام ١٨٩٧، ومن وقوعه فى قلب القدس الغربية المحتلة عام ١٩٤٨ دلالة أن المقاومة الفلسطينية والعربية والإسلامية للغزوة الصهيونية التى استهدفت فلسطين والوطن العربى والعالم الإسلامى، ستستمر أقوى بعد قرن من بدء الصراع، وسيكون رمزها تحرير القدس كلها توطئة لتحرير فلسطين وإفشال الحل العنصرى وسيادة الحل الديمقراطى الذى يعيش اليهود فى ظله مستأمنين مشاركين فى الحضارة العربية الإسلامية بعد أن ينبذوا الصهيونية، كما كان أسلافهم عبر تاريخ طويل».

لقد شدت قضية القدس أنظار الأمة خلال هذه الفترة بفعل كل هذه التفاعلات، فحدثت استجابات، كان من بينها انعقاد المؤتمر الشعبى للدفاع عن القدس الذى انعقد فى عمان بالأردن يوم ١٨ ربيع الثانى ١٤١٨هـ، ١٩٩٧/٨/٢١م. وقد أصدر هذه المؤتمر ميثاق الدفاع عن القدس من أربع عشرة نقطة واستراتيجية المواجهة الشعبية للغزو الصهيونى للقدس وفلسطين والأراضى العربية. وكان لقيادات من التيارين القومى والإسلامى دور متميز فيه.

المؤتمر الشعبى للدفاع عن القدس
ميثاق الدفاع عن القدس
١٨ ربيع ثانى ١٤١٨هـ - الموافق ٢١/٨/١٩٩٧م

بعد أن استعرض المؤتمر الشعبى للدفاع عن القدس المنعقد فى عمان من ٢٠ - ٢١/٨/١٩٩٧م، وما تتعرض له مدينة القدس خاصة، وفلسطين عامة، أرضاً وشعباً ومقدسات، من أخطار الاحتلال والاستيطان والتهويد، فإنه يؤكد أن الصراع العربى - الصهيونى هو صراع وجود وليس نزاعا على حدود، ويعلن هذا الميثاق الذى يعلن الموقعون عليه التزامهم بما جاء فيه من ثوابت، والعمل بمقتضاها، حفاظاً على القدس وهويتها ومكانتها، وعلى فلسطين وانتمائها العربى الإسلامى، وعلى بقية الأقطار العربية من الخطر الصهيونى وامتداده.

١ ـ مدينة القدس أولى القبلتين ومسرى الرسول الأعظم ﷺ فيها المسجد الأقصى ثالث الحرمين الشريفين الذى بارك الله حوله، وقبة الصخرة المشرفة، وكنيسة القيامة، مدينة عربية - إسلامية ترزح الآن تحت الاحتلال الصهيونى، ويتمسك العرب والمسلمون بعروبتها وبحقوقهم التاريخية فيها، وبالسيادة عليها مهما طال الزمن وبلغت التضحيات، ويقاومون محاولات إفراغها من أهلها العرب مسلمين ومسيحيين، وعمليات تهجير أهلها والاستيلاء على عقاراتها والمصادرة لأراضيها، وبناء المستعمرات فيها ومن حولها،

وتغيير معالمها الدينية والتاريخية وطمس هويتها العربية. كما يقاومون كل اعتداءات اليهود على أماكنها المقدسة الإسلامية والمسيحية، ويعاهدون الله على تحريرها وإعادة بسط سيادة الأمة عليها.

٢ - إن العهدة العمرية التى وقعها الخليفة عمر بن الخطاب مع البطريرك صفرونيوس تعتبر أساسا استراتيجيا لعلاقة المواطنين المسلمين والمسيحيين وتعايشهم فى القدس الذى دام على مدى قرون طويلة، وإن المسلمين والمسيحيين فى القدس وفى أنحاء فلسطين كافة، هم شعب عربى، والعهدة العمرية تعبير عن الامتداد التاريخى للثقافة والتراث العربيين العريقين اللذين يقومان على الدفاع عن مبادئ الحق والعدل والسلام، وهو يتجلى فى مدينة القدس التى تشكل امتداداً لرسالة العرب والمسلمين ومساهمتهم المتميزة فى إثراء الحضارة الإنسانية.

٣ - فلسطين أرض عربية إسلامية، وما طرأ عليها من احتلال وتهويد، هو باطل، وتجب مقاومته وإزالته بكل الوسائل المتاحة مهما كلف الأمر وطال الزمن، ومعركة القدس ومصيرها جزء أساسى من معركة فلسطين ومصيرها، وأن كل ما أقيم من مستوطنات فيها هو جزء من عملية استعمارية استيطانية، لا تكتسب أية شرعية قانونية أو سياسية، مهما مضى عليها من زمن، ولا تضفى أى نوع من أنواع الشرعية على الوجود الصهيونى فيها.

٤ - تحرير فلسطين وإعادة سيادة أمتنا عليها واجب مقدس وفرض عين على العرب والمسلمين جمعيهم حكاماً وشعوباً، ويضطلع بمسؤوليته كل العرب والمسلمين، والشعب الفلسطينى هو طليعة الراية فى مقاومة الإحتلال ومعركة التحرير، ويتحتم حشد الإمكانيات والجهود العربية والإسلامية كافة وتوحيدها، خدمة لهذا الهدف، وتعميق البعد العالمى لقضية القدس للوقوف بوجه عمليات الاستيطان والتهويد ووجود الإحتلال تحقيقاً للتحرير.

٥ - إن علاقة العرب والمسلمين بفلسطين ليست علاقة دينية فقط، بل هى أيضا علاقة قومية، وعليه فإن القبول بأى شكل من أشكال الولاية الدينية، دون السيادة السياسية

الفلسطينية عليها، يكرس الاحتلال ويحول دون استكمال شروط الولاية الدينية التي لا تقوم بوجود الاحتلال أصلا.

٦ - إن الاتفاقيات والمعاهدات جميعا التى عقدت بين بعض الحكومات العربية وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية وبين الكيان الصهيونى، المعروفة باتفاقيات كامب ديفيد وأوسلو ووادى عربة وتوابعها وملاحقها، هى اتفاقيات ومعاهدات إذعان استسلامية تهدد الحقوق التاريخية الثابتة للعرب فى فلسطين، ولا يمكن أن تضفي الشرعية على العدوان والاحتلال في القدس وفي فلسطين، وهي لذلك باطلة وغير ملزمة للعرب والمسلمين، ويجب مقاومتها وإسقاطها، وينسحب هذا على أى اتفاقيات قد تعقدها بعض الأنظمة العربية مستقبلاً مع العدو الصهيونى.

٧ - اللاجئون والنازحون الفلسطينيون أخرجوا من بلادهم قسراً بسبب الإرهاب الصهيونى والحرب والمذابح والطرد القسرى والتهجير وسائر الجرائم والممارسات البشعة التى ارتكبتها العصابات الصهيونية، وعلى رأسها جيش الهاجاناه، وقد حال العدو بينهم وبين العودة إلى وطنهم وديارهم وأراضيهم وممتلكاتهم التى استولى عليها اليهود بالعدوان الدموى، ويحاول مع جهات دولية أخرى توطينهم فى الدول العربية، الأمر الذى نرفضه ونقاومه. ولذلك فإننا نتمسك بحق الفلسطينيين فى تحرير وطنهم والعودة إليه، بوصفه حقاً أصيلاً لا يجوز ولا يمكن التنازل عنه، ولا يطاله التقادم، ويتحمل العرب مسؤولية فرضه، ويطالب المسلمون بمساندة الفلسطينيين خاصة، والعرب عامة فى قضية التحرير.

٨ - إن أراضى القدس خاصة، وفلسطين عامة، ملك لشعبها الفلسطينى، وأكثرها «وقف إسلامى» وما تبقى خارج ذلك بحكم «الوقف» يحرم التنازل عنها أو بيعها للعدو الصهيونى أو لوكلائه، كما يحرم قبول التعويض عنها. والتمسك بهذه الأرض التى باركها الله، هو جزء من عقيدة المسلم، إن تنازل عنها، تنازل عن عقيدته.

٩ - إن استمرار مقاطعة دولة العدو الصهيونى، عربياً وإسلامياً، سياسياً واقتصادياً وثقافياً، على المستويات جميعاً، يشكل سلاحاً فاعلا بيد العرب والمسلمين على طريق التحرير، ولذلك فإنه يتحتم أن تعود الدول العربية والإسلامية والصديقة التى أصبحت تعترف

بدولة الاغتصاب والعدوان والعنصرية وتتعامل معها، إلى استخدام هذا السلاح، وفى مقدمة ذلك تفعيل المقاطعة العربية للكيان الصهيونى، ووقف تطبيع العلاقات معه، الذى هو أحد استحقاقات سلام الاستسلام، والتصدى لكل أشكال الاعتراف به والتطبيع معه بكل الوسائل الممكنة.

١٠ - الولايات المتحدة الأمريكية دولة استعمارية معادية للعرب والمسلمين تنهب خيرات أوطانهم، وتقف بوجه حقوقهم وتطلعاتهم المشروعة، وهى حليف استراتيجى للعدو الصهيونى وشريك له فى عدوانه وممارساته العنصرية ومؤيد دائم وداعم قوى لمخططاته التوسعية والاستيطانية والسياسية فى كل المجالات. لذا ينبغى التوقف عن التعامل معها والكف عن الركون إليها فى أى دور تدعى أنه يساهم فى استعادة الحقوق العربية المسلوبة، والوقوف ضد مصالحها فى البلدان العربية والإسلامية.

١١ - إن حقوقنا فى وطننا ومقدساتنا حقوق طبيعية وتاريخية، اكتسبناها من خلال تجذرنا فى أرضنا وعلاقتنا التاريخية بها، ولا نسمح بأية هيئة دولية بأن تتدخل فى هذا الحق الطبيعى، ونرفض من هذا المنظور كل القرارات التى تمس حقوقنا الطبيعية والقومية والدينية فى القدس وفلسطين. وهيئة الأمم المتحدة تنبع أهميتها أصلاً من استقلاليتها وتمسكها بالقانون الدولى، إلا أن مؤسستها الأولى، «مجلس الأمن الدولى» أصبح أداة طيعة فى يد الولايات المتحدة الأمريكية، تستخدمها لتنفيذ خططها وسياساتها وخدمة مصالحها، وتظهر فيها ازدواجية المعايير، لذلك لم يعد مجدياً إلا النظر إليها باعتبارها منبراً إعلامياً.

١٢ - إن معاهدة سايكس بيكو، وما نتج عنها من وعود وعمليات تقسيم وإقامة جغرافيا سياسية جديدة، لا سيما فى بلاد الشام، أسست لزرع الكيان الصهيونى فى فلسطين، ومهدت لاحتلاله القدس، ودعمت كل خططه ومشاريعه فى هذا الاتجاه. ولذا فإننا نعلن إدانتنا لها ورفضنا ما بنى عليها وما نتج عنها، وفى مقدمة ذلك الصيغة القطرية التى أصبحت صيغة اعتراضية على القومية، وعامل إضعاف للقوة العربية، وتدمير لمقومات الوحدة فى الوطن العربى كله.

١٣ - إن التعصب الصهيونى نابع من تكوين الصهيونية العقائدى التوراتى التلمودى، وهو

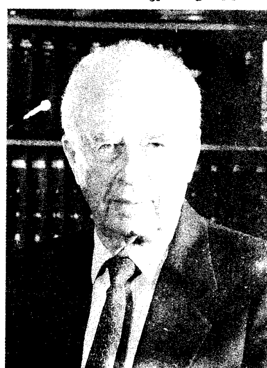
فى صلب تكوينها منذ قامت، وهو كذلك نهج يوجه كل القوى الصهيونية مهما اختلفت أو تناقضت، وقد ظهر التعصب العنصرى بكل أبعاده فى مسلك الصهاينة جميعاً، وتمثل فى اغتصاب الأرض وطرد السكان، وارتكاب المجازر، وتبرير كل أشكال العدوان والاستخفاف بكل المبادئ والقيم.

١٤ - الخطر الصهيونى لا يقتصر على فلسطين وحدها، وإنما يهدد الوطن العربى والأمة، إذ ما زال العدو يتابع تنفيذ مشروعه الاستيطانى التوسعى الاستعمارى بكل الوسائل. وهو يتبع سياسة الضم والتهويد، كما فى الجولان وجنوب لبنان وباقى الأراضى المحتلة. ولم يعد أمام العرب أى خيار سوى المقاومة والإعداد الشامل لمعركة التحرير بامتلاك كل مقومات الوعى والوحدة والقوة على أرضية العلم والإيمان والعمل بهما. وصولاً إلى تحرير إرادتنا وقرارنا السياسى والاقتصادى والعسكرى. والاستقرار فى المقاومة بكل الأشكال والوسائل والأدوات الممكنة، باعتبار المقاومة حقاً مشروعاً للشعوب الواقعة تحت الاحتلال، وليست إرهابا من أى نوع، ولا تنطبق عليه أية صفة من صفات الإرهاب وأهدافه. والمقاومة فى وضعنا الراهن هى أهم الوسائل لحرمان العدو من الاستقرار، ومن بناء قوته العدوانية، النووية وغير النووية، وتطويرها فى ظل ذلك الاستقرار، يجب أن يصبح خيارنا الاستراتيجى، على طريق التحرير والعودة.

١٥ - جماهير الشعب فى كل الأمم مصدر القوة والصمود، وصاحبة المصلحة فى الدفاع ومجابهة العدوان، لها وسائلها النضالية التى تثبت أهميتها وفعاليتها لنضالات شعبنا وسائر الشعوب، وهى فى الوطن العربى معطلة مغيبة بفعل مواقف وتصرفات الأنظمة الفردية التابعة، ولذا فإن النضال من أجل إطلاق هذه القوى الشعبية بمختلف مكوناتها من عقالها، وإزالة العقبات القمعية من أمامها، وتحقيق الحريات العامة الأساسية التى تتيح لهما حرية المشاركة الديمقراطية الفعالة فى مواجهة أخطار التبعية والهيمنة الإمبريالية والتهويد، ضرورة أساسية لا بد منها!



فى اجتماع مع زعماء عصابات الارهاب الصهيونية . بن جوريون يعلن قيام الدولة اليهودية فى ١٤ مايو ١٩٤٨



الجنرال إسحق رابين رئيس الوزراء الصهيونى وصاحب سياسة القبضة الحديدية والمقتول على يد متطرف يهودى!





رابين - الثانى إلى اليمين - أيام حرب العصابات الارهابية الصهيونية ضد الشعب الفلسطينى والمستمرة حتى يومنا هذا !

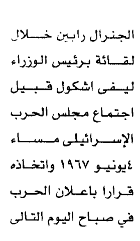


رابين على يسار ايجال يادين خلال حرب ١٩٤٨.



الجنرال رابين مع بن جوريون عقب تعيينه رئيسا لأركان جيش الحرب الإسرائيلى

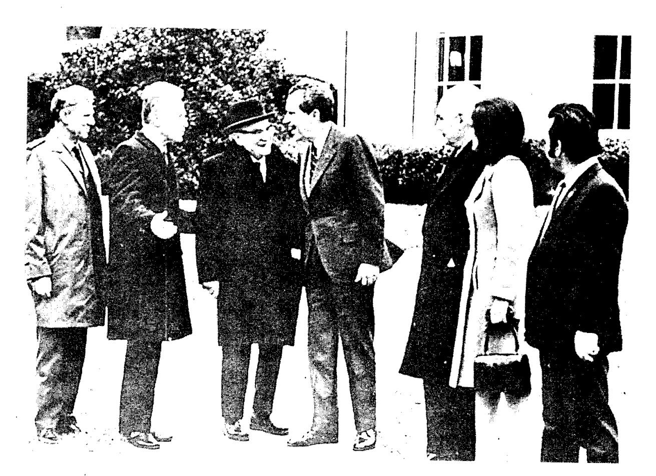




الجنرال رابين خلال لقائة برئيس الوزراء ليفى اشكول قبيل اجتماع مجلس الحرب الإسرائيلى مساء ٤يونيو ١٩٦٧ واتخاذه قرارا باعلان الحرب في صباح اليوم التالى



موشيه ديان وزير الدفاع الأسبق يتوسط الجنرال رابين رئيس الأركان وعوزى ناركيس قائد المنطقة المركزية فى جوله بشوارع القدس الشرقية عقب حرب يونيو ١٩٦٧



رابين وزالمان شازار مع الرئيس نيكسون فى البيت الأبيض.



رابين مع جيمى كارتر وقرينته فى حديقة البيت الأبيض



السفير رابين وقرينته «ليئه» مع جولدا مائير وكيسنجر ـ خلال زيارة رسمية لواشنطن لمائير عام ١٩٦٩.



قادة العصابات الارهابية الذين أصبحوا رؤساء وزارة ..! شامير ورابين وإلى أقصى اليمين نيتيناهو.



چورج بوش ورابين وثالثهم كلبهم ..!



اسحاق رابين يوقع اتفاقية تطبيق ترتيبات الحكم الذاتى فى غزة واريحا فى ٤ مايو ١٩٩٤ بالقاهرة



لقاء رابين بالملك حسين على بحيرة جليلى فى ١٠ نوفمبر ١٩٩٤.



رابين وبيــــريز
وعرفات يحتفلون
باستــلام جــائزة
نوبل للســلام فى
ديسمبــر ١٩٩٤.!



الرئيسان مبارك وكلينتون ..
وباراك وبيـــريز لحظة دفن
الارهابى رابين ..!



لقاء الرئيس مبارك بالملك حسين
وعــرفــات ورابين وبيــريز فى
سبتمبر ١٩٩٥.



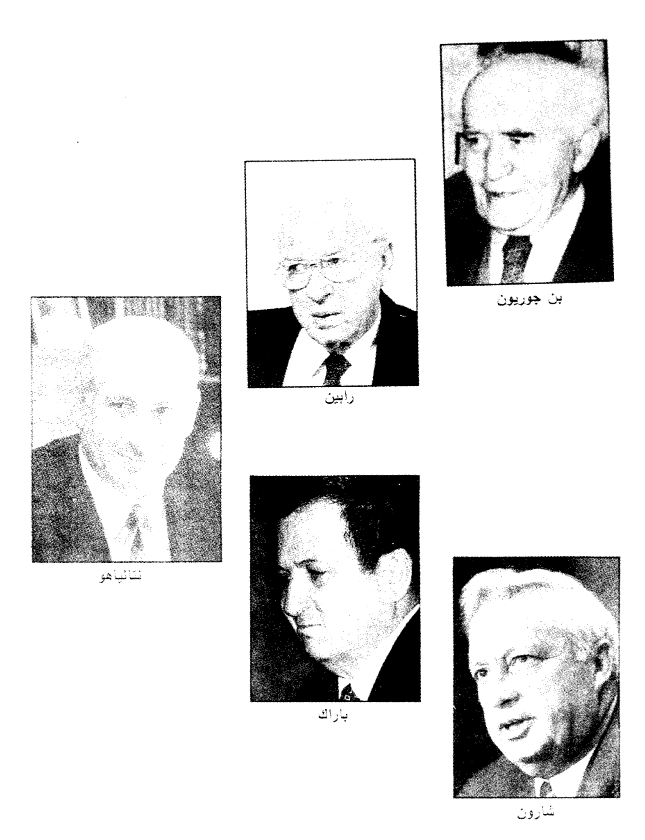
لقاء بيريز وريجان قبيل الغزو الإسرائيلى لجنوب لبنان عام ١٩٨٢.



كلينتون ورابين وعرفات يشهدون توقيع بيريز على اعلان مبادئ ترتيبات الحكم الذاتى فى ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ بواشنطون .



الارهابى بيريز فى اجتماع مع أحمد ماهر وزير خارجية مصر.



زعماء دولة العصابات الارهابية .. وجوه مختلفة لعملة واحدة !



الارهابى باراك .. واكذب ابتسامة !

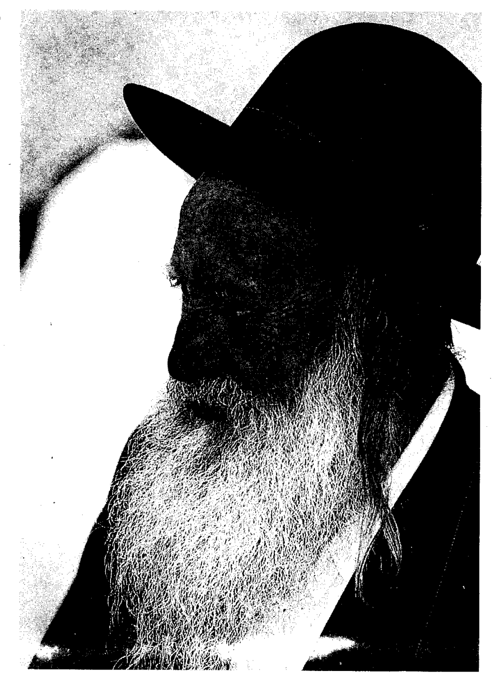


كلينتون .. وفشل مناورات اللحظات الأخيرة !





شارون بالبيت الأبيض يطمئن على التحـ
الاستراتيجى بين دولة العصابات الصهـ
والراعية الأولى للارهاب الدولى !

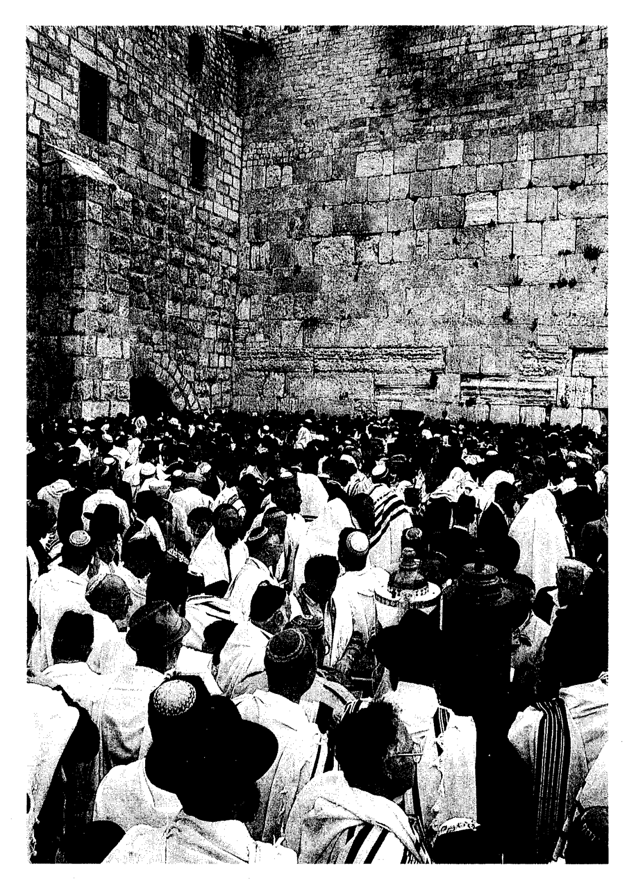


متطرف يهودى فى الزى التقليدى لحاخامـ
أوروبا !





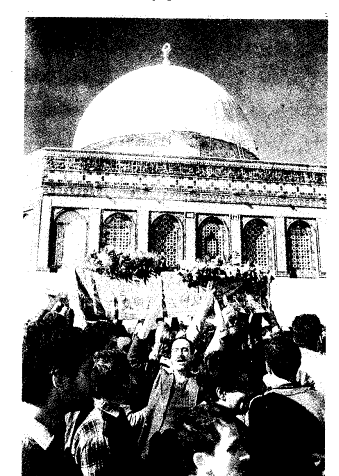
أثناء تناول وجبات الطعام طبقا للطقوس اليهودية داخل مدرسة (تلمود - توراه) بالقدس إحدى المدارس الدينية التي تخرج أجيالا لا تعرف سوى التعصب وكراهية العرب وضرورة إبادتهم !



حاخامات ومتطرفون يهود يحيطون بلفائف التوراة خلال احتفالهم بعيد التوراه عند حائط البراق!



زهرة فلسطينية .. تشارك فى ثورة الإرادة والحجر !



الأقصى شاهد على مواكب شهداء فلسطين - مشهد يومى !

المؤتمر الشعبى للـدفاع عن القدس
استراتيجية المواجهة الشعبية للغزو الصهيونى للقدس وفلسطين والأراضى العربية

المقدمة :

الصهيونية حركة عنصرية عدوانية إرهابية استعمارية استيطانية إحلالية، عملت منذ نشأتها على التحالف مع الدول الاستعمارية الكبرى التى ساندتها ولما تزل واغتصاب فلسطين وأجزاء أخرى من الأرض العربية، وإقامة الكيان الصهيونى فوقها، بما فى ذلك سعيها لبناء الهيكل الموهوم على أكتاف الأقصى، هذا الكيان الذى ما يزال يمتد بشكل سرطانى عاملاً على تهويد المنطقة بعامة، والقدس بخاصة، ولم تردع هذا العدو عن تنفيذ مشروعه قوانين أو قرارات.

وانطلاقا من إيمان جماهير أمتنا العربية والإسلامية بحقوقها التاريخية والدينية والقانونية، وهويتها الحضارية والإنسانية، فإن المؤتمر الشعبى للدفاع عن القدس يؤكد ضرورة العمل على ما يلى:

على الصعيد السياسى:

١ - العمل على وحدة القوى العربية والإسلامية لمنع **تهويد القدس، باعتبارها** مدينة عربية، مقدسة لدى مئات الملايين من المسلمين والمسيحيين، **الذى يقع عليهم** واجب نصرتها، وعبء تحريرها من الاحتلال الصهيونى، والأوهام التوراتية المنغلقة، واستعادة عروبتها وعروبة فلسطين، وكل أرض عربية محتلة.

٢ - الإصرار على أن الوجود الصهيونى فى الأرض العربية المحتلة وأرض فلسطين والقدس، قائم على الاحتلال والتهجير والاستيطان والتهويد، وتأكيد رفض دعاوى «الحق التاريخى اليهودى» المزعوم، والتأكيد على أن القدس مدينة عربية إسلامية واحدة موحدة، لا سيادة لأحد عليها لغير العرب مسلمين ومسيحيين.

٣ - مطالبة الحركات والمنظمات الشعبية العربية بالعمل على تعبئة جماهير الأمة واستنهاضها لتعمل على إسقاط المعاهدات المبرمة مع العدو الصهيونى، كامب ديفيد **وأوسلو ووادى عربة ، ومطالبة الحكومات** العربية والإسلامية باتخاذ مواقف واضحة **وحاسمة من جميع الحكومات فى** العالم على أساس موقفها من الصراع العربى **الصهيونى وجوهره قضية فلسطين**، وضرورة المقاطعة السياسية والاقتصادية الذين **يمدون «حكومة العدو الصهيونى»** بالمال والسلاح، والدعم المادى والمعنوى من جهة، **وتنمية العلاقات مع الدول التى تؤيد** الحق العربى، وترفض الاحتلال والاستيطان من **جهة أخرى.**

٤ - العمل على اتخاذ موقف عربى إسلامى من القوى الإمبريالية، وبخاصة الولايات المتحدة وبريطانيا، المسئولين عن تمكين الصهيونية من اغتصاب فلسطين، وتأسيس الكيان الصهيونى، وإمداده بأسباب الحياة، تحقيقاً لأطماعها الإمبريالية العالمية.

٥ - وجوب التزام سياسة مقاطعة العدو الصهيونى، ومحاصرته، ورفض الاعتراف به، ووقف كل أشكال التطبيع معه.

٦ - إن انتهاج العدو الصهيونى لسياسة تعزيز قدراته العسكرية من الأسلحة التقليدية والنووية، تجعل الحاجة ماسة عربياً لمضاعفة امتلاك وسائل القوة والأخذ بأسبابها لحماية الوطن العربى واسترداد الأرض العربية المحتلة.

٧ - المساندة الفعالة لكل أشكال المقاومة والتصدى والصمود الشعبى والرسمى فى مواجهة هذه المخططات الصهيونية والإمبريالية، مما يتطلب إطلاق حريات الجماهير العربية والإسلامية، للتعبير عن موقفها، وتمكينها من صنع قرارها للدفاع عن أوطانها، ومستقبل أجيالها والإسهام فى دورها بواجب استعادة القدس، عاصمة فلسطين.

٨ - انّ مقاومة الاحتلال الصهيونى حق مشروع لتحرير الأرض العربية، كما أنها تجسد عنفوان الأمة، وتمثل شرفها وعزتها وكرامتها. والجهاد هو السبيل الذى دحر العدوان، وإنهاء الاحتلال واستعادة الحقوق العربية المسلوبة كافة.

على الصعيد الاقتصادى:

ان توفير الدعم الكافى لإسناد كفاح العرب المرابطين على أرضهم فى ظل الاحتلال هو أحد الأركان الرئيسية فى المواجهة، ولذلك فالمؤتمر يدعو جماهير الأمة إلى الجهد بالمال.

وحتى يكون الدعم منتظماً ومستمراً، غير موسمى كما هى الحال، فإن المؤتمر يدعو إلى توحيد جهد المشاريع والصناديق المالية التى تعمل من أجل القدس، والتنسيق بين أنشطتها وصولا إلى التكامل فى أدائها أملا فى أن تتوحد فى صندوق يحمل اسم صندوق القدس الموحد ليتكفل بالمهمات التالية:

أولاً:

١ - السعى لإقامة أوقاف باسم القدس فى العواصم المختلفة ينفق ريعها لصالح القدس.

٢ - الإعلان عن سهم القدس بقيمة خمسة دنانير أو ما يقابلها كحد أدنى يدفعها كل حاج لصالح القدس.

٣- مطالبة الاتحادات الطلابية بتقديم دينار القدس «سهم طالب» سنوياً.

٤ - مطالبة الاتحادات والنقابات المهنية والعمالية والنسائية والمعلمين بتقديم دينار القدس سنوياً لكل منتسب.

٥ - مطالبة التجار وأرباب الصناعات بدفع خمسة وعشرين ديناراً سنويا كحد أدنى.

ثانيا:

١ – شراء الأراضى والعقارات فى بيت المقدس وتحديد سبل **استثمارها**.

٢ – بناء المشاريع الإنتاجية لتوفير فرص عمل ومعيشة **للعمال والمواطنين** العرب ودعم القائم منها.

٣ – تكوين تعاونيات زراعية وصناعية وتجارية وسكنية للأغراض عينها.

٤ – الإسهام فى بناء المدارس والمستشفيات والمعاهد ودعم ما هو قائم منها.

٥ – الإسهام فى ترميم العقارات التاريخية والمحافظة عليها.

٦ – مساعدة المحتاجين سواء كانوا أفراداً أو مؤسسات.

٧ – وضع سياسة لتعمير الأراضى البور، واستصلاحها واستثمارها.

٨ – مساندة الفلاحين ليبقوا فى أرضهم، وليحافظوا عليها، والعمال ليصمدوا فى أماكن عملهم ويطوروها.

فى الثقافة والإعلام والتربية والتعليم:

إن مواجهة الإعلام الصهيونى والإمبريالى المساند له، الذى يعمل على تضليل الرأى العام الدولى، واختراق العقل العربى ونشر أوهام الصهيونية وأباطيلها، وكذلك بعض وسائل الإعلام العربية له تحتم علينا الارتقاء بالدور التربوى الثقافى والإعلامى، لكشف هذه الأوهام والأباطيل وتعريتها، ودراسة الحركة الصهيونية وتحليل أسباب نجاحها وأسباب إخفاق العمل العربى فى مواجهتها، وصولاً إلى بلورة اتجاه ثقافى عربى إسلامى إنسانى، ينتصر لقضايا العرب والمسلمين، ويحبط مخططات الأعداء، الأمر الذى يتطلب تنشيط عمل المنظمات واللجان والمجالس العربية الثقافية والإعلامية والتربوية والتنسيق بينها، كما يتطلب توفير الوسائل اللازمة القادرة على تحقيق هذه الأهداف من خلال إيجاد إطار تنتظم فيه جميع القوى الشعبية الحية والفاعلة فى مختلف الأقطار العربية والإسلامية على اختلاف تياراتها الفكرية والسياسية، بحيث يضع الآليات المناسبة لتنفيذها وفقا لظروف كل قُطر، كما يتطلب توجيه آليات العمل الشعبى العربى القائمة من أجل القدس ونصرة فلسطين.

انتفاضة الأقصى

إن عنوان الخطاب السياسى والإعلامى الذى يصدر عن إسرائيل يكشف عن مضمون المواقف الحقيقية التى تحكم رؤية إسرائيل من عملية السلام.. وهى رؤية لا تبتعد كثيراً عن الحد الأدنى المقبول عربياً لاستحقاقات عملية السلام فحسب، وإنما تبتعد كثيراً عن إمكانية تسمية ما تريده إسرائيل بأنه نوع من السلام وأن المسمى الصحيح لما تحلم به إسرائيل وتخطط له هو «استبسلام» بكل ما فى الكلمة من معان تعكس أوهام القوة المطلقة والقدرة على «فرض الصلح» بدلاً من «مفاوضات الصلح»....!

والذين يقولون بذلك يستندون إلى أن «باراك» الذى جاء إلى الحكم باسم «السلام» لم يفعل شيئاً يختلف فى كثير أو قليل عن الذى فعله «نيتنياهو» وأدى إلى سقوطه وإخراجه من الحكم بتهمة المجاهرة بالعداء الصارخ لعملية السلام..!!

بل إنه هناك من يرى ويرصد سلوكيات وإجراءات وخطوات اتخذها «باراك»، وبالذات فى مجال الاستيطان، قد فاقت فى حجمها واستفزازاتها كل ما صنعه «نيتنياهو» طوال فترة حكمه!.

ثم إن من يرون بأن مواصلة الرهان على عملية السلام من جانب العرب بات أشبه بمن يجرى وراء سراب كاذب!

«باراك» عندما جاء إلى الحكم كان أول المعترفين بان الوقت عنصر مهم في إنجاح عملية السلام وأنه كلما تسارعت الخطى والإجراءات التى تخدم هذا الاتجاه كان ذلك فى مصلحة السلام.. ولكن واقع الحال والمعايشة مع حكومة «باراك» لم يترك لأحد مجالاً للشك فى إنها لم تدخر وسعاً فى إضاعة الوقت وتمييع القضية ومحاولة الدخول فى تفريعات وهوامش حتى أصبح الشعار المرفوع واللافتة التى تتباهى بها حكومة «باراك» هى.. أنه «لا يوجد مواعيد أو تواريخ مقدسة»!!

إن الفشل السياسى لباراك أو سياساته الخرقاء هى التى أدت إلى انفجار انتفاضة الأقصى وإلى انهيار حكومته ذاتها، وهو رأى وجيه إلى حد ما. لكن الحقيقة هى أن الأزمة الإسرائيلية أكبر من «باراك» ومن حزب (العمل)، بل ومن النخبة الإسرائيلية جميعاً؛ ذلك أن الخيارات المتاحة للدولة الإسرائيلية قد باتت فى تناقض مستمر ومطرد؛ ليس فقط فى غضون الفترة السابقة على الانتفاضة، وإنما يبدو ذلك جلياً منذ منتصف التسعينيات، أى منذ محاولة «شيمون بيرز» إنقاذ وضعه السياسى المتهاوى على إثر ضربات (حماس) و(الجهاد) وإنتصارات حزب (الله)، محاولته ذلك من خلال قصف لبنان وإرتكاب مذبحة لأهالى الجنوب فيه. ولعل المعنى هنا واضح، وهو أن أزمة «باراك» وحكومته إنما تتمثل فى أن الدولة العبرية التى يقودها قد وصلت إلى مفترق طرق لم تستطع تجاوزه، وأنها الآن مضطرة، بل ومجبرة على الوقوف أمام هذا المفترق. وبالتالى أصبحت أكثر عرضة لمتغيرات الأوضاع الفلسطينية والعربية دون أن يكون لها نفس القدرة السابقة على التأثير فى هذه المتغيرات.

لم يكن صدفة إذن، أن يتفاوض «باراك» مع الفلسطينيين وهو يستعد فى نفس الوقت لاحتمالات من نوع الانتفاضة، ذلك أن بعض المصادر تشير إلى أن الجيش الإسرائيلى كان يستعد منذ عام كامل للقيام بعمليات عنف ضد الفلسطينيين فى أى لحظة؛ كانت هناك أربع فرق من الجيش الإسرائيلى تتلقى تدريبات على نوعية مختلفة من الحروب، أى على القتال مع غير الجيوش النظامية، منها فرقة تشكلت منذ عام تحت اسم «نحشون ياتليون»

تخصصت فى القتال داخل العمران: من بيت إلى بيت، وتدربت على نماذج مطابقة للواقع: مطابقة للقرى والمدن الفلسطينية، فضلاً عن فرق أخرى تدربت على أساليب تفريق المظاهرات وإصابة الأهداف الحية ومداهمة المنازل. كذلك قامت السلطات الإسرائيلية بتوزيع الأسلحة والذخائر على المستوطنين منذ الصيف الماضى وبشكل مكثف وغير مسبوق. هذا التحسب الإسرائيلى مصدره ضيق الخيارات وتناقضها بشكل سابق على الانتفاضة. لكن الانتفاضة أسقطت ما كان باقياً من هذه الخيارات لدى الدولة الإسرائيلية؛ لقد سقط خيار الاعتماد على السلطة الفلسطينية ـ باعتبارها شريك أساسى فى عملية السلام ـ لحماية الأمن الإسرائيلى ـ على الأقل ـ من ضربات الإسلاميين الفلسطينيين!!

الانتفاضة والمستوطنون:

اعتمدت إسرائيل على إقامة مواقع أمنية وعسكرية داخل الأراضى الفلسطينية التى احتلتها عام ١٩٦٧ وأطلقت على هذه المواقع اسم «مستوطنات» أحاطتها بسياج عسكرى من التحصينات بحيث تتحول عند اشتعال المواجهات مع الفلسطينيين إلى ميدان حرب أو ساحة قتال. ولعل مستوطنة «نتساريم» فى غزة تعد أبرز الأمثلة والتى أطلق الفلسطينيون على الشارع المحيط بها اسم «طريق الشهداء» من كثرة استشهاد الفلسطينيين فيه، ومنذ عام ١٩٦٧ تمكنت السلطات الإسرائيلية من توطين ٢٠٠ ألف يهودى فى أراضى الضفة وغزة، وقامت لجان أمنية بتحديد مواقع هذه المستوطنات بحيث تحتل مواقع استراتيجية فى مداخل المدن الفلسطينية ومخارجها. وعلى سبيل المثال تستقطع المستوطنات الإسرائيلية حوالى ٤٠٪ من مساحة غزة ويعيش فيها أربعة آلاف مستوطن يهودى بينما يعيش ٢ر١ مليون فلسطينى فى ٦٠٪ من مساحة غزة. وليس صدفة أن يكون جميع سكان المستوطنات فى قلب الأراضى الفلسطينية من اليهود المتطرفين الذين يعتبرون فلسطين أرض الميعاد ولا يعترفون بالفلسطينيين إلا كأغيار لا يستحقون الحياة ويجب معاملتهم كالحيوانات. وأبرز هذه التجمعات الدينية تكتل «جوش أمونيم» وهو تجمع للمتدينين يساند تيار المستوطنات بالأموال والفكر العقيدى. وتحرص السلطات الإسرائيلية على تسليح المستوطنين وإخضاعهم لبرامج

تدريب عسكرى تقوم بشكل أساسى على إعادة احتلال القرى الفلسطينية، وهى خطة تطابق تماماً خطط عصابات «شتيرن» و«الهاجاناه» التى احتلت الأراضى الفلسطينية عام ١٩٤٨. وقد ظهرت ملامح هذه المخططات عندما اشتعلت الانتفاضة فى ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠؛ حيث قام قطيع من المستوطنين باحتلال عدد من القرى الفلسطينية بعد قطع المياه والكهرباء والتليفونات عنها، وعموماً فإن ظهور المستوطنين فى الشوارع بأسلحتهم الآلية قد أصبح من الصور المألوفة الآن وفى غضون الانتفاضة.

ويصور اليمين الصهيونى بزعامة الليكود المستوطنين على أنهم أبطال الصهيونية الذين يقومون بحماية دولتهم من الانهيار، خاصة فى مواجهة العلمانيين الذين يصدقون أوهام السلام ويتنازلون عن أراضى إسرائيل. كذلك يعتقد المستوطنون أنهم حماة الصهيونية واليهودية، وأنهم على استعداد لعمل أى شىء من أجل بقاء هذه الدولة.. رغم ذلك فإن المستوطنين فى مأزق حقيقى حيث يلاحقهم خطر الموت الذى تحمله الانتفاضة!

الانتفاضة وعرب ١٩٤٨ فى إسرائيل:

المقولة الأساسية فيما يتعلق بعرب ١٩٤٨ فى هذا الصدد هى أن الانتفاضة قد أدت إلى سقوط أسطورة الخط الأخضر الذى يفصل عرب ١٩٤٨ داخل إسرائيل عن إخوانهم فى باقى الأراضى الفلسطينية المحتلة، لقد وحدت الانتفاضة (كل الشعب الفلسطينى) تحت راية الجهاد من أجل الأقصى. هذه المقولة ليست مبالغة أو ليس مبالغاً فيها فقد شارك فلسطينيو ١٩٤٨ فى انتفاضة (الأقصى) على نحو أعطى هذه الانتفاضة أحد أبرز ملامحها المميزة وحتى نهاية نوفمبر الماضى قدم هؤلاء ثلاثة عشر شهيداً وهى حصيلة تفوق شهداء «يوم الأرض» فى مارس ١٩٧٦ وهو أبرز أحداث تاريخهم النضالى ضد إسرائيل. ويتضح من قراءة الأحداث أن مشاركة عرب ١٩٤٨ فى الانتفاضة جاءت مبكرة حيث تصدى عدد من نواب الكنيست العرب (عزمى بشارة وأحمد الطيبى وعبد الملك الدهامشة) لاقتحام «شارون» ساحة الأقصى وهو الحدث الذى يوصف بأنه السبب المباشر لاندلاع المواجهات. ولعل ذلك يعد امتداداً طبيعياً ومنطقياً أيضاً لدورهم الوطنى إزاء القضية الفلسطينية والصراع العربى -

الإسرائيلى إجمالاً، وليس مجرد الاكتفاء بالمطالبة بتحسين الظروف المعيشية لمليون فلسطينى يعيشون داخل إسرائيل. وكانت تصريحات «عزمى بشارة» المؤيدة للمقاومة اللبنانية وعمليات حزب الله منذ أكثر من عام مؤشراً واضحاً على تنامى هذا الدور الوطنى العام فى تحد واضح للدولة العبرية التى ظنت أنها تمكنت من انتزاع هويتهم!

الانتفاضة وجماعة السلام:

يرى المراقبون أنه بقدر نجاح الانتفاضة فى إفشال الرهان الإسرائيلى على استخدام القوة لفرض التسوية المنقوصة والسلام الإسرائيلى على العرب، بقدر نجاحها فى كشف وتعرية أكذوبة «معسكر السلام» داخل إسرائيل الذى طالما روج له حلفاء كوبنهاجن من جمعيات السلام العربية. ففى الأحداث الأخيرة، وقفت جماعات السلام كلها صفاً واحداً مع قادة الدبابات الإسرائيلية التى مارست القتل والتدمير، ولم تخرج مظاهرة واحدة كتلك التى شارك فيها حلفاء كوبنهاجن من العرب، ولم يرتفع صوت واحد من زعماء معسكر السلام الإسرائيلى، ابتداء من العجوز «يورى أفيرى» إلى ضابط الموساد «كيمحى» أحد زعماء كوبنهاجن. لقد ساندوا جميعاً - وفقاً لآراء أغلب المراقبين - قتل الفلسطينيين وإعادة احتلال أراضيهم وتدمير منازلهم لأن «أمن إسرائيل هو الأعلى» حسب تعبيرهم. باختصار لقد سقطت ورقة التوت الأخيرة عن جماعات السلام فى إسرائيل مع انتفاضة الأقصى!

وجدير بالذكر أن لهذا الموقف جذوره أو مقدماته، فقبل الانتفاضة عنت «القدس الموحدة» لدى جماعات السلام ودعاة التطبيع - شأنهم فى ذلك شأن بقية الإسرائيليين - القدس الشرقية والغربية معاً، كما عنت لديهم الهيمنة الكاملة على كل ما فيها من مقدسات يهودية ومسيحية وإسلامية بما فى ذلك المسجد الأقصى وقبة الصخرة!

لغة القوة!

والحقيقة أن هناك كتابات صحفية تحسب على معسكر السلام، ففى جريدة «معاريف» الصادرة فى ٢٠ أكتوبر الماضى كتب «حامى شيلو» يقول: «كل الخيارات مطروحة الآن،

ولن نحتاج إلى استطلاع للرأى لمعرفة أن الجمهور خائف وبائس،ولا مفر من الاعتراف بأن «باراك» قد فشل، فرغم الحالة السيئة التى كان عليها المواطن الإسرائيلى فى عهد «نيتنياهو»، إلا أن الأمور كانت مستقرة ولم يكن خطر الحرب يلوح فى الأفق». كذلك كتب «كوبى نيف» فى الـ «ها آرتس» يوم ١٢ أكتوبر يقول: «تعيد دولة إسرائيل إثبات حقيقة أنها لا تفهم غير لغة القوة، فكل ما رفضناه دوماً عندما كنا أقوياء أو اعتقدنا فى ذلك، قبلناه بعد ذلك فى ظروف أسوأ بكثير بعد أن تلقينا الضربات.. فقد أعدنا سيناء لمصر فقط بعد أن خسرنا فى حرب (يوم الغفران) - حرب (أكتوبر ١٩٧٣) - واعترفنا بمنظمة التحرير الفلسطينية وبالفلسطينيين فقط بعد أن استنزفتنا الانتفاضة، وانسحبنا من لبنان بعد أن أسال (حزب الله) دمنا هناك، وأخيراً أخلينا (قبر يوسف) بعد أن حاصره الفلسطينيون وقتلوا جنودنا هناك مرتين». ومن الواضح أن هذه الكتابات تعكس قدراً كبيراً من التشدد لا يستقيم معه الحديث عن جماعات سلام بأى معنى.

ويقرر البعض أن إحدى السمات الهامة الآن للمجتمع الإسرائيلى هى الانهيار الكامل لمعسكر السلام، فباستثناء صوت أو صوتين منعزلين، لم يعد لهذا المعسكر وجود فى الواقع. ولا يبدى سوى أشخاص قلائل فى إسرائيل الآن استعداداً للإعلان بأنهم لا يزالون مؤمنين بترتيبات سلمية مع الفلسطينيين. وبالفعل يعلن أعضاء سابقون فى معسكر السلام أنهم كانوا مخطئين فى العمل من أجل السلام مع الفلسطينيين، وأن «ليكود» كان على صواب بدعوته إلى تبنى موقف أكثرتشدداً. وعموماً فقد تحول المجتمع الإسرائيلى إلى اليمين وبشكل حاد، وترى الغالبية الساحقة فيه أن على إسرائيل أن تتخذ إجراءات أشد قسوة لقمع الانتفاضة!

قضية عودة اللاجئين فى الصحافة الإسرائيلية!

تثير قضية عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أرضهم جدلاً واسعاً فى أوساط المثقفين الإسرائيليين. وما هو لافت للنظر هو أن جميعهم، بقطع النظر عن تباين مواقفهم السياسية والأيديولوجية يعارضون بشدة عودة اللاجئين الفلسطينيين، معتبرين ذلك بمثابة «الموت» بالنسبة لإسرائيل. وفى نص حمل عنوان «العودة المستحيلة» كتب دافيد جروسمان الذى لفت

نصه الشهير (الزمن الأصفر) أنظار العالم بأسره إلى أوضاع اللاجئين الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة عند اندلاع الانتفاضة الأولى منتصف الثمانينيات يقول: «منذ ٥٤ عاماً، يطالب الفلسطينيون بحق العودة. مع ذلك يبدو أن الإسرائيليين لم يتبينوا خطر هذا الأمر إلا منذ وقت قصير. وثمة بينهم من يحس بالتمزق بين رغبتهم فى أن يصلحوا، تحت تأثير الواعز الأخلاقى، هذه المظلمة، وبين الخوف الذى يثيره فى نفوسهم مثل هذا الطلب، ذلك أن السؤال الذى يطرح نفسه هو: كيف يمكن التوفيق بين حق العودة هذا الذى يطالب به الفلسطينيون وبين التحديد المتعارف عليه لدولة إسرائيل كدولة يهودية؟» ومحدداً موقفه من هذه القضية، يضيف جروسمان قائلاً: «لنكن واضحين: بالنسبة لى، أعتقد أن قبول هذا المطلب الفلسطينى يمكن أن يكون خطراً على إسرائيل ليس فقط كدولة يهودية وإنما كهوية وطنية بالتأكيد، لابد أن تعترف إسرائيل بجزء من المسؤلية بتهجير الفلسطينيين عام ١٩٤٨، ذلك أن الجزء الآخر من المسؤلية يقع على عاتق الدول العربية التى حثتهم على ترك أراضيهم. ولابد أيضاً أن تسمح لبعض اللاجئين بالعودة لأسباب إنسانية وأن تدفع لهم التعويضات الضرورية. عليها أيضاً أن تعترف بـ «صلة» بعض اللاجئين بالأماكن التى اجتثوا منها، لكن بين «الصلة» و«الحق» هناك فرق شاسع. ومواصلاً توضيح موقفه يقول جروسمان: «هناك شىء أخشاه، إذا ما قبل مبدأ حق العودة فإن وضعاً جد معقد سوف ينتج عن ذلك، إذ أن مئات الآلاف من الفلسطينيين سوف يعودون لكى يعيشوا فى ظل دولة ظلوا على مدى سنوات طويلة يهددون بتدميرها. وحال عودتهم، سوف يكونون هم الغالبية والأهم فى بلد ناهضوا ثقافته ورموزه وطموحاته، هل هناك بلد آخر فى العالم يمكن أن يقبل عن طواعية وعن طيب خاطر عودة مثل هذا العدد الهائل من البشر؟ هل بإمكان إسرائيل التى هى الآن مجتمع جد هش، أن تتحمل هذا الوضع الانتحارى؟. ويختتم «دافيد جروسمان» كلامه قائلاً: «أعتقد من صميم القلب أن الإسرائيليين والفلسطينيين يمكن أن يقيموا بينهم علاقات حسن جوار وأن يداووا جراح الماضى لكن أعتقد أيضاً، وبصفاء مؤلم، أن ذلك يحتاج إلى كثير من الوقت، وإذا ما نحن نجحنا فى مداواة جراح الحرب تدريجياً، فإنه يمكن أن نبلغ فيما بعد وضعاً، تنخفض فيه حدة المشاعر القومية، وتصبح الحدود شكلية. بإمكان الإسرائيليين والفلسطينيين الذين يتشابهون فى جوانب عديدة أن يختلطوا عندئذ ببعضهم بطريقة عادية وطبيعية ليقدموا للعالم نموذجاً للتعايش السلمى.

وفى نص بعنوان: «حق عودة اللاجئين الفلسطينيين: إلغاء إسرائيل» عارض الكاتب الإسرائيلى «عاموس عوز» الذى يعتبر من أكبر وأشهر رموز حركة (السلام الآن) حق عودة اللاجئين الفلسطينيين بشدة معتبراً إياه: «إعداماً» لإسرائيل وكتب يقول: «الاعتراف بحق العودة بالنسبة إلى اللاجئين الفلسطينيين لا يفضى إلا إلى القضاء على حق الشعب اليهودى فى تقرير مصيره. محولاً إياه إلى أقلية أثنية تحت رحمة العرب»، «أقلية محمية» كما يتمنى ذلك المتطرفون المسلمون. إن الاعتراف بحق العودة بالنسبة إلى اللاجئين الفلسطينيين لا يعنى شيئاً آخر غير إلغاء إسرائيل». وناصحاً دعاة السلام فى إسرائيل الذين ينتسب إليهم، بتغيير مواقفهم، يضيف «عاموس عوز» قائلاً: «أمام تجذر المطالب الفلسطينية، لم يعد بإمكان دعاة السلام الإسرائيليين أن يزعموا أن الاحتلال الإسرائيلى للأراضى الفلسطينية هوالعقبة الوحيدة أمام السلام وعليهم فى هذه الحالة أن يغيروا مواقفهم لمواجهة الأوضاع الخطيرة الناجمة عن ذلك والتى تهدد وجود إسرائيل كدولة وكأمة»!

أما «إيلى فيزيل»، الحائز على جائزة (نوبل للسلام)، الذى يعتبر واحداً من أكبر رموز اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة الأمريكية، فيذهب إلى أبعد من ذلك، معتبراً أن القدس هى الرمز الأكبر للشعب اليهودى ولتاريخه، لذا فإن تسليم جزء منها للفلسطينيين هو بمثابة «الخيانة» لهذا الشعب، ولهذا التاريخ، وبعاطفة كاذبة ومصطنعة يكتب كـ «يهودى مستقر فى الولايات المتحدة الأمريكية: «كنت دائماً أتحاشى الخوض فى المسائل الداخلية لدولة إسرائيل ولأن لا أقاسمها المآسى التى واجهتها، ولست معرضاً للمخاطر التى تتهدد شعبها، بل حتى وجودها، فإنى لا أستطيع أن أعطى لنفسى الحق فى تقديم نصائح لها (..). مع ذلك أعتقد أن واجبى الأخلاقى هو أن أساعدها إذا ما كان ذلك ممكناً لكى تبلغ السعادة والاستقرار وأن أحبها فى الشقاء كما فى الفرح»!.. ويواصل «إيلى فيزيل» كلامه العاطفى الفج قائلاً: «لكن اليوم، يتحتم علىّ أن أتكلم لأن المسألة تخص القدس. إن مصير هذه المدينة لا يهم الإسرائيليين وحدهم وإنما جميع اليهود فى العالم، أن أكون مواطناً من مواطنى هذه المدينة لا يغير من الأمر شيئاً. إنه أمر ثانوى ذلك أن القدس تسكننى وهى مرتبطة ارتباطاً وثيقا بيهوديتى. وستظل فى قلب اهتماماتى وأحلامى». ويختم «إيلى فيزيل»

الذى يدعى أنه لا يسمح لنفسه بالتدخل فى شؤون إسرائيل الداخلية كلامه على النحو التالى: «الفلسطينيون يؤكدون على حق العودة بالنسبة لثلاثة ملايين منهم. بخصوص هذا الموضوع، أقول أن عودة مثل هذا العدد لا تعنى شيئاً آخر غير الانتحار لإسرائيل وهذا ما لا يمكن أن يقبله الإسرائيليون»!.

أميركا .. إسرائيل .. علاقة خاصة جداً
الخلفية التوراتية للعقل الأمريكى

السلام المفروض طبقا للمفهوم الأمريكى الصهيونى ـ هو استسلام للأطماع الإسرائيلية الأمريكية. فتصريح «كلينتون» بتنفيذ قرار الكونجرس الأمريكى بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس فى العشرين من يناير عام ٢٠٠١ يتوافق تماما مع سياسة الخداع الأمريكى اليومى فى منح الحكومات العربية «الوعود الزائفة» بحرصها على دعم ومواصلة مسيرة السلام!!.. بينما تؤكد الإدارة الأمريكية صراحة على دعمها لدولة العصابات الإسرائيلية. باعتبارها فوق القانون الدولى وقرارات الأمم المتحدة وميثاقها!

وقد أشار الرئيس الأمريكى الأسبق «رونالد ريجان» إلى علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بإسرائيل بأنها «أكثر من مجرد علاقة خاصة»!.. فقد كانت ولا تزال ـ علاقة فريدة ـ لايمكن تقويضها، متأصلة فى وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكى نفسه!.. هل نحن ـ بعد ذلك ـ فى حاجة إلى تفسير هذه «العلاقة الفريدة»؟ ولكن لنحاول أن نجمع ملامح صورة هذه العلاقة بكل أبعادها..

فمن المناسبات الهامة والمعروفة فى واشنطن، ما يعرف بـ «سبت التضامن مع إسرائيل» فى أكتوبر من كل عام، بأحد المعابد اليهودية الكبرى، يحضره لفيف من

الشخصيات البارزة، ومندوبون عن الأجهزة الإعلامية والمنظمات اليهودية والسفير الإسرائيلى وكبار الحاخامات، ويزدان المكان بالأعلام والرموز الإسرائيلية.. وتقام «صلاة فطور» من أجل نصرة شعب إسرائيل!!.. ويقدم للحاضرين تفاح ألصقت عليه «نجمة داود»!

ثم يصدر بيان، يتضمن دعوة إلى توثيق - التعاون الاستراتيجى - بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، ونداء إلى إله إسرائيل: الذى منح العالم — من خلال الشعب اليهودى — الكتب السماوية والخلاص والبركات، ومختارات من الكتاب المقدس، تتناول الحق — الإلهى — لليهود فى الأرض الموعودة، ووصية بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس لأن «حدود الأرض المقدسة التى رسمها الكتاب المقدس، لا يمكن أن تغيرها رمال المقتضيات السياسية والاقتصادية المتحركة»!

لاريب أن الكيان الصهيونى، مدين للولايات المتحدة: بإنشائه واستمراره وتوسعه، وهذه «العلاقة الفريدة» كما وصفها ريجان، جعلت من الإسرائيليين الأكثر حظوة ورعاية فى أمريكا، والفائز دوما بنصيب الأسد من الدعم السياسى والاقتصادى والعسكرى فى مختلف العهود!

ترى ما هى الأسباب التى جعلت من الولايات المتحدة، كبرى دول العالم وراعى النظام العالمى الجديد، تنساق فى هوى الحركة الصهيونية، وتفقد حاسة العدل والأنصاف التقليدية؟!

ولكن قبل أن نعرض للآراء المتباينة بشأن هذه القضية أذكر القارئ بقول «بريجنسكى» مستشار الأمن القومى فى عهد كارتر: «إن على العرب أن يفهموا: أن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية، لايمكن أن تكون متوازنة مع العلاقات الأمريكية العربية لأن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية، علاقات حميمة مبنية على التراث التاريخى والروحى، الذى يتعزز باستمرار، بفضل النشاط السياسى لليهود الأمريكيين، بينما العلاقات الأمريكية العربية لاتحتوى أياً من هذه العوامل»!

إذن فهذا «التحالف الشيطانى» يرجع إلى دوافع وأسس عميقة تضرب بجذورها فى «الخلفية التوراتية» للعقل الأمريكى!

فكثير من الأمريكيين، يرى فى قيام الدولة اليهودية «تحقيقا لنبوءة توراتية!» وبأن إسرائيل «ستستمر فى لعب دور مركزى فى القدر الإلهى»!

وما يحدث فى الصحف ومئات القنوات التليفزيونية والاذاعة، من برامج وإعلانات وبيانات «البركة لإسرائيل» و«بقاء إسرائيل حيوى لبقائنا» و«الإيمان بإسرائيل يعزز موقف أمريكا»وبرامج تأييد لإسرائيل» أفضل صديق لأمريكا فى ذلك الجزء من العالم «أنتجت» بأوامر واضحة من الرب!!

والتفسيرات العديدة لهذه العلاقة، نلخصها فى هذه الاتجاهات:

› أن هناك تماثلا بين الاستيطان الصهيونى فى فلسطين وعملية الاستيطان التى قام بها الأمريكيون الأوائل.

* الانتماء المشترك لقيم الحضارة الغربية.
* العداء المستحكم للعرب والمسلمين عامة، الضارب بجذوره فى العقل الجمعى الأوروبى، والمرتبط بذكريات الفتوحات الإسلامية لأوروبا والحروب الصليبية.
* سيطرة اللوبى الصهيونى على مقاليد الحكم ومفاتيح الإدارة الأمريكية، وسيطرته على الحياة الاقتصادية والإعلامية، والتحكم فى قرارات الكونجرس المتعاقبة تجاه قضية الصراع العربى ـ الإسرائيلى.
* الاعتبارات الاستراتيجية، على أساس من المصالح المتبادلة تجعل الولايات المتحدة تعتمد على إسرائيل فى تنفيذ مخططاتها فى المنطقة العربية.
* وأشهر وأقوى مجموعات الضغط السياسى فى «كابتول هيل» هى «اللجنة الأميركية الإسرائيلية للشئون العامة ـ إيباك».. التى اتسع نفوذها بشكل خطير، منذ منتصف السبعينيات على وجه التحديد، وأصبحت تتحكم بالفعل فى تصرفات وقرارات الكونجرس بشأن السياسة الشرق أوسطية، ويكاد جميع أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب، يعتبرون «إيباك» ذات قدرة سياسية هائلة، تتيح لهم فرص النجاح فى الانتخابات أو تقضى عليهم بالمرة!

ويرى البعض أن نفوذ إيباك يعد امتداداً للحكومة الإسرائيلية داخل نظام الحكم الأمريكى، والرئيس الأمريكى دائما يتلقى توجيهاتها إذا تعقدت الأمور بالنسبة لتسوية

وفى بعض الأحيان «يتفق البلدان على ألا يتفقا!» ففى الحالات التى تنشأ فعلا خلافات فى الرأى، فهى تنشأ من كون الولايات المتحدة بشكل عام هى دولة عظمى فوقية ذات مصالح عالمية متشابكة، فى حين أن المصلحة الإسرائيلية العليا كدولة صغيرة متواجدة فى منطقة غير مستقرة هى الحفاظ على أمنها وسيادتها الإقليمية.

وفى الوقت الذى تقوم فى الولايات المتحدة بتطوير علاقات دبلوماسية وسياسية مع إسرائيل، فإنها شاركت سائر دول الغرب فى حظر السلاح على الشرق الأوسط!.. إيماناً منها بأنها فى عملها هذا تساهم فى تخفيض حدة التوتر فى المنطقة إلى مدى بعيد!

فقد سعت إدارة الرئيس الأسبق ايزنهاور فى حينه إلى الحصول على مساندة الدول العربية لإبرام ميثاق دفاعى فى الشرق الأوسط بعد عام ١٩٥٢، متخلية بذلك عن - سياستها الموالية لإسرائيل - التى خططتها الإدارات السابقة ومع ذلك ففى نهاية عهد الرئيس ايزنهاور، وفى أعقاب خيبتها من سياسات الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، عادت العلاقات بين واشنطن و«القدس» فاقتربت أكثر، وفى عهد إدارة الرئيس كيندى، تغيرت السياسة الأمريكية ثانية بالنسبة لتجهيزات الأسلحة السابقة ورفعت قرار حظر السلاح.

ومنذ نهاية عهد الرئيس جونسون، فى نهاية الستينيات، ارتكزت الدبلوماسية الأمريكية على الالتزام - بحق إسرائيل - فى الوجود، فى إطار حدود آمنة ومعترف بها، يمكن تحقيقها من خلال مفاوضات مباشرة مع الدول العربية المجاورة لها، وتضمنت هذه السياسة، من هذا المنطلق - معارضة قيام دولة فلسطينية مستقلة - مع التأكيد والمساندة لمبدأ بقاء القدس مدينة موحدة. ومن منطلق إيمانها الراسخ بأن كون إسرائيل دولة قوية هو - شرط لازم لتحقيق السلام فى المنطقة! فقد تعهدت الولايات المتحدة بحصول إسرائيل على تفوق نوعى على جيوش الدول العربية.

ولهذا السبب فقد ساهمت خلال حكم الرئيس نيكسون والرئيس كارتر فى تحقيق اتفاقات فصل القوات بين إسرائيل ومصر وإسرائيل وسوريا (١٩٧٣ - ١٩٧٤) واتفاقيتى كامب داڤيد (١٩٧٨) ومعاهدة السلام بين إسرائيل ومصر (١٩٧٩).

خلال عهد الرئيس ريجان، لم تزدهر العلاقات بين البلدين فحسب، بل شملت

الصراع، حتى أن «ستيفن روزنفيلد» المعلق السياسى بصحيفة «واشنطن بوست» وصفها بأنها «القوة السياسية اليهودية الرئيسية فى أميركا اليوم»!

وتوجه إيباك، والجمعيات والمنظمات اليهودية، اهتماماً خاصاً بالمعاهد والجامعات ومؤسسات البحوث العلمية الأمريكية وبسط نفوذها على البرامج الأكاديمية المتعلقة بالشرق الأوسط، كما وضعت إيباك برنامجا شمل جميع المؤسسات العلمية الأمريكية، بعنوان: «تنمية القيادة السياسية بالتدريب على أساليب مضاعفة النفوذ المؤيد لإسرائيل»!.. وتنظيم احتفالات صاخبة فى الجامعات، فى الربيع من كل عام، بمناسبة عيد استقلال إسرائيل»!

أيضاً هذا اللوبى الصهيونى، لم يقتصر دوره على توجيه الإدارة الأمريكية، لاتخاذ القرارات التى تدعم سياسة وأمن إسرائيل، بل تعداه إلى إلزام الإدارة الأمريكية بالامتناع عن تنفيذ أى قرار دولى، لا ترضى عنه إسرائيل، أو عندما تفكر هيئة الأمم المتحدة فى مجرد «إدانة شكلية» لجرائم الحكومة الإسرائيلية!

ولكن ماذا يقول الإسرائيليون بشأن تلك «العلاقة الفريدة»..؟

هذا ما سنستعرضه فى السطور التالية، من خلال إحدى مطبوعات مركز «الإعلام الإسرائيلى بالقدس» تلخص تاريخ هذه العلاقة وتوجهاتها ومعطياتها، تحت عنوان: «إسرائيل بين الشعوب»..

إسرائيل ـ الولايات المتحدة:

«بعد الإعلان عن إقامة دولة إسرائيل، بإحدى عشرة دقيقة، أعلن البيت الأبيض الأمريكى أن الرئيس «هارى س. ترومان» قد بعث باعترافه بالدولة الجديدة.

فكانت هذه البادرة، بداية العلاقات المرتكزة على ـ القيم المشتركة والمتسمة بصداقة عميقة الجذور والاحترام المتبادل ـ ذلك أن البلدين يؤمنان إيمانا عميقا بالديمقراطية، ويربط جهازهما القضائى ارتباطا وثيقا بتراث مشترك من الحرية والليبرالية، إذ أن مجتمع كل من البلدين هو مجتمع طليعى، وكلاهما مازالا يستقبلان مهاجرين جددا لدمجهم فى المجتمع.

ترتبت عليها تنسيقات عملية واسعة النطاق فى المجالين العسكرى والمدنى، وتم إرساء هذا الإطار من التعاون المتبادل، فى مذكرة أوسع وأشمل، جرى التوقيع عليها عشية الاحتفال بعيد استقلال إسرائيل الأربعين (١٩٨٨) . كذلك أيدت إدارة الرئيس بوش مبادرة السلام (مايو ١٩٨٩) ومهدت السبيل لتقدمها والدفع بها إلى الأمام.

إن مختلف الإدارات الأمريكية، قد أكدت وحددت استمرار تعميق الصداقة بين إسرائيل والولايات المتحدة، بتعابير تتروح بين الحفاظ على إسرائيل كـ «ذخر جوهرى نفيس»! بالنسبة لسياسة الخارجية الأمريكية، مع التأكيد على علاقات خاصة بين البلدين، وبين الإعلان عن الالتزام الأمريكى بالنسبة لأمن إسرائيل.

ومنذ بداية الثمانينات، اعتبرت الولايات المتحدة إسرائيل «ذخراً استراتيجياً» ثم اختيرت (١٩٨٧) بناء على تشريع خاص تم التصديق عليه «أكبر حليفة من بين الدول غير الأعضاء فى حلف الأطلسى»!

وهذه «العلاقات الخاص» تشمل مصالح اقتصادية وسياسية وإستراتيجية ودبلوماسية متبادلة بين البلدين. وتتلقى إسرائيل باستمرار ثلاثة مليارات دولار تقريبا كمساعدات أمنية واقتصادية كل سنة. كما اتسع نطاق التبادل التجارى بين البلدين، إثر التوقيع على اتفاقية المنطقة التجارية الحرة بين الولايات المتحدة وإسرائيل (١٩٨٥) وكذلك اتسع تأسيس المشاريع الصناعية المشتركة والمتكاملة بين شركات إسرائيلية وأمريكية، وشرع فى توقيع اتفاقيات بين إسرائيل وكل ولاية من الولايات المتحدة، تتناول نشاطات تتروح بين الثقافة والزراعة.

وتقف الولايات المتحدة عادة إلى جانب إسرائيل فى المجالات الدولية «للحيلولة دون المحاولات التى تقوم بها الأمم المتحدة والمؤسسات التابعة لها لاتخاذ قرارات مناهضة لإسرائيل»!!

وتتعاون الدولتان فى سبيل الحفاظ على مصالحهما المشتركة فى تبادل المعلومات الاستخبارية والعسكرية، وكذلك فى «نضالهما ضد الإرهاب الدولى»! وفى الآونة الأخيرة،

تقومان بحملات مشتركة ضد المخدرات وتقوم الطائفة اليهودية، وقطاعات واسعة من المجتمع الأمريكى بدعم الصداقة بين البلدين!».

تلك كانت وجهة النظر الإسرائيلية تجاه العلاقات الخاصة، بكل ما تحمله من ادعاءات زائفة: كالإيمان العميق بالديمقراطية و«تراث مشترك من الحرية»!.. والإشارة إلى تواجد إسرائيل فى «منطقة غير مستقرة»!.. فمن الذى جعلها غير مستقرة!! وتعهد الولايات المتحدة، بدعمهما غير المحدود، بحصول إسرائيل على «تفوق نوعى» والالتزام الأمريكى بالحفاظ على «أمن إسرائيل»!.. لأنها «ذخر جوهرى نفيس» هكذا..! والكذب فى قيمة «المساعدات الأمنية والاقتصادية فهى فى الحقيقة تتجاوز ١٢ مليار دولار سنويا!.. والخطوط العريضة لهذه الرؤية فى مجملها، كانت صريحة، إلى حد التبجح، فى الإشارة لدور الولايات المتحدة فى المحافل الدولية، للحيلولة دون اتخاذ «قرارات مناهضة لإسرائيل»!

وبعد.. إننا لابد أن نكون صادقين مع أنفسنا فى تحديد مسئولية الحكام العرب عن نكبة فلسطين وما نتج عنها من مآسٍ وكوارث.. وما يحدث حاليا من محاولات وأد قضية فلسطين بطريق المعاهدات والاتفاقيات ـ أمريكية الصنع ـ فالرد عليه بأن قضية فلسطين ستظل حية عند ذوى الضمائر فقط، وفى ساحة النضال، وستظل حية، عصية على الإعدام، عصية على الوأد.. كما ستظل إسرائيل الدولة العدوة، ولابدّ من إزاحة وهم «التسويات السلمية».. وقيام العرب بواجبهم فى دفن «الأحلام التوراتية» للصهاينة من حاخامات وجنرالات!!.

أميركا.. ليست قدرنا!!

إننا ندرك أن نتيجة «اللعبة الدائرة» الآن فى المنطقة تتوقف على القدرات والمناورات المتوافرة لجميع اللاعبين! والمنطق يفرض موقفاً موحداً واضحاً وصريحاً.. إننا لا نريد أن نستمع إلى خطط أو إجراءات أو مقترحات أمريكية جديدة.. لقد وثق العرب كثيرا بالولايات المتحدة ووضعوها حكما فى الصراع مع أنها الخصم الحقيقى!.. واستغلت واشنطن هذه الثقة اللامتناهية، وواصلت تحدياتها للأمة العربية، ولعله قد بات واضحا أن الإدارة الأمريكية

غير معنية بإحلال السلام فى المنطقة العربية، ولن تعيد تقييم سياستها التى تتجاهل حقائق الصراع وجوهره.. والموقف الأمريكى لن يتغير ما لم تتخذ الأنظمة العربية كلها موقفا حازماً من الإدارة الأمريكية اعتماداً على القوة والقدرات الذاتية، واستناداً إلى وجود مصالح أمريكية ضخمة فى وطننا العربى إذا ما وضعت فى «دائرة الخطر الجدى»!

وبالرغم من أن أمريكا على رأس «النظام العالمى الجديد».. إلا أنها ليست قدرا لأى شعب يؤمن بقضيته فى مواجهة المؤامرات الأمريكية الصهيونية المفضوحة الأهداف.. والقرار الأمريكى لن يكون قدرا للشعب الفلسطينى وللشعوب العربية عامة، بالرغم من واقعنا العربى البائس المؤلم العاجز المتردى المهان!

المندوب السامى.. لإسرائيل!

القضايا المؤجلة ـ مثل القدس ـ التى ظلت سنوات طويلة خارج دائرة النقاش ـ ومن المحظورات ـ صارت أخيرا مطروحة على مائدة المفاوضات للأخذ والرد، ويعتبر ذلك فى حد ذاته تقدما ويمكن البناء عليه فى جولات تفاوض أخرى بين الطرفين، غير أن الرئيس كلينتون كان متعجلاً ومتلهفاً للتوصل إلى اتفاق شبيه بكامب ديفيد الأولى.. ولذلك مارس أقصى الضغوط على ياسر عرفات لكى يقدم التنازلات بالنسبة للسيادة الإسرائيلية على القدس الشرقية، رغم أن مدينة القدس بموجب قرار مجلس الأمن ٢٤٢ جزء من أراضى الضفة ويلزم الانسحاب الإسرائيلى منها..!

لقد حاول كلينتون أن يختم سنواته الثمانية فى الرئاسة بإنجاز سياسى كبير ـ مثل ما فعل كارتر من قبل ـ لكى يمحو العار الذى لحق به من فضيحة مونيكا، ولكى يخرج زعيما تاريخياً من البيت الأبيض، ولذلك ذهب إلى كامب ديفيد معه عرفات وباراك، ولكن بعد أربعة عشر يوماً من التفاوض الشاق خسر الجولة ولم يحقق الهدف الذى كان يريده فى الفترة الباقية للبطة العرجاء!

وكما تردد فإن الرئيس عرفات لم يكن يرغب فى الذهاب إلى كامب ديفيد، قبل التحضير الجيد. ولكنه شارك فى القمة بإلحاح من الرئيس كلينتون والذى كان مقتنعاً بالعرض الذى يحمله باراك رئيس الوزراء الإسرائيلى، ولم يكن عرفات يضع فى حسابه

طرح موضوع القدس وموضوع اللاجئين فى القمة، وكان يركز على بحث موضوعات المرحلة الانتقالية المؤجلة، ولذا اتفق عرفات مع الرئيس مبارك ـ قبل أن يتوجه إلى كامب ديفيد ـ على أن تقوم مصر باتصالات لعقد قمة عربية مصغرة لتحديد موقف عربى موحد فى قضية القدس، ولذلك لم يأخذ عرفات مع الملفات الخاصة بقضايا المرحلة النهائية ـ القدس واللاجئين الفلسطينيين ـ ولم يصحب بالتالى المفاوضين المسئولين عنها!

ولكن فوجئ عرفات فى كامب ديفيد بالعرض الذى طرحه باراك: بأن تنتهى المفاوضات بإعلان إنهاء النزاع الفلسطينى ـ الإسرائيلى مقابل الموافقة على إعلان الدولة الفلسطينية .. وبدا واضحا أن باراك يريد القفز إلى الحل النهائى، ولكن إعلان إنهاء النزاع يقتضى التوصل إلى حل قضية القدس وقضية اللاجئين، وهكذا تم فتح الملفات الصعبة المؤجلة.. وبعد سبعة أيام فى كامب ديڤيد انضم المسئولون عن القضيتين إلى الوفد الفلسطينى.. وطرح المشروع الإسرائيلى الذى يقترح تقسيم القدس إلى ثلاث مناطق: منطقة تحت السيادة الفلسطينية وتضم بعض الأحياء العربية، ومنطقة تحت السيادة المشتركة، ومنطقة تحت السيادة الإسرائيلية الكاملة مع عزل الحى القديم بالقدس بما فيها الأماكن المقدسة!!

إذن هل كان مطلوباً من مبارك أن يضغط على عرفات لكى يقدم تنازلات أو يساوم فى الحق التاريخى والسيادة العربية على القدس؟

وهل كان مطلوبا من مصر أن تفرط فيما يخص العرب والمسلمين والمسيحيين؟

لذا فقد أخطأ الرئيس كلينتون عندما ألقى اللوم على الرئيس عرفات وحمله مسئولية الفشل فى كامب ديفيد، وعندما هدد الفلسطينيين بإعادة النظر فى المساعدات الأمريكية وقدرها ٤٠٠ مليون دولار، إذا ما أقدم عرفات على إعلان الدولة الفلسطينية من جانب واحد.. وكما لوح بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس!

أخطأ كلينتون عندما لوح بالتحذير للمفاوض الفلسطينى وبسياسة «العصا والجزرة»..!

والتصريح الخطير الذى أدلى به كلينتون للتليفزيون الإسرائيلى فى الثامن والعشرين من شهر يوليو أو فى حديثه لإحدى محطات التليفزيون الأمريكية، كلها تصب فى صالح إسرائيل وموالاتها!

وهكذا وضحت الصورة وأبى كلينتون إلا أن يختم أيامه فى البيت الأبيض بفعل خسيس!.. عندما أعطى الضوء الأخضر بتنفيذ نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس فى العشرين من يناير ٢٠٠١ تضامنا مع حليفته إسرائيل، وكأنما عز على كلينتون أن يمضى دون أن يحقق لإسرائيل ما تريد وهو تنفيذ مشروع قانون كان الكونجرس قد أقره منذ نحو خمس سنوات وألغى كلينتون تنفيذه وقتئذ. اليوم يسعى لإرضاء إسرائيل بتنفيذ ما أقره الكونجرس. ولايخفى فإن تنفيذ ذلك يشكل نصراً مادياً ومعنوياً لإسرائيل خاصة بالنسبة إلى موقفها حيال القدس، فنقل السفارة الأمريكية يعنى اعترافاً موثقاً بأن القدس عاصمة إسرائيل ويعنى أن التحرك الأمريكى سيتبعه تحرك دول أخرى. وكانت قمة كامب ديفيد الأخيرة ١١ ـ ٢٥ يوليو ٢٠٠٠ قد أسفرت عن اعتراف أمريكى بأحقية إسرائيل فى القدس التى نظر إليها بوصفها القضية الكأداء التى تحول دون التوصل إلى اتفاقية بين إسرائيل والفلسطينيين وكأن كلينتون بذلك قد حسم الموقف لصالح إسرائيل فى الوقت الذى تعمد فيه سحب البساط من تحت أقدام الفلسطينيين وإهالة التراب على حقهم الدستورى والقانونى فى إعلان دولتهم من منطلق حق تقرير المصير وذلك عندما وجه إليهم تحذيرا شديد اللهجة بثه عبر التليفزيون الإسرائيلى هى التى تتحدث!!

كان الرجل يمثل دور «المندوب السامى لإسرائيل» والمتحدث باسمها والمنادى بمطالبها وشروطها، من أجل إسرائيل صادر كلينتون حق الفلسطينيين فى أن تكون لهم دولة مستقلة.. ومن أجل إسرائيل أطاح كلينتون بالشرعية الدولية وداس على قرارات مجلس الأمن ونسف كل الاتفاقات التى أبرمت بين الفلسطينيين وإسرائيل وأولها اتفاق أوسلو الذى تم التوقيع عليه فى البيت الأبيض وبرعاية أمريكية، والذى ينص على حق الفلسطينيين فى إعلان دولتهم، ضرب كلينتون صفحاً بوعوده لعرفات العام الماضى عندما أقدم عرفات على إعلان الدولة فى الرابع من مايو ٩٩، فقد طلب منه كلينتون إرجاءها لمدة عام واحد، وأقر له يومها بأحقية الفلسطينيين فى إعلان كيان لهم وتقرير مصيرهم، وبدلا من أن يفى بوعده استخدم أسلوب ابتزازه الرخيص الذى لا يلجأ إليه مأجور أو بلطجى يقف على ناصية الطريق ومضى يهدد الفلسطينيين بأوخم العواقب وأولها قطع المعونة الأمريكية عنهم وهذه مجرد بداية!

إن من المفروض على الولايات المتحدة الأمريكية كدولة راعية لعملية السلام في الشرق الأوسط أن تكون محايدة بين طرفي النزاع وغير منحازة لطرف من أطرافه ضد مصلحة الطرف الآخر!

والفارق بين الجانب الفلسطيني والجانب الإسرائيلي أن الأول يطالب بحقوق اغتصبها الثاني ويساومه عليها، ومع ذلك نجد أنه بين الحين والآخر تخرج علينا الإدارة الأمريكية ببعض التصريحات غير المدروسة وتدعى أنها بغرض إتمام عملية السلام في الشرق الأوسط!!

وفي مفاوضات كامب ديفيد الثانية كان أقصى ما اقترحه باراك على الفلسطينيين بشأن القدس هو تسليم أحياء داخل المدينة إلى جانب أبوديس والعيذرية والرام بضواحي المدينة. وهذه الأحياء هي بيت حيفا وكفر عقب في الشمال والولجة في الجنوب وقيل أيضا أن هناك صيغة إسرائيلية على غرار اتفاق غزة أريحا أولا الذي ظهر في عام ١٩٩٣ والصيغة تقول «شعفاط ـ بيت حيفا أولا» من خلالها تنتقل صلاحيات بلدية القدس التي تسيطر عليها إسرائيل إلى السلطة الفلسطينية، على أن تحتفظ إسرائيل بسيطرتها وسيادتها العسكرية والأمنية!

تسعى إسرائيل من وراء ذلك إلى أن تكون هناك إدارة مدنية فلسطينية محدودة ـ غير سياسية ـ إدارة تحت سيطرة عسكرية إسرائيلية!

وقيل أيضاً أن أقصى تنازل لإسرائيل كان السماح بوجود نائب فلسطيني لرئيس بلدية القدس «اليهودي»!!

كل المقترحات والصيغ الإسرائيلية لاتخرج عن حقيقة واحدة وهي أن تظل القدس بأكملها تحت سيطرة إسرائيل فعليا وأن تستمر الحفائر أسفل الحائط الجنوبي للمسجد الأقصى بحثا عن الهيكل!

وللأسف الشديد.. لايوجد حتى الآن سوى صوت واحد لصالح إسرائيل، مقابل بقية أصوات المجتمع الدولي التي تقر بأن القدس الشرقية أرض محتلة، صوت واحد يؤيد إسرائيل هو صوت الولايات المتحدة، ولأن بقية أصوات المجتمع الدولي تبدو حتى الآن بلا فعالية،

فصوت أمريكا يكفى إسرائيل.. أمريكا منذ قيام الدولة اليهودية أنفقت على إسرائيل بالأرقام الرسمية ما يقرب من مائة مليار دولار، وهناك تقرير صادر من واشنطن يقول أنه منذ عام ١٩٤٩ إلى ١٩٩٩، أى على مدى نصف قرن قدمت لإسرائيل معونات قيمتها ٩٢ مليار دولار ،أهناك تدليل أكثر من ذلك؟، لقد خرج كلينتون والذين على شاكلته يلمحون من جديد إلى نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، وهو أمر ضد الشرعية الدولية.. العالم كله لايعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل.. وأهم موقف فى المجتمع الدولى الآن هو صوت الفاتيكان القوى، صوت لايعترف بالقدس الشرقية ولا حتى القدس الغربية عاصمة لإسرائيل، بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثانى أكد فى بيان أخير أن القدس يجب أن تتمتع بوضع خاص وضمانات دولية، وأن الوضع الخاص والضمانات الدولية كما يراها الكرسى البابوى هى وحدها القادرة على حماية الأجزاء الأكثر قدسية فى المدينة المقدسة وضمان حرية المعتقدات وممارسة الشعائر الدينية لجميع المؤمنين فى المنطقة والعالم أجمع الذين يتطلعون إلى القدس كملتقى للسلام والعيش المشترك.

وكان من المفارقات التى تثير الدهشة أو لعلها لم تعد كذلك ـ أن نرى رجال أعمال عرباً من بعض دول الخليج يسارعون ويكونون شركة للاستثمار العقارى لشراء منازل العرب الفلسطينيين وإعادة بيعها إلى الإسرائيليين!!

قالت بعض المصادر الإسرائيلية أن هذه الشركة تعرض أسعاراً مرتفعة للغاية لهذه المنازل لإغراء ملاكها الفلسطينيين على بيعها بالتعاون مع ثلاث منظمات صهيونية متطرفة! المسألة إذن فى غاية الخطورة.. فانتبهوا يا عرب قبل أن يداهمكم الطوفان الإسرائيلى وهل نسيتم ما قاله (بن جوريون) مؤسس الدولة اليهودية عندما أعلن فى اليوم الثالث من حرب ١٩٥٦ فى الكنيست باستعادة مملكة داود وسليمان بحدودها التورتية!!

أرض إسرائيل يا عرب من وجهة نظرهم يجب أن تشمل أى أرض حكمها فى الزمن القديم حاكم يهودى أو وعد بها الرب إسرائيل.. والخوف كل الخوف من أن يأتى اليوم الذى يقنع فيه الحكام العرب أو الشعوب العربية بالتنازل عن الأرض مقابل منافع تضيفها الدولة اليهودية عليهم!!

إسرائيل يا عرب تعمل جاهدة بشتى الطرق والأساليب الشيطانية لتكون هى الدولة العظمى فى المنطقة عسكرياً وسياسياً واقتصادياً فى المستقبل!! انتبهوا يا عرب لاحتمالات المستقبل. فهناك أمور كثيرة بالغة الأهمية تخطط لها إسرائيل وتساعدها أمريكا ويقف بجانبها الغرب يؤازرها ويساندها.. لاتغرنكم الابتسامات المصطنعة ولا الأحضان الدافئة فالمسألة أبعد وأكبر مما تتصورون.. إسرائيل تخطط للمدى البعيد.. اقرأوا بروتوكولات حكماء صهيون لتعرفوا وتتأكدوا من أبعاد هذا المخطط الصهيونى الخطير!!

للأسف الشديد لا نملك حتى الآن سوى الشجب والاستنكار، علما بأن هناك لجنة على مستوى رفيع تسمى «لجنة القدس» منبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامى التى تمثل أكبر تجمع للدول الإسلامية، فماذا قدمت أو ستقدم هذه اللجنة لإنقاذ القدس الشريف؟!

إن القدس حق تاريخى وجغرافى للعرب وللمسلمين شاءت إسرائيل أم أبت، ولكن للأسف الشديد.. لا ندافع عن هذا الحق سوى بالأقلام والميكروفونات والمؤتمرات وهذا ما يسعد إسرائيل. فقد تركت لنا الصراخ والبكاء والعويل والفرقة والشتات ـ وراحت تفعل ما يحلو لها فى الأرض المقدسة، حتى باتت «قدس» ما قبل ٦٧ غير «قدس» عام ٢٠٠٠ وإذا استمر الحال كما هو عليه فالأجيال القادمة من أبنائنا ستخجل من الحديث عن تاريخ أجدادها وستصب على قبورهم اللعنات لما فعلوه فى موطن أولى القبلتين وثالث الحرمين!

وقائع ماحدث فى كامب دافيد الثانية:

أسوأ ما فى خبرة العرب التفاوضية، هى تلك السذاجة، أو الغفلة التى تدفعهم كل مرة للاعتماد على الولايات المتحدة الأمريكية، اعتماداً كلياً، وللمراهنة على التناقضات الثانوية بين الإدارة الأمريكية، أو بين الإدارات الإسرائيلية، أو بين الإدارتين باعتبار ذلك المصدر الرئيسى لقوتهم التفاوضية ، بدلا من الاعتماد أساسا ـ على قوتهم الذاتية ـ ثم على توسيع نطاق اللعب على التناقضات الدولية بما يؤدى إلى تقوية وتمتين موقفهم التفاوضى.

وكان الرئيس الراحل «أنور السادات» هو الذى بدأ السير فى هذا الطريق الشائك، حين رفع شعار أن ٩٠٪ من أوراق الصراع العربى الإسرائيلى فى يد الولايات المتحدة الأمريكية،

وسعى لتغيير تحالفات مصر الدولية فى محاولة لإغواء الأمريكيين بأن يستخدموا هذه الـ ٩٠ ٪ من أوراق اللعب، بشكل توهم أنه يمكن أن يكون منصفا، بما يؤدى إلى مقايضة إسرائيل بالأرض التى احتلتها عام ١٩٦٧، ولم يضع أحد الذين رسموا هذه الاستراتيجية الخائبة، فى اعتباره حقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية، التزمت منذ عام ١٩٧٥ على الأقل بألا تقبل تسوية للصراع لاتقبلها إسرائيل..

وبذلك كله طارت المظلة الدولية التى افترض قرارا مجلس الأمن ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧، ٣٣٨ لسنة ١٩٧٣ أن يتم التفاوض فى إطارهما، حول مبادلة الأرض التى احتلتها إسرائيل فى عدوان ١٩٦٧، بقرار عربى بإنهاء حالة الحرب.

ومن نص محضر اجتماع الرئيس كلينتون مع الوفدين الفلسطينى والإسرائيلى فى كامب ديفيد الثانية بعد التحسينات فى ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٠، يتضح أن كلينتون كتب بالإنجليزية ماكتبه إيهود باراك بالعبرية. ولا فرق بين الموقف الأمريكى والإسرائيلى. ونقطة البدء عندهما هى الابتعاد عن الأمم المتحدة وقراراتها، لأن تفسير كلينتون لعودة اللاجئين طبقاً للقرار ١٩٨ لايعنى التنفيذ ونقطة البدء عند كلينتون وباراك هى تأكيد الحفاظ على الطابع اليهودى للدولة العبرية. وعودة اللاجئين قد تزيد عدد العرب داخل إسرائيل. وأقصى ما جادت به قريحة كلينتون هو عودة اللاجئين إلى الدولة الفلسطينية مع شرط إضافى هو نزع سلاح هذه الدولة، ومعنى ذلك أن تبقى إسرائيل مأوى لكل يهودى فى العالم، لأن إسرائيل ليست دولة يهودية فقط ولكنها دولة اليهود جميعاً. ومعنى هذا الموقف حرام على أصحاب الأرض العودة إلى بيوتهم بغض النظر عن القرار ١٩٨، وحلال على أى يهودى فى العالم الهجرة إلى أرض الميعاد.

ومع أن الحلال واضح والحرام أوضح فى القرار ١٩٨، تأسيسا على مبدأ عدم جواز الاستيلاء على أراضى الغير بالقوة، وتحريم طرد السكان من الأرض المحتلة، لكن يبدو أن مقياس الحلال والحرام بعيدة عن مقاييس الرئيس كلينتون فى كل شىء. وقد تكون قضية اللاجئين الأكثر تعقيداً، ولكن قضية القدس هى الأكثر حساسية. ولم يقدم كلينتون فيهما سوى إعادة صياغة ركيكة لفكرة ظالمة. وهى أيضاً غريبة ومضحكة فقد عاد كلينتون بفكرة

باراك بالتفرقة بين السيادة على السماء، والسيادة تحت الأرض، أو السيادة فوق الأرض، والسيادة تحتها . مع أن القرار ٢٤٢ ليس فيه أى غموض يبيح الاجتهاد. والقدس أرض عربية احتلتها إسرائيل بالحرب والقوة.

قال الاقتراح الامريكى إنه «لامساس بالتكوين الديمجرافى أو السكانى لإسرائيل» على أن يتم تعويض اللاجئين الفلسطينيين دوليا أى تجمع التعويضات من كل الدول الأخرى.

وحتى تبدى إسرائيل حسن النية يكتفى بمبدأ عودة اللاجئين على أساس «لم شمل العائلات».. ويعنى ذلك عمليا أن يعود بضعة آلاف وان يعوض عدة ملايين.. وهكذا يكون الاقتراح الأمريكى للراعى الأمريكى حلا إسرائيليا لايكلف إسرائيل شيكلا واحداً، لأن التعويضات من دول العالم والعودة تقتصر على بضعة آلاف فقط وليس لداخل إسرائيل نفسها.

وهذا الاقتراح الأمريكى فيه شطارة وتجارة، لأنه ينقذ إسرائيل من تنفيذ قرار عودة اللاجئين أولا، وهو قرار دولى وشرعى.. ويعفيها أيضاً من التعويضات لأن أهل الخير كثيرون فى أنحاء العالم. والخطير فى هذا الاقتراح الأمريكى أن يمنع أصحاب الحق أن استرداد حقوقهم تنفيذاً لقرارات الأمم المتحدة وأصحاب الحق من أرضهم بعد ٤٨، ٦٧.. وهذا الاقتراح الأمريكى حين نص على عدم المساس بالتكوين الديمجرافى لإسرائيل، يعنى أن يزداد عدد اليهود باستمرار الهجرة اليهودية من الخارج كما حدث مع اليهود السوفييت.. وبهذا تنطبق النظرية الاستعمارية بطرد أصحاب الأرض ومنع عودتهم، وجلب مزيد من المهاجرين من اليهود فى الخارج، وتتحكم فى ذلك نظرية عنصرية دينية وتزعم أن الدولة اليهودية دولة نقية حسب تعبيرهم أى لليهود فقط. وهى أيضاً دولة يهود العالم كله، وكل يهودى يصل إلى مطار بن جوريون أو ميناء حيفا يصبح مواطناً إسرائيلياً!

ولهذا كانت قضية عودة اللاجئين الفلسطينيين لا تقل أهمية عن قضية القدس!

وتصرفات الرئيس الأمريكى «كلينتون» فى كامب دافيد الثانية - وغيرها - ستظل محفورة فى ذاكرة الصراع العربى - الإسرائيلى، وقد حصر د. أحمد صدقى الدجانى نماذج منها:

* الأنموذج الأول ماقاله فى حفل فى البيت الأبيض ونشرته جريدة أوتاوا سيتزن الكندية ونقلته وكالات الأنباء يوم السبت ٢/١٢/٢٠٠٠، لقد قلت لياسر عرفات: ثق بى أنا لست يهوديا واقترحت عليه أن يرفع المسجد الأقصى من مكانه ليتمكن اليهود من الوصول إلى بقايا هيكل سليمان الموجودة أسفله، ثم قلت له وسيصبح الموقع مقصد السياح الأكثر مردوداً فى التاريخ!... فى تحليل هذا التصرف نجد أنفسنا أمام رئيس أمريكى ليس يهودياً مقتنع بمزاعم الصهاينة عن وجود هيكل سليمان أسفل بناء المسجد الأقصى وبشعار الصهيونية، الواقع الخطير إعادة بناء الهيكل الذى رفعته حين احتلت بريطانيا فلسطين ودخل «اللنبى» القـدس، وهذا الرجل يتـجـرأ أن يطرح على رئيس منظمـة التـحـرير الفلسطينية نقل الحرم القدسى ثالث الحرمين الشريفين من مكانه بهدف تمكين الصهاينة من تثبيت مزاعمهم التى لم يقل بها أحد سواهم.. وهو يسوق فى محاولة الإقناع المردود الهائل الذى سيأتى من السياح، والمردود المقصود «مادى» يقاس بالدولار الذى هو المعيار الأساسى للنجاح فى الحياة الأمريكية، كما لاحظ أخيرا المسئول عن حقوق الإنسان فى الاتحاد الأوروبى حين سئل لماذا ميثاق حقوق إنسان أوروبى فأوضح - كما جاء فى أحد أعداد الأهرام فى شهر نوفمبر ٢٠٠٠ - أن بعض القيم الأوروبية تختلف عن بعض قيم الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يمكن للمرء هناك أن يبيع أى شىء حتى أعضاء جسمه.

ما نستخلصه من هذا النموذج أن كلينتون وهو ليس يهوديا هو فى الوقت نفسه أسير المزاعم الصهيونية ، جاهل بمكانة المقدسات الإسلامية والمسيحية فى القدس وفلسطين، ومعياره هو المردود المادى السياحى!

* الأنموذج الثانى من تصرفات الرئيس الأمريكى بيل كلينتون نقله الصحفى الأمريكى دانييل كليدمان ونشره فى الأسبوع الأخير من شهر نوفمبر تشرين الثانى (٢٠٠٠) فى مجلة نيوزويك الامريكية الصهيونية.

لم يكن ياسر عرفات فى مزاج مناسب للتعرض لعملية لى ذراع رئاسى يقوم به بيل كلينتون الذى حاول أن يكسر الحاجز ويطرح على عرفات أفكاراً حول كيفية معالجة المسألة الشائكة مصير القدس. كان عرفات يخط بقلمه فى دفتره فقام كلينتون وهو ينظر إليه من

فوق نظارته بطرح مسألة «جبل الهيكل» الموقع الذى مساحته خمسة وثلاثين فدانا ويحتوى على مقدسات للمسلمين واليهود، واقترح كلينتون أن يعطى الفلسطينيون «رعاية» Curtody مايسمونه الحرم الشريف What theycall the Haram el sharif بينما سوف تبقى السيادة فى أيدى الإسرائيليين While Soverinty woud ramain in the hands of the Israelis .

وضع عرفات قلمه ونظر إلى كلينتون محذرا هذه المجادلات تفجيرية وسوف تشعل نيرانا هائلة فى المنطقة وتقذف بها فى عصر جديد من الصراع الدينى، وقد تجرأ باراك أمام ماطرحه كلينتون أن يقترح بدوره بناء كنيس يهودى صغير فى الزاوية الشمالية الشرقية من المكان القديم أى الحرم فهذا ثمن بسيط على الفلسطينيين أن يدفعوه!

فى تحليل تصرف كلينتون هذا نجد أنفسنا أمام رئيس أمريكى يتبنى الموقف الإسرائيلى بفرض السيادة الإسرائيلية على الحرم القدسى بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة وآثار إسلامية أخرى بزعم أنه جبل الهيكل. وهو يعرض على الفلسطينين أن يكون لهم تحت هذه السيادة الإسرائيلية أمر «حضانة» الحرم ورعايته وهو يدرك تماما كما ندرك معنى «السيادة الإسرائيلية» وقد خبر شعبنا هذا الاحتلال الصهيونى العنصرى منذ نكبة عام ١٩٤٨ مرورا بنكبة عام ١٩٦٧، وها هو الحصار الجاثم على مدننا وقرانا اليوم وها هى المعابر وما يجرى فيها تقدم أمثلة أخرى على هذه «السيادة» وعلى المفهوم الإسرائيلى للحكم الذاتى.

ولقد سقنا ما تجرأ به باراك من اقتراح بناء كنيس يهودى فى ساحة الحرم لنكون على حذر من المساومات التى يمكن أن تحدث فى مفاوضات قادمة.

مانستخلصه من هذا الأنموذج، هو أن الرئيس كلينتون ضرب عرض الحائط بقرارات الشرعية الدولية بشأن القدس وبقرار ٢٤٢ الذى يفرض الانسحاب الإسرائيلى من كل القدس الشرقية المحتلة عام١٩٦٧، وأنه يسعى لفرض السيادة الإسرائيلية عليها وعلى جميع المقدسات المسيحية والإسلامية.

* الأنموذج الثالث من تصرفات الرئيس الأمريكى كلينتون سجله أكرم هنية من الوفد الفلسطينى فى كتابه «أوراق كامب دافيد» الذى صدر فى ٨/ ٢٠٠٠ وروى فيه ماحدث.

فى يوم ١٧ / ٧ قدم الرئيس كلينتون للرئيس عرفات، خلال لقاء منفرد، أفكاراً تلاها من ورقة كان يحملها وقام أبو عمار بتسجيلها فى مفكرته، كانت الأفكار مكرسة بأغلبها للحديث عن القدس فى حين تتحدث بسطر واحد عن التوصل «لحل مرض لقضية اللاجئين» وتوافق على ضم ٥٪ من الأراضى الفلسطينية لإسرائيل، أما عن المدينة المقدسة فقد كان الحديث يدور عن سيادة فلسطينية على مايسمى «الحى الإسلامى» و «الحى المسيحى» فى حين يضم مايسمى الحى الأرمنى والحى اليهودى لإسرائيل، وبالنسبة للحرم تكون السيادة إسرائيلية فى حين يمنع مجلس الأمن والمغرب رئيسة لجنة القدس وصاية الدولة الفلسطينية لإدارة الحرم وتضمنت الأفكار معالجة سطحية لمستقبل مناطق القدس تتضمن سيادة فلسطينية على الأحياء الخارجية، ونظاماً خاصاً يطبق فى الأحياء الداخلية بشكل يمنح سلطات وظيفية للفلسطينيين، كما تضمنت الأفكار فقرة عن ضرورة إعلان انهاء الصراع بين الطرفين ويقول أكرم هنية «كان رد فعل أبى عمار حاسماً: إنها أكار إسرائيلية» وقد تم إعداد رسالة للرئيس كلينتون تشير إلى تناقض هذه الافكار مع مرجعية عملية السلام، وبعد تسليمها فجر يوم ٧/١٨ اتصل الجانب الأمريكى ليطلب «إجابة فلسطينية محددة هل تشكل الأفكار الأمريكية اساسا للفقاوضات؟» وجاء الجواب بالنفى.

نحن هنا مرة أخرى أمام رئيس امريكى يقول إنه غير يهودى، ومع ذلك يتبنى الافكار الإسرائيلية ويقدمها باعتبارها أفكاراً أمريكية، وكانت أولبرايت قد حاولت قبل ذلك تأجيل البحث فى قضية القدس ثم حين أصر الوفد الفلسطينى قدمت ورقة يوم ٧/١٤ كانت سيئة بكل المقاييس، وتبنت الحل البلدى فى القدس وطرح فكرة أبوديس العاصمة. ثم اضطر الجانب الأمريكى إلى سحبها. ولكن ها نحن نرى كلينتون بعد سحبها يعود إلى طرح الأفكار الإسرائيلية، ويعهد إلى مساعديه بالضغط على الفلسطينيين بأن يطلب إجابة محددة.

مانستخلصه أن الرئيس الأمريكى وإدارته المشكلة من يهود أمريكيين صهاينة يقرنون أسلوب الترغيب بأسلوب الترهيب الذى يبدأ بالتضييق على الطرف الفلسطينى لزنقه فى زاوية وذلك قبل سفر كلينتون إلى اليابان!

* الأنموذج الرابع من تصرفات كلينتون وقع فى اليوم قبل الأخير ٧/٢٤ حين طلب كلينتون أن يأتى إليه أبو عمار.

كانت الجلسة متوترة وعاصفة منذ اللحظة الأولى وكان كلينتون يتحدث بحدة ستنفض أمريكا يدها من عملية السلام أنتم تتحملون المسئولية، ستتجمد علاقاتنا الثنائية، سيوقف الكونجرس المساعدات، ستعيشون فى عزلة، أنتم لم تقدموا شيئاً جديداً بالنسبة للقدس، الإسرائيليون ساروا خطوات إلى أمام هذا ما أورده أكرم هنية الذى نقل صمود أبى عمار أمام هذا الضغط الشديد وتمسكه بالسيادة الفلسطينية على القدس ثم تابع وكان كلينتون يواصل محاولة الضغط: لديك ما هو معقول ويمكن العيش معه يمكن إنشاء مجمع رئاسى لك وللدولة الفلسطينية قرب الحرم. . أنت لم تقدم شيئا هم يبادرون بالنسبة للقدس!

نحن هنا أمام كلينتون وقد أسفر عن وجهه تماما، فلجأ إلى التهديد وإلى الابتزاز معا، وقد رأيناه بعد انتهاء المفاوضات يقود حملة إعلامية يعلن فيها وهو الذى وضع حكما وراعيا!!.أن باراك بادر بينما عرفات لم يقدم شيئاً، ثم يهدد بوصفه رئيسا للولايات المتحدة بأنه سينقل السفارة الأمريكية إلى القدس الغربية إلى آخر ما قاله، وهكذا تجلت صورة الأمريكى الذى يحاول اغتصاب حقوق الشعوب ودرس مقدساتها، كما تجلت صورة رئيس دولة يضع فى حساباته ما نستخلصه من هذا التصرف أن مسايرة الطاغوت وقوة الهيمنة إلى درجة اعتمادها حكماً وراعياً يعرضنا إلى تمكينها من أن تكشر عن أنيابها وتنشب مخالبها كى تحصل على ماتريده من اغتصاب حقوقنا!

الفصل السابع

الملف الأسود..
للإسرائيلى القبيح!

الملف الأسود للإسرائيلى.. القبيح!

جنرال الحرب والمذابح.. السفاح المعروف باسم «أرييل شارون».. سفاك الدماء الذى تتضاءل إلى جانب جرائمه «جرائم النازية»!!

عندما بلغ إسرائيل شيزمان (شارون) الثالثة عشرة من عمره، قدم إليه والده المهاجر من أوروبا الشرقية خنجرا.. وقال له عليك أن تحمى الأسرة بكل ما تستطيع من قوة ودهاء.. ومن ذلك اليوم وشارون يقتل بخنجره كل من يتوهم أنه سيقف فى طريق أحلامه وطموحاته.. تاريخ الرجل كله إرهاب منظم.. وسلسلة من الاستفزازات المثيرة للأصدقاء والأعداء على السواء..

وكثير من الشباب الذين ولدوا قبل أقل من عشرين عاماً أو الذين هاجروا إلى إسرائيل لايعرفون الكثير عن هذه الشخصية التى ذاع صيتها بسبب عدوانيتها ومزاجها الدموى ضد العرب عامة والفلسطينيين بشكل خاص.. والآن يستطيع الشباب فى إسرائيل التعرف عليه بسهولة، من المقالات التى تنشرها الصحف عن أفعاله، وهى ليست أفعال خير أو بر، بل كلها أفعال يندى لها الجبين، وفى سيرته الذاتية والتى صدرت باللغة الإنجليزية ولم تترجم إلى أية لغة، وصف شارون نفسه فى الكتاب الذى أسماه (المحارب) بأنه (محارب وحيد) وفلاح يدافع عن أرضه من اللصوص..!

هذه هى المرة الثانية التى يقود فيها إسرائيل.. وكانت المرة الأولى منذ ثمانية عشر عاما عندما عينه رئيس الوزراء الراحل مناحم بيجين وزيرا للدفاع فى حكومته الثانية، وكانت قاعدة التأييد لهذه الحكومة ضيقة، كما كانت مواقفها صقورية، وكان مفهوم معظم أعضائها للشئون العسكرية ضئيلا.. أما رئيس الوزراء نفسه (بيجين) فكان متعباً ومريضاً.. وإذا دمجنا كل هذه الأسباب معا نجد أن شارون تحول بفضلها إلى الشخصية المسيطرة فى إسرائيل منذ اليوم الأول لتوليه وزارة الدفاع وحتى يوم إبعاده عن هذا المنصب بعد عام ونصف من توليه له.. وعندما أبعد شارون بعد فشله فى حرب لبنان خلف وراءه حكومة تعانى من أزمة خطيرة ومجتمعاً ممزقاً وعلاقات مدمرة مع الولايات المتحدة وجيشاً ذليلا محطماً حكم عليه بالاستمرار فى القتال فى معركة لبنانية لم يكن فى استطاعته الانتصار فيها.. وبدا لشارون فى ذلك الحين أن حلمه بأن يكون رئيساً للوزراء قد تبدد. وخلال السنوات الثمانى عشر التى مرت منذ إبعاده، كان شارون له تأثير وزعيم معسكر فى الليكود ووزيراً اقتصادياً بارزاً، ولكن آثار جرح لبنان الذى لم يندمل سدت أمامه الطريق ولم يقترب أبدا من قمة الهرم، ولأول مرة فى مجرى حياته السياسية يجلس شارون الآن على مكتب رئيس الوزراء عقب تفوقه على منافسه إيهود باراك..

الطريق إلى وزارة الدفاع:

عندما عين شارون وزيراً للدفاع، كان سياسياً محنكاً وجندياً تغطيه أكاليل الغار ولكنه كان أيضا شخصية يدور حولها الجدل والخلاف حول ماضيه.. فهو من مواليد عام ١٩٢٨ وقد انضم إلى الهاجاناه عام ١٩٤٥.. وإبان حرب العصابات كان قائد فصيلة فى لواء الإسكندرونة وظهر كمحارب متميز وكزعيم طبيعى يعطى الثقة فى أوامره وفى مايو ١٩٤٨ اشتركت الفصيلة فى عملية - بن نون - التى خصصت للاستيلاء على شرطة منطقة اللطرون من يد الفيلق العربى، وتعرضت القوة التى قادها شارون لوابل من النيران جاءت من اتجاه المنطقة التى توجد بها الشرطة، وقتل ثمانية من جنوده وجرح شارون نفسه.

ولكنه حافظ على رباطة جأشه، وعندما اتضح له أن جنوده محاطون بآلاف من جنود الفيلق العربى، أمر جنوده بالابتعاد عن المكان وكان تقديره أنهم إذا بقوا بالمكان وعالجوا الجرحى فسوف يفنون جميعا، وقد أسهمت مزايا شارون القيادية فى عام ١٩٥٣ فى تعيينه

قائداً للوحدة رقم ١٠١ التى أقيمت لتنفيذ عمليات انتقامية ضد الفدائيين المتسللين الفلسطينيين الذين نفذوا عمليات فدائية فى سنوات الخمسينيات.. ولكن لكل شئ ثمن وكان ثمن هذه المبالغة فى استخدام القوة ضد شرطة غزة، قيام المصريين بالإعلان عن قلقهم، الأمر الذى دعا الرئيس جمال عبدالناصر إلى طلب المساعدة من الاتحاد السوڤييتى الذى أرسل السلاح له، أما شارون الذى لايعترف إلا بقوة القوة فقد فسر أهداف العمليات الانتقامية بأنها تتم لتنمى عند العرب النفسية الانهزامية، وقال «علينا أن نضربهم فى كل حين ونلحق بهم الهزيمة باستمرار وبصورة حاسمة حتى ينمو لديهم الاقتناع بأنهم لن ينجحوا فى هزيمتنا».. ومضى شارون يقول فى سيرته الذاتية إنه كلما ازداد عدد القتلى العرب سيزداد حجم التراجع..!

وفى عملية قادش تم وضع كتيبة من لواء شارون فى مدخل مضيق متلا، وعلى عكس تام من الأوامر التى تلقاها، أدخل شارون قوة كبيرة بين المضايق التى تحصن فيها الجنود المصريون وكان نتيجة ذلك مقتل ٣٨ جندياً إسرائيلياً وإصابة ١٢٠ آخرين .. وأثار هذا التقصير غضب قادة شارون عليه وهناك منهم من يحتفظون له بهذا الغضب حتى يومنا هذا، ومقابل ذلك أشفق عليه موشيه ديان بقوله «إنه يفضل كبح جماح خيول جريئة ولايحفز ثيران كسولة..»!

وكانت الوحدة التى دمجها شارون فى عام ١٩٥٤ قد نفذت سلسلة من الخطط الانتقامية والوقائية قادها شارون ضد أهداف فى مصر والأردن وسوريا، ففى هجوم على معسكر للجيش المصرى فى غزة فى فبراير عام ١٩٥٥ قتل ٣٨ جندياً مصرياً وأدى هذا العمل إلى استنتاج الرئيس عبد الناصر بأنه لا أمل فى التوصل إلى تسوية سلمية بين مصر وإسرائيل.. وفى ديسمبر ١٩٥٧ ترك شارون لواء المظليين، وسافر لإكمال دراسته فى مدرسة لضباط القيادة فى كامبرلى وفى ١٩٥٨ عين قائداً لمدرسة سلاح المشاة، وفى ١٩٦٢ حصل على قيادة لواء مدرع، وفى ١٩٦٤ عين رئيساً لمقر القيادة الشمالية، وفى فبراير ١٩٦٦ عين رئيساً لقسم التدريب فى الجيش الإسرائيلى، وفى حرب يونيو ١٩٦٧ كان قائدا لوحدة مدرعات، وحظى بتقدير كبير لدى قادته واحتلت هذه الوحدة المعسكر المصرى المحصن فى أبو عجيلة، بعد الحرب عاد شارون إلى منصبه كرئيس لقسم التدريب. وفى

ديسمبر ١٩٦٩ عين قائداً للقيادة الجنوبية، وقد تحفظ شارون على الاعتماد المبالغ فيه على تحصينات خط بارليف، التى لم تصمد كما كان متوقعاً بعد أربع سنوات أى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .. وخطوة بخطوة مع المراحل الأخيرة لحرب الاستنزاف فى قناة السويس واجه شارون الأعمال الفدائية الفلسطينية فى قطاع غزة باستخدام وسائل أثارت الانتقاد خاصة من خارج إسرائيل، فقد أزال مئات المنازل فى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وسوى المكان بالأرض، واعتقل مئات الشباب فى الشوارع وطردهم إلى الأردن ولبنان كما نفى زعماء سياسيين إلى سيناء، وتم نقل ستين شخصاً من أفراد عائلات المطلوبين ومن بينهم نساء وأطفال إلى معسكرات اعتقال فى أبو زنيمة فى جنوب سيناء، وفيما بين شهرى يونيو وديسمبر من عام ١٩٧١ تم تصفية ١٠٤ فدائيين فلسطينيين مقابل ١٧٩ فى السنوات الأربع حتى يونيو ١٩٧١ ، كما اعتقل مئات الأشخاص أما الباقون فمنهم من فر هارباً ومنهم من سلم نفسه وفى يونيو ١٩٧١ نفذت ٣٤ عملية تخريبية وفى ديسمبر ١٩٧١ جرت عملية واحدة فقط..

وضاعت فرصة رئاسة الأركان:

فى شهر يونيو ١٩٧٣ بعد أن فهم شارون أن فرصته ضعيفة فى أن يعين رئيساً للأركان، ترك الجيش واتجه للعمل السياسى، وكان من كبار المتبرعين البارزين لتأسيس الليكود وهو نظام الأحزاب اليمينى الذى كان القوة السياسية الأساسية فى إسرائيل فى العشرين عاما المقبلة، وأراد التنافس فى صفوفه فى انتخابات الكنيست، وبعد أسبوعين ونصف على بداية المعركة الانتخابية وفى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ اندلعت حرب أكتوبر وأعيد شارون إلى الخدمة كقائد وحدة مدرعة وكلف بقيادة القطاع الأوسط فى سيناء، وبمجيئه ضغط على رئيس الأركان دافيد اليعازر لشن هجوم مضاد بهدف إنقاذ الجنود الإسرائيليين المعتقلين فى الملاجئ الواقعة على شاطئ القناة، وأيضا عبور القناة لهز المعسكر المصرى، وفى الأيام الأولى للحرب دخل فى مواجهة مع قادته الذين لم يفضلوا تبنى مبادراته الهجومية بزعم أن الوقت مبكر لذلك ، وفى قمة التوتر اتصل رئيس الأركان شموئيل جونين وطلب إبعاد شارون ولكن بعد مشاورات بين رئيس الأركان ووزير الدفاع

موشيه ديان تقرر إبقاء شارون فى منصبه، وحسب شهادة دافيد فإن ديان وافقه على أن شارون منزعج من الأسلوب الذى سيصف به التاريخ دوره فى الحرب، ولهذا السبب يطمع شارون فى أن يكون الرجل الذى عبر القناة، ورغم عبور شارون لقناة السويس وتمركزه فى الضفة الغربية فى الخط الواقع ما بين الجيش الثانى والثالث المصرى وسعادة الجمهور الإسرائيلى بذلك واعتباره أحدث تحولا فى الحرب، فإن الجيش وجه له نقداً شديداً وأعرب وزير الدفاع عن استيائه من تصرفات شارون، واستمرت المواجهة بين شارون وقيادة الجيش الإسرائيلى حتى بعد انتهاء الحرب، وأجرى العديد من اللقاءات مع الصحفيين الأجانب حيث وجه الانتقادات لقادته وإزاء تفوهاته ضد قادته وأشياء أخرى فكرت النيابة العسكرية فى تقديمه للمحاكمة وهذا ما لم يحدث.. وفى انتخابات ديسمبر ١٩٧٣ انتخب شارون عضواً بالكنيست ولكنه ترك الحياة السياسية بعد عام وابتعد عن البرلمان وعمل من شهر يونيو ١٩٧٥ حتى مارس ١٩٧٦ مستشارا خاصا لرئيس الوزراء إسحق رابين..

وبمناسبة انتخابات ١٩٧٧ أقام شارون حزباً جديداً أسماه (سلام لصهيون) وفاز هذا الحزب بمقعدين فى الكنيست، وبعد الانتخابات انضم من جديد إلى الليكود وعين وزيراً للزراعة ورئيساً للجنة الوزارية لشئون المستعمرات فى الحكومة الأولى لبيجين وكان راعياً لجماعة (جوش إيمونيم) اليمينية المتطرفة، وقاد خطة لإقامة شبكة من المستعمرات فى الضفة الغربية، كانت عبارة عن قاعدة لتوسيع المستعمرات فى مشارف رفح بشمال سيناء، وصور هذا العمل كمحاولة إسرائيلية لفرض حقائق فى المنطقة وقد أثار ذلك غضب مصر، وعندما انسحبت إسرائيل من سيناء تم تفكيك كل تلك المستعمرات، وعندما استقال وزير الدفاع عيزرا فايتسمان رفض بيجين تعيين شارون مكانه ولكن بعد انتخابات عام ١٩٨١ وفى أعقاب مساهمة شارون الكبيرة فى النصر الساحق الذى حققه الليكود، عينه بيجين وزيراً للدفاع عندما شكل حكومته الثانية.

غزو لبنان:

فى الرابع والعشرين من عام ١٩٨١ بعد اثنى عشر يوما من القصف المتبادل بين منظمة التحرير الفلسطينية والجيش الإسرائيلى على الحدود اللبنانية تدخلت الولايات المتحدة وتم وقف إطلاق النار الذى ظل مستمراً لفترة طويلة بين الجانبين .. ورغم ذلك وبعد

شهرين من تعيين شارون كوزير للدفاع أمر القيادة العامة للجيش الإسرائيلى بالاستعداد للحرب فى لبنان.

وفى يناير ١٩٨٢ استكملت عملية الإعداد لتنفيذ الخطة، ولكن الحكومة لم تقر هذه الخطة ، وجاء حادث إطلاق النار فى يونيو ١٩٨٢ على السفير الإسرائيلى فى باريس من جانب رجال منظمة أبو نضال الفلسطينية لتبرير قصف قواعد الفدائيين الفلسطينيين ومخازن أسلحتهم فى بيروت، وكان الرد الفلسطينى بقصف الجليل، وهنا اجتمعت الحكومة الإسرائيلية وقررت إرسال الجيش الإسرائيلى لاجتياح لبنان ونفذت العملية التى أطلقوا عليها اسم - (سلامة الجليل) وكانت خديعة شارون لرئيس الوزراء بيجين إذ تعهد بأن يدخل إلى لبنان على بعد ٤٠ كم فقط من حدود إسرائيل ولفترة تقدر بيومين، ولكن ما حدث كان شيئاً آخر، حيث طوق الجيش الإسرائيلى قصر الرئاسة اللبنانية فى (بعبدا) وفى نهاية الأسبوع الأول للحرب اتضح أن الهدف الحقيقى كان انتخاب بشير الجميل زعيم الكتائب المسيحية لرئاسة لبنان، وفى الرابع عشر من يونيو قدم رئيس الأركان رفائيل إيتان تقريراً جاء فيه أن للجيش الإسرائيلى ١٧٠ قتيلا، ومع ذلك استمرت القوات فى التحرك باتجاه طريق بيروت - دمشق فى معارك كانت حصيلتها مزيدا من الدماء..!

وقامت مظاهرات لمنظمات السلام تدعو لاستقالة شارون، كما وقع حوالى ثمانين ضابطاً وجندياً من الاحتياط على خطاب ناشدوا فيه رئيس الوزراء تمكينهم من الخدمة فى أراضى إسرائيل، لأنهم لا يستطيعون الخدمة أكثر من ذلك فى لبنان لأن لكل شئ حدوداً، وقد اتهم شارون اليسار بأنه يخرب الجهد العسكرى الذى يبذله، ثم جاء انتخاب بشير الجميل لرئاسة لبنان وفقاً لتطلعات شارون فى ٢٣ أغسطس ١٩٨٢ ولكنه اغتيل بعد ذلك بثلاثة أسابيع ، وهكذا تبدد حلم شارون فى السلام مع لبنان، ولكنه رفض الاستسلام ودخل الجيش الإسرائيلى إلى بيروت الغربية بعد مقتل بشير الجميل، وكان هناك زعم بأن مقتل بشير تسبب فى فشل الحرب فى لبنان، ولكن الحقيقة هى أن المسيحيين الموارنة أعلنوا أنهم سيسيرون دائماً مع سوريا، إذن لم يكن مقتل بشير هو السبب فى فشل الحرب، فكيف لم يفهم شارون ذلك؟.

إن المشكلة هى أن شارون رغم كونه جندياً فإنه ليس سياسياً، فوجهة نظره السياسية كانت طفولية، وبعد يومين من مقتل بشير سمح شارون للكتائب بدخول مخيمات اللاجئين الفلسطينيين فى صبرا وشاتيلا، وبرر ذلك بأنه أراد تمكينهم من البحث عن الفدائيين الذين مازالوا باقين فى المخيمات بدون إزعاج، لكى تنتقم لمقتل زعيمهم فقاموا بذبح حوالى ٨٠٠ فلسطينى من بينهم أطفال ونساء وعجائز وكل ذلك بالطبع بمعاونة شارون وقواته.. وعندما تم الإعلان عن أبعاد المجزرة، ونشرت صور الجثث من مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، ظهرت إسرائيل فى العالم على أنها المسئولة المباشرة عن هذه العملية الفظيعة، واندلعت المظاهرات الاحتجاجية وهبطت شعبية شارون واهتمت الإدارة الأمريكية وكبار المستشارين فيها بإبعاد شارون عن وزارة الدفاع ووصلت ثقة الحكومة الأمريكية فى إسرائيل إلى أسفل الدرج فى تلك الأيام.. وتحت ضغط شعبى وحكومى فى إسرائيل تم تعيين لجنة تحقيق رسمية لمحاسبة المسئولين عن مذبحة صابرا وشاتيلا وقد ذكرت نتائج هذه التحقيقات فى الثامن من فبراير ١٩٨٢ ، وقد أوصت اللجنة بإبعاد شارون عن منصبه كوزير للدفاع ورغم هذه التوصية إلا أن شارون رفض الاستقالة..!

الأردن هى فلسطين..!

بعد خروج أفراد منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان، ازدادت المزاعم الإسرائيلية التى تقول إن الأردن هى فلسطين.. ففى مقابلة لشارون مع الصحفية «أوريانه بالاتشى» قال إنه كان سيدخل بيروت حتى لو لم ترغب حكومة إسرائيل فى ذلك ، ولكنه نفى أنه قال ذلك لها، وهنا قالت بالاتشى إن لديها فيلما مسجلا يشهد بصحة ما روته عن شارون - وكان شارون قد قال للصحفية أيضاً إن (دولة فلسطينية قائمة فعلا ولا داعى لإقامة دولة أخرى لأننا لن نسمح أبداً بدولة فلسطينية، فلن يقترب أى شخص من الضفة الغربية ولاغزة أيضا، فالضفة الغربية تابعة لإسرائيل ، وهى لنا منذ آلاف السنين وإلى الأبد» ..!!

وقد ترك شارون منصب وزير الدفاع مرغماً بعد إقرار الكنيست لقرار رئيس الوزراء بترك شارون لمنصبه، وبقى فى الحكومة وزيراً بلا وزارة، ولم يعتقد أحد أن شارون سيعود يوماً ليكون مرشحاً لرئاسة الوزراء.. وقال مستشار شارون، «أورى دان» فى مقابلة لمراسل صحيفة نيويورك تايمز فى القدس مع إبعاد شارون من وزارة الدفاع، عندما لم يقبلوه

كرئيس للأركان قلت إن هؤلاء الذين لم يريدوه كرئيس للأركان سيضطرون لقبوله كوزير للدفاع، والآن يقول لهؤلاء الذين لايرغبون فى قبوله كوزير للدفاع سيضطرون لقبوله كرئيس للوزراء.!

متعته.. فى رؤية الدم العربى!

هذا هو آرييل شارون الإرهابى العتيد.. وإذا تعمقنا فى تاريخه الطويل فإن كل كلمة من كلمات تصريحاته عبرت عن الاستراتيجية الثابتة فى فكره والتى لم تتغير فى مرحلة ما قبل التسوية أو بعدها.

ولد آرييل شارون فى ظروف غير عادية عام ١٩٢٨ فى منطقة «كفر ملاك» بفلسطين لأب من أصل روسى، ترك روسيا بحثا عن الاستقرار فى فلسطين وكان والده من المتطرفين دينياً وكان يرى أن فلسطين هى أرض اليهود المقدسة!

وقد شارك «شارون» الأب فى قتل العديد من الفلسطينيين، وكان مطلوباً لدى أجهزة الأمن البريطانية ، وكان معروفاً بقسوته وغلظته، وكان دائماً يميل إلى العنف والقتل، حتى أصدقاؤه من اليهود كانوا يخشون الاختلاف معه!

وكان شارون الأب يريد أن يجعل من نجله «إرييل» قاسيا وعنيفاً ، وكان يضربه بشدة فى السنوات الأولى من عمره، وعندما بلغ إرييل ٣ سنوات بدأ شارون الأب يعلمه كيف يمسك بالبندقية وكيف يتحرك بها، وكان يضعه جانباً ويقوم بالتصويب على أهداف مختلفة ومتفاوته.

وفى إحدى مرات التدريب اليومى وبينما «إرييل» يجلس على ربوة عالية بالقرب من والده، أطلق والده رصاصة فى اتجاه أحد الفلسطينيين المارين فأصابه فى فخذه وفرح «إرييل» كثيراً بذلك، وأخذ شارون ولده وهرب من المكان الذى عج بالكثير من الناس بعد ذلك.

وعندما بلغ «إرييل» ٤ سنوات من العمر كانت قوات الاحتلال البريطانى تداهم بين الحين والآخر مزارع اليهود، بعد أن تزايد نشاط المتطرفين اليهود، وبدأ يثير الرعب والقلق لدى الفلسطينيين حيث أن أعداد اليهود كانت تتزايد بشكل سرى.

وكان شارون الوالد هو أحد المخططين لهذه الحملة التى استهدفت استجلاب اليهود من شتى أنحاء العالم خاصة روسيا، وكان يستضيف فى كثير من الأحيان بعض القادمين من الخارج ويقدم لهم العون اللازم من أجل البقاء فى فلسطين.

وكان شارون الوالد أيضاً يقوم بتشكيل بعض الخلايا الإرهابية الصغيرة للقيام ببعض الأعمال الإرهابية، وقد نجح من خلال توثيق علاقته ببعض قادة اليهود فى أن يجد له مكانا ثابتاً فى التخطيط للعمليات الإرهابية!

وعلى الرغم من نشاطه الواسع إلا أنه لم يعد واحداً من قادة الحركة اليهودية بسبب سوء أخلاقه وسعيه الدائم إلى الشجار والعنف، لذلك لم يتحمس قادة الحركة اليهودية لضمه إلى صفوفهم ، وإن كانوا قد استغلوا حماسه الشديد لقيادة بعض العمليات الإرهابية الصعبة.

وكان شارون الأب دائم التنقل والحركة ويصحب معه كثيراً نجله «إرييل» الذى كان يشاهد فى أغلب الأحيان جرائم والده الإرهابية!

وعندما بلغ «إرييل» السابعة من عمره بدأ يدرك حقيقة أفعال والده، وكان متحمسا لهذه الأعمال!

فى هذا الوقت تأسست عصابة الهاجاناه الإرهابية واكتسبت فيما بعد شهرة واسعة فى تنفيذ العمليات الإرهابية بشراسة، وكان «إرييل» قد بلغ العاشرة من عمره عندما بدأ يقوم بدور متواضع لصالح هذه العصابات، حيث كان يقوم بإخفاء الأسلحة فوق أسطح المنازل وفى روث البهائم.

وكان إرييل شارون ذكياً فى الإخفاء والتمويه، وحاز إعجاب الآخرين وتوقع له قادة العصابات الإرهابية مستقبلا باهراً فى قيادة دولة إسرائيل المرتقبة، وإبادة وقتل الفلسطينيين!!

وكان من سمات إرييل شارون فى تلك الفترة هدوء الطباع على العكس من والده، وربما استفاد من أخطاء والده والتى بسببها أبعد عن كل المراكز القيادية كما أنه كان يجيد التعامل مع الآخرين بمكر ودهاء.

وقد سعى إرييل شارون فى هذه الفترة إلى أن يكون له دور مؤثر يجذب إليه انتباه اليهود، فقام بتنفيذ بعض العمليات الإرهابية الصغيرة التى قام بها وهو فى سن الخامسة عشرة، كان ذلك عام ١٩٤٣ .

وكانت أهم العمليات التى ارتكبها فى هذه السن هى قيامه بخطف نجل أحد الفلسطينيين الذين يقودون جماعة معارضة ضد الحركة اليهودية ويدعى عز الوهابى.

ففى عام ١٩٤٤ قام شارون وعصابته بخطف الطفل الذى لم يتجاوز العاشرة من عمره وارتكب ضده عملا إجراميا بشعاً حيث قام بفصل رأسه عن جسده بسكين !!

وسبق عملية القتل تعذيب جسدى متعمد ارتكب ضد الطفل، وأن عز الوهابى بعد ما رأى منظر ولده على هذا النحو عاش بقية حياته فاقداً للنطق حتى تم قتله على يد إحدى الجماعات اليهودية الإرهابية التى كانت قريبة الصلة بآرييل شارون!

وكان آرييل شارون يرفض دائماً عملية القتل السريع، حيث كان يقول لرفاقه: «إذ تمكنت من عدوك لابد أن تجعله يشعر بأنه يموت، لا أن يموت فوراً فالموت الفورى فيه راحة له، ولن تجد لذة فى ذلك» .!!

من هنا يرى شارون أن أى فلسطينى يقاوم إسرائيل يجب قتل أبنائه أو أهله أولا، ثم دعه يعيش وحاصره دائماً بالمصائب والنكبات، وإذا أردت أن تقتله فاقتله ببطء شديد، واجعله يذوق مراره الموت وعذابه!

وعندما بلغ شارون السابعة عشرة من عمره انضم لمنظمة الهاجاناه الإرهابية وسبقته إلى الدخول شهرة واسعة، خاصة أنه عشق الحياة العسكرية وتخرج برتبة ضابط صغير فى بداية حياته بالجيش الإسرائيلى، وبدأ شارون يمارس عملياته الإرهابية بشكل أكثر تنظيماً ضد الفلسطينيين حيث قتل ثلاث نساء وخمسة رجال فى عملية شهيرة مما عزز ثقة قيادة الهاجاناه فيه. ورغم أنه كان واحداً من المخططين لعمليات العصابة الشهيرة إلا أنه كان يصر على المشاركة فى التنفيذ حيث كان يقول دائما: «إنك تشعر بالمتعة الحقيقية إذا رأيت دماء الفلسطينيين تسيل أمامك، وإذا رأيت لوعتهم فى قتلاهم وأسرهم، وإذا شاهدت بكاء الأمهات عليهم، فكل ذلك يعنى أننا سائرون فى الطريق الصحيح وماضون إلى تحقيق غاياتنا، كنا بالأمس القريب نشيع موتانا واليوم يجب أن يشيع الفلسطينيون موتاهم» .!

وكان إرييل شارون يقول دائماً: «إذا أردت أن تحيا فاقتل الفلسطينيين.. وإذا أردت أن تشرب الماء فاقتل كل العرب، وإذا أردت أن تنام هادئاً، فادفنهم بعيدا عنك» .!

وهل يمكن أن ننسى نحن أيضاً.. مافعله فى دير ياسين؟!

فى لقاء جمع بين آرييل شارون وإسحق شامير فى ابريل ١٩٨٠ وأمام حشد من المستوطنين اليهود فى مستوطنة «نوم تنه» وقف إسحق شامير يخطب فى الحاضرين بقوله «العرب خونة وسنعمل على إبادتهم جميعا، إنهم يتصورون أن الأرض التى يعيشون عليها أرض أجدادهم، فى حين أنهم سرقوها من أجدادنا اليهود» !!

ساعتها وقف شارون يلهب حماس الحاضرين مقاطعاً بالقول : «يدنا فى يدك نبيد العرب وأطفالهم» فرد عليه شامير بالقول : «لقد فعلت كثيرا يا آرييل من أجل دولة إسرائيل، وإننى شخصياً لا يمكن أن أنسى مافعلته فى دير ياسين» .. ثم نظر إلى الحاضرين وقال : «لقد خلد آرييل شارون عملا مجيدا وقام ببطولات رائعة، لقد فعل فى دير ياسين وحده ما فعله الآخرون جميعا فتحية لك يا آرييل!!

نعم فقد كان إسحق شامير محقاً!!

عندما وقعت مذبحة دير ياسين فى عام ١٩٤٨، كان عمر آرييل شارون فى هذا الوقت عشرين عاما لكنه كان قد أصبح أحد القيادات الإرهابية فى عصابة الهاجاناه.

وكان اللقاء الأول الذى جمع بين آرييل شارون وإيهود باراك رئيس الوزراء «المستقيل» قد جرى قبيل هذه المذبحة بفترة قليلة حيث لم يكن عمر إيهود باراك يزيد على الست سنوات.

وكان من عادة شارون فى هذا الوقت أن يجمع الأطفال والصبية ويقوم بإلقاء الخطب والأناشيد الحماسية التى تمجد الصهيونية وتحقر من شأن العرب حيث كان يقوم بالتجوال على المستوطنات اليهودية الصغيرة ويرافقه مجموعة من الأطفال والتلاميذ كان من بينهم باراك.

وقد شكل شارون فى هذا الوقت أول مجموعة إرهابية من الأطفال والتلاميذ الصغار الذين كانت تتراوح زعمارهم ما بين ٦ سنوات إلى ١٤ عاما واطلق عليهم «مجموعة المجد لاسرائيل» !

ورغم أن العـديد من الكتب والمطبـوعـات تضـمنت تاريخ العـديد من المنظمـات الصهـيونيـة الارهابية إلا أنه جـرى التكتم على جـرائم هذه المجـموعـة التى تولى قيادتها شارون بنفسه.

فى البداية شكل شارون خلية صغيرة لا يتعدى أعضاؤها خمسة تلاميذ أعمارهم ما بين السابعة والثانية عشرة، كانوا يصطحبونه فى البداية للهتاف والتبشير بالعنصرية الصهيونية ،إلا أنه وجد أن هذا العمل غير كاف، وقرر أن يحول هذه الخلية إلى مجموعة عمل للقيام ببعض الجرائم الإرهابية، فزاد عددها إلى ١١ طفلا وتلميذاً هم الذين اصطلح على تسميتهم «مجموعة المجد»!!

وكانت هذه المجموعة هى الستار الخفى لأحداث مذبحة دير ياسين التى وقعت فى العاشر من أبريل ١٩٤٨ إلا أن التاريخ لم يسجل الوقائع التفصيلية لدور شارون ومجموعته فى وقائع هذه المذبحة الرهيبة.

فى يناير ١٩٤٨ كـان عدد المشـاركين فى مـجـموعـة المـجـد قد وصل إلى ١٩ تلميذا وطالبا وكانت أول أعمال هذه المجموعة الإجرامية هى خطف فتاتين فلسطينيتين وكان إيهود باراك من المشاركين فى هذه العملية.

لقد اصطحب الخاطفون الفتاتين إلى آرييل شارون الذى قام بنفسه بتجريد الفتاتين من ملابسهما كاملة وطلب من التلاميذ التناوب بالاعتداء الجنسى عليهما.

وبعد ان انتهى التلاميذ من جريمة الاعتداء أمر شارون بقطع الاعضاء التناسلية للفتاتين، إلا أن الفعل كان بشعاً ولم يستطع أحد من التلاميذ القيام به فقرر أن يقوم هو بنفسه بهذه المهمة!!

وأمام صرخات الفتاتين كان شارون يتلذذ فى تقطيع الأعضاء التناسلية ثم الاعضاء الجسدية حتى فارقت الفتاتان الحياة بعد أن جرى تعذيبهما بوحشية لا مثيل لها!

وقد كشف «إلينورى مارن» الذى كان عضواً بالمجموعة ثم ضابطاً كبيراً بالموساد فى مذكراته التى اعترض الموساد على نشرها، فقام بتهريبها لإحدى دور النشر الأمريكية عن تفاصيل هذه الفترة بالقول : «إن شارون علمنا عندما كنا أطفالا كيف نفقد الإحساس بالإنسانية وأن نضغط على قلوبنا بأحجار كبيرة»!

ويستكمل الضابط الذى أحيل للتقاعد فى السبعينيات «لقد كان شارون معلماً واقعياً.. إنه يؤمن بما يقوله تماما ويفعل ما يمليه عليه عقله الخشن القاسي دون تفكير أو روية، هو لا يقدر الخطوة التالية على أفعاله، ولكنه يعرف أن اللحظة الراهنة يجب أن يقتل فيها أعداءه فيقتلهم، وكان دائماً يقول أفعل أولا ولا يهم بعد ذلك ماذا سيحدث»!

ويضيف الضابط الإسرائيلى السابق «عندما كنا أطفالا كان شارون يبدو فى غاية السعادة والتلذذ وهو يخطف الفلسطينيين ويقتلهم».

ويستكمل القول «فى أحد الأيام طلب منا أن تكون حصيلة القتلى من الأطفال والفتيات الفلسطينيات ٢٠ شخصا، وعندما سأله مناحم هارون - الذى تولى منصبا كبيراً فى القوات الجوية الإسرائيلية فى الثمانينيات - عن سبب اختياره للرقم ٢٠ فى هذا الوقت، ضحك شارون بهيستيرية وقال: اليوم عيد ميلادى وسيكون لدى عشرون عاما... وإن أفضل طريقة للاحتفال هو أن نقتل ٢٠ طفلاً فلسطينياً!

ويقول «إلينورى مارن» فى مذكراته: لقد كان يوماً بشعاً وصعباً على أى نفس أن تتجاوز أحداثه... إن بشاعة ما ارتكب فى هذا اليوم تعادل ما ارتكبه الجيش الإسرائيلى فى أى حرب مع الدول العربية!

ويستكمل حديثه: «لقد اتجه شارون إلى أحد المناطق الفلسطينية فى هذا اليوم ورابط بالقرب منها ومعه عشرة من أفراد المجموعة.. بعد قليل شاهد سيدة فلسطينية تحمل طفلاً رضيعاً، وفى مباغتة سريعة أثناء سيرها حاول أن يخطف منها الطفل.. إلا ان السيدة تمسكت بوليدها بشدة واصابته فى وجهه، وبسرعة البرق أخرج خنجراً وظل يضرب به السيدة حتى فصل رأسها عن جسدها ثم أخذ الطفل وقام بجمع حطب وأوقد نارا ثم ألقى بالطفل فى النار أمام أعيننا دون رحمه – وكلما ازداد صراخ الطفل الذى شوته واحترق كنا نستمع إلى قهقهات شارون.. وقد وصلت إلى عنان السماء فرحاً وسعادة!!

ويضيف الضابط الإسرائيلى المتقاعد.. بعد أن احترق الطفل وأكلته النيران.. نظر إلينا شارون وقال إن ما حدث يعبر عن قتل فلسطينى واحد وليس أكثر، فالأم قتلت بشكل عابر ولم يتم التخطيط لقتلها ولذلك هى ليست ضمن العشرين المطلوب قتلهم!

.يقول الضابط «بعد ذلك اتجهنا إلى منطقة قريبة من الجليل، وهناك شاهد شارون خمسة أطفال لاتزيد أعمارهم على ست سنوات يلعبون ويلهون.. فقامت المجموعة باختطافهم على حين غرة.. ثم طلب شارون تعذيبهم والإلقاء بهم فى النار أيضاً، إلا أن بعض أعضاء المجموعة طلبوا قتلهم فورا والخروج من هذا المكان... ولكن شارون رفض.. وقال يجب أن نتلذذ بقتلهم، ويجب أن يشعروا هم بالعذاب أيضا، وبعد فترة قصيرة جرى تقطيع أجسادهم الواحد تلو الآخر.

كان شارون يغنى هو ورفاقه أغنية عيد الميلاد بينما صرخات الأطفال تدوى، وكان «عشمار عيداوم» أحد المشاركين قد ألف أغنية سريعة كانوا يرددونها أثناء قتل الفلسطينيين فى هذا اليوم.. حيث تقول كلمات الأغنية : «عيد ميلاد عظيم بذبح الفلسطينيين، عيد ميلاد يرعاه الرب بحرق الفلسطينيين.. أيادينا زادت بياضاً بدماء الفلسطينيين.. اللون الأحمر على ثيابنا من دماء الفلسطينيين زادها جمالا ورونقاً».. ما أجمل هذا اليوم، الأيام كلها عيد ميلاد آرييل، وإذا تكرر هذا اليوم مرتين أو ثلاثاً فى السنة فالشعب اليهودى كله سيكون سعيداً!!

ويقول «إلينورى» وعلى الرغم من أننى شاركت فى بعض هذه العمليات.. إلا أننى لم أستطع أن أستكمل معهم مسيرة اليوم.. لقد تركتهم وكانت الشمس تميل إلى الغروب، وكان قد تم تنفيذ حكم الإعدام فى عشرة أطفال فقط من الفلسطينيين، وكان الجميع قد بلغه الإعياء والإرهاق، إلا أن أوامر شارون كانت صارمة لا عودة للمنازل.. ولا افتراق دون قتل عشرة أطفال آخرين، وهدد بأنه فى حال عدم الامتثال لذلك فإنه سيفصل أى عضو يغادر إلى منزله!

وقد حكى شارون لقيادات الوحدة المركزية الإسرائيلية التى احتلت بيروت فى عام ١٩٨٢ هذه القصة بالقول قبل مذبحة دير ياسين بأسبوع مرضت وارتفعت درجة حرارتى كثيرا ورأيت كوابيس ثقيلة فى منامى أثناء المرض، لقد رأيت نصف شعب إسرائيل يقتل على يد الفلسطينيين، والنصف الآخر يفر هارباً من المذابح.. لقد كان هذا المنظر يتكرر كثيراً أثناء مرضى واعتقدت أن بإمكان الفلسطينيين القيام بمذابح ضدنا مثلما فعل النازى هتلر».

ويقول شارون «عندما مرضت كان لدى اعتقاد بأن كل الاسرائيليين ضعفاء وأن قوتى هى قوتهم، وقررت أن أتغلب على هذا المرض بأى طريقة وأعود سريعاً إلى مكانى فى

تنظيم الطليعة الصهيونية، لقد كان هذا المرض حافزاً لى على أن أفعل الكثير من أجل إسرائيل لقد رميت الأقراص وزجاجة الدواء التى كانت بجانب سريرى وارتديت ملابسى ووصلت إلى مكانى وعلمت من شامير بتخطيط دير ياسين وسألت عن دور الطليعة الصهيونية فقال لى رابين إن الطليعة صغيرة على الاشتراك فى هذه العملية وأنه يجب أن أعود إلى المنزل سريعاً لأننى مريض فانزعجت من ذلك وقلت لشامير أنا لست بمريض وسترون ماذا أفعل.

ويستكمل شارون حديثه «لقد أخذنى بعض الأصدقاء إلى المنزل وهناك طلبت منهم أن يأتوا لى بقيادات الأفرع الكبيرة والصغيرة فى الطليعة الصهيونية.. واحتشد عدد كبير من الصبية فى منزلنا، وأعطانى أحدهم قرصاً مخدراً شعرت معه ببعض القوة ورسمت خطة سريعة لهجوم الطليعة على دير ياسين ووافقنى الجميع على هذه الخطة.

وفى الصباح كنت قد استجمعت قواى واتجهت إلى قيادة المجموعة الرئيسية.

ويضيف شارون فى حديثه لقيادات الوحدة المركزية الإسرائيلية فى أعقاب مذبحة صابرا وشاتيلا التى وقعت بعد الغزو الإسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢ «عندما أخذت موقعى بعد أن وصلنا إلى دير ياسين شاهدت مجموعة من الفتيات الفلسطينيات الحوامل وكان أكثر ما شدنى منظر بطونهن فقررت أن أبدأ بهن وطلبت من بعض الرفاق أن يأتوا بهؤلاء النساء، وقيدناهن ورأيت أن أفعل بنفسى مايجب أن أفعله حتى أمحو ذاكرة المرض، وفتحت بطونهن.. أتدرون ماذا رأيت؟ يضحك بسخرية.. قائلا: لقد رأيت رجالا ببنادق يخرجون علينا فقتلتهم وقتلت أمهاتهم وفرحت كثيراً لذلك»!!

ويستكمل شارون حديثه بالقول: «قررنا أن نسير فى شارع خلفى نتصيد منه الرجال الفلسطينيين، كنا نقتلهم دون خوف، وكنت قد رأيت رجلاً قوى البنية وبيده طفله قوى البنية أيضاً، وطلبت من الرفاق أن يأتوا لى بهما وعندما وضعت عينى فى عين هذا الفلسطينى اللعين رأيت أيضاً أن عين الطفل تنذر بالشر، فقلت له ألا تخاف من الموت فرد على الطفل ألا تخاف أن تقتلنى، فرددت عليه ولم أخاف سوف أقتلك فى اللحظة التى أراها أنا، فرد على الطفل إذا لم تخف منى فلا تقتلنى ودعنى وشأنى.. أما إذا خفت منى فلابد أن تقتلنى».

واستكمل شارون حديثه بالقول : «لقد أشعرنى هذا الطفل بالذعر ورأيت أننى إذا تركته فقد يفعل بنا الكثير إذا ما اشتد عوده فقررت أن أتركه لبعض الوقت، أما والده فقد قتلته أمام عينيه ورأيت الطفل يبكى فى صمت وطلبت من رفاقى أن يتركوا الطفل بعض الوقت مع والده الذى فصلت رأسه عن جسده».

ويستكمل شارون: «وعندما بدأ الطفل فى تقبيل رأس والده، هنا قمت بوضع حذائى على رأس الطفل الذى يدعى مروان أبو أحمد والبالغ من العمر ١٢ عاما فانفجر الطفل من الغيظ وأمسك برجلى فألقانى أرضاً، فجرى عليه أحد أعضاء الطليعة الصهيونية وغرس خنجراً فى بطن الطفل، ثم فى رأسه حتى مات، لكننى غضبت فقد كنت أريد أن أتلذذ بتعذيبه» !!

وهكذا استمرت الطليعة الصهيونية فى جرائمها تحت قيادة شارون وقد شكلت مع عصابات الأرجون وشتيرن أضلاعا ثلاثة فى تنفيذ اخطر جريمة عرفتها الإنسانية فى دير ياسين!

ووفقاً لما لاحظه القنصل الأمريكى العام «روبرت مكات» فى تقريره إلى الخارجية الأمريكية فى هذا الوقت فإن منظمة الهاجاناه أدارت العنف فى دير ياسين بطريقة قاسية وأن قائد الطليعة الصهيونية يقصد «آرييل شارون» كان أحد النجوم القلائل فى دير ياسين وان العمليات التى ارتكبها بنفسه تفوق مذابح هتلر، ومذابح كل الديكتاتوريين الذين عرفتهم الإنسانية.

ويقول القنصل الأمريكى «ان الاطفال كانت تبتر أطرافهم وتكسر ضلوعهم و أن شارون كان يجمع الأجهزة التناسلية للأطفال فى أجولة، وكان يباهى قيادات تنظيم الهاجاناه بأنه قتل هذا العدد الكبير من الأزطفال وكان يحصيهم أمام القيادات الذين كانوا يمزحون معه» !

ويضيف القنصل الأمريكى فى تقريره «لقد كان منظراً طبيعياً أن يأتى شارون كل ليلة بعدد من الاجهزة التناسلية للأطفال أما الفتيات فقد كان يقطع نهودهن» وعبر القنصل عن خشيته من أن يمتد هذا العنف إلى أعضاء القنصلية الامريكية.

فى هذا الوقت التقى القنصل الأمريكى وجولدا مائير التى كانت مسئولة فى الوكالة اليهودية ونقل لها رسالة من وزير الخارجية الأمريكى طلب فيها حل تنظيم (الطليعة الصهيونية) لأنه يمارس عنفاً متطرفاً ضد الفلسطينيين.

وقد أبدت جولدا مائير استعدادها للقبول بحل التنظيم وإجبار شارون على وقف عملياته ضد العرب ولكن فى مقابل أن تتولى الولايات المتحدة إمداد الوكالة اليهودية بالأسلحة والمال والمتطوعين ووافقت الولايات المتحدة على ذلك.

ولم تف جولدا مائير بتعهداتها ذلك انه وبعد أسبوع من استلام المعونة الأمريكية كان شارون ينفذ عملية فندق «سميراميس» فى القدس حيث قتل فيها ٢٣ فلسطينيا وراح ضحيتها القنصل الإسبانى فقررت إسبانيا التدخل لمعرفة كافة الحقائق الخاصة بهذه العملية.

وقد أثبتت التحقيقات أن شارون هو الضلع الرئيسى فى تنفيذ هذه العملية وأن (الطليعة الصهيونية) التى يقودها هى التى نفذت العملية بعد أن وضعت حوالى ١٩٥ رطلا من الديناميت، وأن شارون اختار فندق (سميراميس) بعد أن علم أن حوالى ٩ من اثرياء الفلسطينيين قرروا الإقامة لفترة من الوقت فى هذا الفندق.

قتل العرب واجب دينى مقدس!!

«إذا أصبحت يوما رئيساً للوزراء سأبيد العرب جميعاً وسأقتل كل طفل فلسطينى يولد، وسأفتح بطن كل امرأة حامل فى عربى، فهؤلاء الكلاب لا يمكن أن يكونوا بجوار شعب الله المقدس»!!.

هذا مقطع من خطاب للإرهابى آرييل شارون.

وكانت مناسبة الخطاب أمام جمع المستوطنين الإسرائيليين فى مستوطنة ناتياعيم فى ١٤ أبريل ١٩٧٧.

ومن يومها لم يتغير شارون فكل مفرداته وخطبه تشير إلى ذات المواقف العدائية تجاه العرب.. ولكن قبل التعرض أو إعادة التذكير بصفحات الإرهاب فى تاريخ شارون منذ طفولته تعالوا نستكمل ما قاله فى خطابه الشهير أمام المستوطنين فى ذلك اليوم.

لقد قال شارون : «إن إبادة العرب وقتلهم هو السلاح الوحيد فى التعامل معهم، ولا يمكن أن تثقوا فى أن سلاما يمكن أن ينشأ مع العرب، إن دولة إسرائيل لها المستقبل فى هذه المنطقة، ولن يكون مستقبلنا إلا بالقضاء على العرب جميعاً.. إن الإبقاء على عربى واحد

فى هذه المنطقة هو خنجر فى ظهر المواطن الإسرائيلى وأنه من الأفضل أن نتعامل معهم على أنهم جبناء، وضعفاء وأن قوة إسرائيل تكمن فى احتلال أراضيهم وطردهم».

واستكمل شارون خطابه بالقول: «أنا أعلم أننا لا يمكن أن نقضى عليهم جميعا دفعة واحدة، ولكن سنقضى عليهم فردا فردا دون أن يشعروا بأننا نقتلهم!

إنه مهما طال الزمن فإن العرب لن يقبلوا بأن نعيش فى هذه المنطقة ونحن لن ننتظر طول هذا الزمن.. اعطونى الحكم ولو لمدة قصيرة وسأريكم ماذا أفعل بهم!

إن قوتنا تكمن فى أن نكون البادئين دائماً.. لماذا نعطى سيناء للمصريين؟ ننخدع بأن السادات فى مصر يريد السلام مع إسرائيل؟ ولماذا أيضاً لا نسيطر على أراض جديدة سواء فى لبنان أو سوريا؟ لماذا لا نزحف إلى البحر الأحمر الذى يجب أن يكون تحت السيطرة الإسرائيلية؟ تعالوا إلى الفرات ودعونا نجاور تركيا.. هذه هى إسرائيل التى أعرفها وأتمنى أن أراها إذا ما صرت رئيساً لحكومة هذا البلد فى يوم ما».

ويقول شارون فى خطابه: «إن الكثير من السياسيين والعسكريين فى بلدنا أصبحوا منافقين ويخشون أن يفقدوا مناصبهم أو مميزاتهم.. أما أنا فلست كذلك وسأظل ماعشت مؤمناً بفكرة واحدة، أن أمن إسرائيل يبدأ من الحدود البعيدة وأن الحدود القريبة دائما هى سلاح الضعفاء المترددين!

إن لدينا أسلحة جيدة، ولدينا عقيدة قتالية كافية لأن نجعل كل دول المنطقة خاضعة لنا، ولا يمكن أن تتصوروا أن العرب لديهم عقيدة قتالية، هم يتحركون بعواطفهم وفاشلون فى خططهم»!!

وزعم شارون فى خطابه أن ماحدث فى ١٩٧٣ كان ضربة حظ ولم يكن بسبب قوة العرب بل بسبب تراخى إسرائيل وغرورها.

وقال: نحن لدينا الثقة ويجب أن نملكها فى كل وقت ولحظة، ولكن يجب ألا يتملكنا الغرور. إن كل إسرائيلى فى حاجة إلى بندقية.. وكل منكم مطالب بأن يقتل فى الشهر ما لا يقل عن عشرة من الفلسطينيين أو العرب.. فكل يوم نقتل فيه فلسطينياً أو عربياً هو جدار نبنى من أجله إسرائيل المستقبل!!!

إن المستقبل لنا إذا خططنا جيدا.. ونحن لدينا القدرة على ذلك ولدينا التصميم لهذا.

إننى أتساءل بدهشة: كيف يمكن أن يعيش المارقون الفلسطينيون إلى جوارنا؟ إنهم ليس لهم الحق فى أى شبر من هذه الأراضى، ويجب أن يبتعدوا عنا، وإذا كان العرب كما يقولون إن الفلسطينيين منهم فإنه لن يؤثر أن يستقبل كل بلد عربى مليوناً أو بضعة آلاف من الفلسطينيين هكذا تنتهى المشكلة بكل سهولة!

وقال شارون: «ليس أمامنا وقت لنضيعه فى مهاترات وأحاديث غير مفيدة، فليأخذوا الفلسطينيين بعيداً عنا ونتفرغ نحن لبناء دولتنا الديمقراطية وواحة التقدم فى هذه المنطقة!

إن العرب قوم متخلفون ويكرهون التقدم والحرية ويحبون العيش فى الاستبداد والديكتاتورية، يكرهون أن نقدم لهم الخير من العلم والتكنولوجيا، فلماذا نصر على أن نكون فى مركبهم؟ فلندع مركبهم تغرق ولنا مركبنا التى يجب أن تسير إلى نهاية ما نراه لازماً للتقدم الإسرائيلى!

السلاح فى إسرائيل يجب أن يكون كبيراً ومتنوعاً، لأن الأعداء يحيطون بنا من كل جانب، هم يشترون أسلحة ويبثون كل السموم ضدنا، فلماذا لانبادر بقتلهم وإبادتهم؟ أنا لن أتورع عن أن أقتل أى عربى حتى ولو كان فى آخر الدنيا لأنهم سبب مأساتنا الحقيقية.. أليست سيناء «إسرائيلية» ثم يدعون أننا نحتلها؟ لايكفينا أن تكون الجولان وحدها فى أيدينا، فيجب أن نكون غدا فى دمشق وبعد غد فى عمان، ثم بيروت هذه العواصم التى يطلقون أنها عربية هى مدن يجب أن يرتفع فيها الصرح الإسرائيلى، فنحن جميعاً مطالبون بذلك، وهذا ليس صعباً أو أمراً خيالياً، اعطونى ثقتكم وسأحقق لكم ماتريدون وما أراه وسأجعل هذا الحديث حقائق تتحدث عن نفسها على أرض الواقع، سأنطلق إلى دمشق وبيروت وعمان ولن يوقفنى أحد، وأعدكم بأننى سأحقق نصراً كبيراً لن يقدر العرب على إخماده، وأنا أدرى بهؤلاء «الجبناء»!!

واستكمل خطابه: «إذا أردتم إبادتهم جميعاً تعالوا إلىّ أشرح لكم ماذا نعمل فأنا لدى خبرة ميدانية كبيرة فى التعامل معهم، وكلما عاملت العربى بالحسنى واللين والمهادنة زاد غدراً وظن أنه قوى، وكلما عاملتهم بالقوة والقتل والإبادة أصبحوا جبناء وخائفين.

العرب لايرفعون رؤوسهم إلا إذا ناديتهم بأسمائهم وتوسمت فيهم الخير، وينكسون دائماً رؤوسهم إذا شعروا أنك قوى».

وقال شارون : «السياسى والعسكرى الناجح يجب أن يكون كذاباً وقوياً فى كذبه، ونحن لدينا الحجج الكافية لنقنعهم بأى شئ نريده.. إن الحق دائماً معنا، وهم يعرفون أن هذه الأراضى والبلاد كانت لنا منذ القدم.. أتدرون أن تاريخنا يؤكد لنا أننا سيطرنا على كل هذه الأراضى، وأن هذه البلاد كانت خالصة لنا، ولم يكن هنا عرب إلا فى بعض الصحارى والوديان الضيقة.. وإنهم شيئاً فشيئاً بدأوا يزحفون على أراضينا، ويسيطرون على خيراتنا، وعندما أردنا أن نستعيد بعض حقوقنا صرخوا وطلبوا من كل شعوب العالم أن تكون حقوق اليهود فى أيديهم.. ما هذا الغباء العربى؟ وكيف نسمح لأنفسنا أن نسمع مثل هذا الهراء، نحن لا تهمنا كل شعوب العالم وكل قواه، إذا أرادوا أن ينتزعوا منا حقوقنا فى مصر أو سوريا والأردن بل أقول إن تلك البلاد، (السعودية) ومايجاورها لنا حقوق فيها وسنأخذها رغماً عنهم ولن ندع أحداً يتحكم فينا سوى ضمائرنا. لقد ماتت ضمائر العرب ومات إحساسهم أما نحن فإحساسنا حى وقوى، وطالما هم استمروا فى ذلك البغى والعدوان فلابد أن نطاردهم ونقتلهم فى كل مكان»!!

وأضاف شارون: «إن قتل أى عربى أو فلسطينى هو واجب دينى مقدس ويجب أن يكون فى أعلى الواجبات وأقدسها لنا جميعاً، دعونا نتكاتف لأداء هذا الواجب الذى لن أتخلى عنه أبدا ما دمت أتنفس فى هذه الحياة إن الله يمكن أن يرضى عنا إذا نجحنا فى أداء هذا الواجب، وسيكون لنا الخزى والعار والندامة عند الله لأنه سيسألنا لماذا لم تقتلوا العرب الذين حرفوا الأديان، واعتدوا على كل شعوب العالم، سيسألنا لماذا لم تجعلوا من هذه الدنيا خيراً لكل شعوب العالم بإبادتكم لهؤلاء العرب؟ وأرى أن من يتخلى عن أداء هذا الواجب المقدس لن يكون فى صفوف الشرفاء أو الطامحين فى هذا البلد العظيم.

لقد بذل الآباء جهداً كبيراً من أجل إصلاح أخطاء أبائهم، ويجب أن نحافظ على جهد آبائنا فى الحفاظ على هذاهالأراضى وتوسيعها، وأذكر أننى عندما كنت صغيراً قال لى والدى: «يابنى ضع بندقيتك حيث كانت رجلك» ولم أكن أعرف هذه الحكمة التى كان دائماً يقولها والدى إلا عندما كبرت، فكلما كانت رجلى فى موضع بعيد فإن بندقيتى ستحمينى

لأن أعود إلى موضعى القريب.. أما إذا تمسكت بهذا الموضع القريب فلن أكشف الأعداء فى الموضع البعيد!

إن معنى ذلك، أن رجلى يجب أن تكون فى القاهرة مرة وفى دمشق مرة وفى بيروت مرة وفى عمان مرة وفى بغداد مرة. وفى كل هذه البلاد أضع بندقيتى وبالتالى أنجح فى حماية حدودى!

فرقة التطهير..!

وفى قطاع غزة عام ١٩٧١ ارتكب شارون مذبحة شهيرة وهذه المذبحة كانت موضع انتقاد شديد حتى من قادته الذين حاولوا نفى علاقة الجيش الإسرائيلى بها، وقالوا إن من قام بها جماعات يهودية متطرفة وخارجة عن القانون الإسرائيلى، إلا أن الصحف الإسرائيلية أوضحت أن شارون هو الذى قاد المذابح بنفسه وأنه شارك فى تنفيذها فى أغلب الأحيان.

فى هذا الوقت كان شارون يشغل موقع قائد المنطقة العسكرية الجنوبية.. وقد اجتمع بضباطه وجنوده وطلب منهم أن يجهزوا أنفسهم للقيام بأعمال كبرى لصالح دولة إسرائيل. لم يفهم الضباط والجنود مغزى هذه الرسالة التى بدأت تتضح فى اليوم التالى.

شكل شارون من وحداته العسكرية حوالى ٩ فرق أطلق عليها «فرق الموت» وتم تدريبهم على القيام بأعمال قتالية عنيفة، وبعد حوالى ٢٠ يوماً من التدريب الشاق، انطلقت فرق الموت بأمر شارون وتحت قيادته لتحصد أرواح الفلسطينيين فى قطاع غزة وقاد شارون بنفسه إحدى فرق الموت، وهى الفرقة التى أطلق عليها «الفرقة الأولى للتطهير» وكان عددها حوالى مائة جندى و٨ ضباط.

وقد أعد شارون مسابقة بين الفرق التسع لمنحهم جوائز ومكافآت سخية للفرقة التى تقوم بقتل أكبر عدد ، وكان شارون يرى يومها أنه يجب تطوير هذه الفرق لتتفرع عنها فرق للاغتيالات السياسية، منها فريق للقيام بالعمليات التخريبية فى الأراضى العربية، وآخر يقتل العلماء والمواطنين العرب فى أوروبا وأمريكا حتى لايشكلوا ضغطاً على إسرائيل، وفريق ثالث يدمر المنشآت الحيوية لدى الدول العربية!!

وقد تعهد شارون فى هذا الوقت بأنه إذا جاء اليوم الذى يتولى فيه رئاسة الحكومة الإسرائيلية فإن أول شئ سيفعله هو تشكيل فرق الموت المتطورة من الشباب اليهودى المتحمس وأن مجال عمل هذه الفرق الرئيسى سيكون فى البلدان العربية وأن إحدى مهام هذه الفرق هى اغتيال قادة الدول العربية والمثقفين الذين يمثل وجودهم خطراً كبيراً على «دولة إسرائيل» !!

إلى غزة..

كانت فرق الموت تتجمع فى الثانية عشرة مساء من كل يوم، وكان شارون يشرف بنفسه على استعدادات فرق الموت التسعة، ثم تبدأ السيارات فى حمل الفرق إلى ضواحى قطاع غزة فى الواحدة صباحاً.

فى الأيام الأولى لم يكن سكان القطاع يشعرون بأن هذه العمليات يمكن أن تتكرر بشكل يومى يعصف بهم جميعاً، وكان البعض يعتقد أنها غارات محدودة يمكن أن تنتهى بعد أيام قليلة، إلا أن شارون كان يريدها عملية دائمة وأبدية يحول بمقتضاها قطاع غزة إلى مستعمرة يهودية خالية من الفلسطينيين!

كانت فرق الموت تهبط ليلاً على قطاع غزة، تروع الآمنين وتقتل الأطفال والنساء، وتحصد أرواح الرجال، وتنشر الدماء فى كل مكان.. وفى الساعة الخامسة صباحاً تعود فرق الموت أدراجها مخلفة وراءها أرواح العشرات والمئات من الشهداء الفلسطينيين.

لقد كانت مذابح غزة اكتشافاً جديداً لدموية شارون حتى وصفت هذه المذابح وقتها بأنها الأسوأ فى تاريخ الفلسطينيين.

لقد قرر شارون أن يعزل قطاع غزة وأن يفرض سيطرته الكاملة عليه، وأن يثير الخوف والفزع بين أبنائه حيث كان القطاع يقوم بين الحين والآخر بعمليات احتجاجية ضد الجرائم الإسرائيلية!

لقد كلف شارون بإعادة الهدوء إلى هذا القطاع وأن يضرب بيد من حديد من أسموهم بالمشاغبين وضرورة اعتقالهم، بيد أن شارون رفض مبدأ الاعتقال وقرر أن يقوم بالتصفية الجسدية المباشرة عن طريق فرق الموت التى كان يعتبرها من أعظم الأعمال التى ستخلده!

كانت عمليات القتل تتم فى البداية بشكل عشوائى إلا أنها كانت عمليات قاسية للغاية خاصة أعمال الفرق الأولى.

فبعد كل هجوم كان يتم اختيار الأشخاص الفلسطينيين من الطرق والممرات الفلسطينية وضربهم بالسياط والتعذيب حتى الموت، ثم يتم تقطيع الجثث، ثم تشويه أغلبها فى منطقة الرأس.

وقد وجدت هناك جثث منزوعة العينين بالإضافة إلى فتيات صغيرات معلقات بحبال على جدران وأبواب المنازل الفلسطينية التى يقطن بها. وكان هناك أيضاً صبية صغار معلقون من أرجلهم بعد قتلهم وتشويههم!

لقد ارتكب شارون مذابح بلغت قسوتها حداً جعل بعض الجنود الإسرائيليين يهربون من فرق الموت وكان يشعر بعجز كبير فى إخراج الجنود من حالتهم المعنوية المتردية!!

وكان أخطر مافعله شارون هو تلك القائمة السرية التى أرسلتها رئاسة الأركان وكانت تحوى أسماء ٣٢ شخصاً فلسطينياً مطلوباً القبض عليهم واعتقالهم وتقديمهم للمحاكمة فى تل أبيب لأنهم ارتكبوا أفعالاً خطيرة تهدد الأمن الإسرائيلى!

هذا المكان..

عقب انتخاب الإرهابى «شارون».. كتب «روبرت فيسك» فى صحيفة «الإندبندنت» البريطانية.. متذكراً ماحدث فى «صابرا وشاتيلا» إحدى الصفحات المخضبة بالدماء فى سجل السفاح!.. فقال :

إنه المكان الذى يمتلئ بالقذارة والدماء وسيظل دوما مرتبطا بآرييل شارون. فقد أصبح زعيما لأقوى دولة فى الشرق الأوسط، سيسافر إلى الولايات المتحدة، وسيزور البيت الأبيض، وسيصافح الرئيس جورج دبليو بوش. ولكن بالنسبة لكل شخص وقف فى معسكر صابرا وشاتيلا للاجئين فى بيروت فى ١٨ سبتمبر عام ١٩٨٢، سيظل اسمه مرادفاً للمجزرة، للجثث المشوهة والنساء المبقورات والأجنة القتلى، سيظل مرادفا للاعتداء على النساء والسرقة والقتل..

حتى عندما أسير فى تلك الطرقات العفنة اليوم، بعد أكثر من ١٨ عاما مما كان حسب التعبير الإسرائيلى الذى استخدم تلك الكلمات بطريق خاطئ، أسوأ عملية إرهاب فى تاريخ الشرق الأوسط الحديث، لاتزال تنتابنى الهواجس. هناك، على جانب الطريق المؤدى إلى مسجد صابرا، كان يرقد السيد نورى، كان يبلغ التسعين من عمره، لحيته بيضاء، ويرتدى ملابس النوم وعلى رأسه طاقية صوف صغيرة، وبجانبه عصا. وجدته يرقد على تل من القاذورات، وعيناه اللتان يحوم عليهما الذباب، تبحلقان فى الشمس الساطعة. وفى نهاية الطريق، رأيت سيدتين تجلسان منتصبتين، وقد تفجر مخهما من الجمجمة، وبجانبهما حلة طهى وحصان ميت. إحدى السيدتين بدت وكأنها تم بقرها. وعلى بعد بضعة أمتار اكتشفت أولى الأجنة، وقد أصابت جثثهم التحلل، هؤلاء الأجنة ألقوا عبر الطرق وكأنهم قاذورات.

نعم، هؤلاء الذين زاروا صابرا وشاتيلا قبل أن يغادرها القتلى، لايزالوا يحملون ذكرياتها. الذباب منتشر بين الجثث العفنة ووجوهنا، بين الدماء الجافة ونوتة الصحفيين، بينما عقارب الساعات لاتزال تدق فوق أجندة القتلى. ثم سرت فوق تل صغير من الطين – وبجانبى وقف بلدوزر وكأنه يشعر بالذنب – كنت فوق التل عندما شعرت فجأة وكأن الأرض تتمايل من تحت أقدامى، وعندما نظرت إلى أسفل رأيت وجوها وأيادى وأفواها، واقدام امرأة تخرج من تحت الطين. كان على أن استند على تلك الجثث لكى أتمكن من العبور إلى الجانب الآخر. وهناك، كانت تلك الفتاة الجميلة، رأسها تحيط به هالة من المسامير التى يتم تعليق الملابس عليها، ودماؤها لاتزال تسيل من ثقب فى ظهرها. كنا قد أسرعنا إلى حديقة منزلها فى محاولة لتفادى مقابلة الميليشيات التى ترتدى الزى العسكرى الإسرائيلى والذين كانوا مازالوا يحومون فى المعسكر، عند خروجنا من الباب الخلفى وجدنا جثتها، فى حين خرج القتلى من الباب الأمامى.

وبينما كنت أسير عبر المذبحة يوم ١٨ سبتمبر - آخر يوم من أيام المذبحة الثلاثة - مع لورين جينكينس من الواشنطن بوست، صحفى عنيف وقوى من كولورادو الأمريكية، أتذكر أنه وقف وقد أصابته الصدمة والاشمئزاز. ثم صاح بكل ما أوتى من قوة عبر الهواء الملوث: «شارون»! فخرجت صيحته عالية تردد صداها فى أرجاء الجدران المهدمة فوق الجثث.

وزأر صائحا: «هو المسئول عن هذا الـ..». وبعد أكثر من أربعة أشهر، وفى كلمات دبلوماسية وفى تقرير وصف القتلى بأنهم «جنود» كان قرار لجنة تقصى الحقائق. شارون، الذى كان وزيراً للدفاع، «يتحمل مسئولية شخصية»، هكذا قررت لجنة كاهان، وأوصت بتنحيته عن منصبه. واستقال شارون.

وهكذا، ينتظر الفلسطينيون فى نفس هذا المكان المتعفن البشع، حيث قامت الميليشيات اللبنانية بعد ثلاث سنوات بقتل المئات من الفلسطينيين فى حرب لم يخرج منها أى تحقيقات رسمية، حيث مازال بالكاد يعيش ٢٠٪ من الناجين، وحيث غطى الطين والقاذورات المقابر الجماعية لنحو ٦٠٠ من الضحايا، ينتظر الفلسطينيون ليروا معذبهم وهو يتقلد أعلى منصب رسمى فى دولة إسرائيل!!

صاح شاب فلسطينى أنيق من على شرفته قائلا لنا صباح الأمس: «آرييل شارون هو المسئول». ومن يستطيع أن يعارضه؟ لقد اغارت إسرائيل على لبنان يوم ٦ يونية عام ١٩٨٢ حسب خطة محددة يعرفها تماما اريل شارون، وهى أن يتقدم الجيش الإسرائيلى إلى بيروت لمحاصرة قوات منظمة التحرير الفلسطينية التى كان يرأسها ياسر عرفات فى العاصمة اللبنانية. كانت الخطة تعرف رسميا باسم «عملية سلام الجليل» (ولكن الاسم الحقيقى الإسرائيلى لها كان «كرة الثلج») الاقتحام كان من المفترض أن يكون رداً على هجمات الصواريخ التى قامت بها المنظمة الفلسطينية عبر الحدود الإسرائيلية.

ولكن هجمات الصواريخ تلاها سلسلة من الغارات الإسرائيلية الجوية على لبنان، والتى انهت قرار وقف إطلاق النار الذى فرضته الأمم المتحدة، والتى قيل انها رد على محاولة قتل السفير الإسرائيلى لدى بريطانيا - رغم أن المتهمين جاءوا من منظمة أبو نضال التى لم تكن لها صلة بمنظمة التحرير الفلسطينية أو عرفات الذى كان مكروها. ولكن رغم ذلك، تلقى شارون «الضوء الأخضر» من الولايات المتحدة، من إلكساندر هيج، للقيام بعمليته فى ربيع عام ١٩٨٢. بعد شهرين وبعد مقتل نحو ١٧ ألفاً معظمهم من المدنيين - معظمهم قتل بالأسلحة المدفعية والجوية التابعة لإسرائيل - انسحبت منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت تحت حماية دولية، تاركين خلفهم عائلاتهم بلا سلاح. فى ذلك الوقت أعلن شارون أن هناك ٢٠٠٠ «إرهابى» باقين فى معسكر صابرا وشاتيلا. بسبب هؤلاء «الإرهابيين»

الهلاميين تقدمت وحدة صغيرة من الدبابات الإسرائيلية – وذلك بعكس اتفاقية أبرمت مع واشنطن - نحو معسكرى الفلسطينيين. حاول ضابط فرنسى تابع لقوات الأمم المتحدة تصوير التقدم الإسرائيلى، ولكنه قتل برصاصة قيل أنها لقناص «مجهول». كرر شارون ادعاءه العجيب بأن «إرهابيين» مازالوا فى المعسكر. وهنا اغتيل الرئيس اللبنانى المسيحى المنتخب بشير الجميل - قائد الميليشات «الفالانج» التى كانت قد قتلت بالفعل حتى ذلك اليوم الالاف من الفلسطينيين المنسحبين فى معسكر تل الزعتر فى عام ١٩٧٦.

.. اليوم، تظل طرقات شاتيلا، التى شهدت حروباً أخرى فى السنوات التالية، تتبع نفس الاتجاهات التى سرت فيها قبل ١٨ عاما.. وفى كل منزل أدخله هناك صور باهتة للشباب الذى قتل فى الحرب، بعضهم قتل بيد حلفاء إسرائيل، والبعض بيد الميليشات الشعبية المسلمة فى حرب المعسكرات التى وقعت فى عام ١٩٨٥. ولكن ذكراهم لم تتلاش..

.. ولكن مثل القاذورات التى تراكمت فوق المقبرة الجماعية الوحيدة المعروفة هناك، تراكمت الأعشاب الضارة على الحدث التاريخى. فالتاريخ يمضى. واعترف عرفات بإسرائيل ووجد نفسه داخل مصيدة اتفاقية لن تعطى له «فلسطين» حقيقية ولا تضمن عودة اللاجئين - حتى هؤلاء فى صابرا وشاتيلا – إلى الأرض التى هى الآن إسرائيل. وزعيم إسرائيل هو نفس الشخص الذى سمح للقتلة بالدخول إلى معسكرات بيروت منذ أكثر من ١٨ عاما!!

الحاخامات يزورون الانتخابات!

ويواصل اليمين المتطرف دور الجلاد لتوجهات الجماعات الدينية المتعصبة الرامية إلى إبادة الشعب الفلسطينى إما بالقتل الجماعى له فى داخل إسرائيل، وإما بتشتيته فى خارج إسرائيل، حتى تصبح أراضى الضفة الغربية المحتلة بدون صاحب يطالب بها فتضمها اسرائيل إلى مجالها الإقليمى باعتبارها أراضى محررة، استناداً إلى أنها جزء من أرض الميعاد التى خص الله بها شعبه المختار!

يدعم حاخامات إسرائيل، على اختلاف مشاربهم الدينية، آرييل شارون ليظل فى السلطة أطول مدة ممكنة حتى يستطيع القيام بدوره الإجرامى الرامى إلى إبادة شعب بأكمله وفرضه لهذه الجريمة النكراء أمراً واقعاً على العالم تماماً كما فرضت الوكالة اليهودية فى

سنة ١٩٤٨ الاستعمار الاستيطانى اليهودى على فلسطين الذى قامت على دعائمه الدولة الإسرائيلية. وحتى يضمن الحاخامات إبادة الشعب الفلسطينى نصحوا آرييل شارون بعد فوزه الساحق بالوزارة الإسرائيلية بعدم تشكيل الوزارة من حزبه تجمع الليكود على الرغم من شرعية ذلك بموجب أكام الدستور، والعمل على إقامة حكومة وحدة وطنية يتشارك معه فيها حزب العمل بصفة رئيسية وتدخل الوزارة معهما بعض الأحزاب الدينية، لتصبح عملية الإبادة للشعب الفلسطينى مطلباً وطنياً إسرائيلياً ويهدر دمهم بين الأحزاب السياسية المشاركة فى الحكم.

واللجوء إلى حكومة ائتلافية تحت مسمى حكومة الوحدة الوطنية فى الوقت الذى كان فى إمكان آرييل شارون الانفراد بالسلطة بتشكيل الحكومة من حزبه تجمع الليكود، يثبت المؤامرة الإسرائيلية الرامية إلى إبادة الشعب الفلسطينى وحكم هذا التوجه اختيار الأشخاص للمناصب الوزارية ليقوم كل واحد منهم بدوره من موقعه فى السلطة بما يحقق الهدف الرامى إلى تخلص إسرائيل من الشعب الفلسطينى، ومطالبه فى الأراضى المحتلة بالضفة الغربية منذ ١٩٦٧.

وقبيل تشكيل حكومته هدد شارون بإلغاء الاتفاقيات المبرمة مع الفلسطينيين وتهديدهم بحرب لا قبل لهم بها مما يجعله «جلاداً دموياً»!!

بعد اختياره لهذه المهمة من قبل حاخامات إسرائيل الذين يخططون لإبادة الشعب الفلسطينى «الأغيار» حتى لايزاحموهم فى أرض الميعاد، وحتى لايعارضوهم فى إقامة هيكل سليمان الذى يسعون إلى جعله قبلة لكل اليهود فى العالم، لم يأت اختيار شيمون بيريز لوزارة الخارجية فى حكومة الوحدة الوطنية من فراغ وإنما جاء لاستغلال سمعته الزائفة بأنه رجل سلام، وهو إفك لأنه فى حقيقته سفاح ملطخة يداه بدماء المذبحة التى قام بها فى داخل قطاع غزة، وقتله العشوائى اللإنسانى فى مدينة قانا اللبنانية بعناقيد الغضب، وهى قنابل محرم استخدامها، وأدت جريمته هذه إلى اقتلاعه من السلطة فى أول انتخابات شعبية لرئاسة الوزارة الإسرائيلية ليفوز بها بنيامين نتنياهو الذى أدخل المفاوضات السلمية مع الفلسطينيين فى دوائر المستحيل.

قبل شيمون بيريز هذا الترشيح لمنصب وزير الخارجية تحت مظلة حكومة الوحدة الوطنية، على الرغم من إعلانه فى المنتدى الاقتصادى الدولى الأخير فى «دافوس» بأنه لن يقبل منصباً رسمياً حتى لا تعيق الوظيفة التى يشغلها حريته فى العمل الذى يستهدف السلام!.. وفسر تراجعه عن الاستقلال بدوره السلمى أن الوطن يدعوه إلى الدفاع عن ما يحدث فى داخل إسرائيل من تغييرات جذرية فى التركيبة السكانية التى تتطلبها المرحلة السياسية للحكم من تل أبيب، وتفرضها الظروف المتوترة التى تحكم إقليم الشرق الأوسط، وضرورة القيام بدوره فى تفسيرهما للعالم بالمنطق السياسى والأسلوب الدبلوماسى.. ومعنى ذلك أن شيمون بيريز يعرف ويشارك فى جريمة إبادة الشعب الفلسطينى!

ومن الصعب علينا أن نفصل ما يحدث فى داخل إسرائيل عن ترشيح البيت الأبيض لروبرت ستالوف مدير (إيباك) أقوى جماعات الضغط الصهيونى فى أمريكا ليتولى ملف الشرق الأوسط من بعد تعيينه مستشاراً فى مجلس الأمن القومى الذى ترأسه «كوندا ليزا ريس» التى أفهمها البيت الأأبيض بأن ملف الشرق الأوسط لا يدخل فى اختصاصها، لأن الرئيس چورچ بوش (الابن) اختار «روبرت ستالوف» لهذه المهمة وأعطاه سلطات مطلقة مستقلة عن مجلس الامن القومى وجعل مسؤليته أمام رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، إذا عرفنا بأن «روبرت ستالوف» يهودى متعصب، وصهيونى متطرف، وقضى عمره السياسى فى (إيباك) لخدمة إسرائيل، لأدركنا طبيعة الدور الذى سيقوم به نيابة عن أمريكا فى إقليم الشرق الأوسط لن يقوم بدور الوسيط المريكى فى السلام من خلال المباحثات لأن أبواب الحوار أغلقت بالعنف الإسرائيلى، وإنما سيدعم التوجه الإسرائيلى الرامى إلى التخلص من الشعب الفلسطينى وسيكون دوره أقوى بعد تعيينه مستشاراً فى مجلس الأمن القومى الذى حول (الدهلزة) الصهيونية من العمل الخفى بعيداً عن الوظائف الرسمية فى الحكومة إلى العمن العلنى المرتبط بكوادر الوظيفة الرسمية، وهذا ما جعل المنظمات العربية الأمريكية وكذلك المنظمات الإسلامية الأمريكية تعترض على هذا الترشيح وتطالب بإلغائه لأن وجود روبرت ستالوف بجلده السياسى الموغل فى الصهيونية والمنحاز إلى إسرائيل، سيخل بالتوجه السلمى فى الشرق الأوسط ويفرض الاستمرار فى حرب إسرائيل ضد الوجود الفلسطينى فوق أرض الميعاد، ولم يأخذ البيت الأبيض بهذا الرأى وأصر على الاستمرار فى

ترشيح روبرت ستالوف ليتولى ملف السلام فى الشرق الأوسط باعتباره خبيراً فى شئون المنطقة!

يجب على العرب الوقوف فى وجه إسرائيل وضد المسلك الأمريكى، بفضح ما يحدث فى داخل إسرائيل من همجية وإبادة لشعب فلسطين أمام الرأى العام العالمى ومنع المؤامرة التى يخطط لها حاخامات اليهود فى داخل وخارج إسرائيل وينفذها مجرم الحرب آرييل شارون والسفاح إيهود باراك وقاتل الشعوب شيمون بيريز، ويستغلوا ما قالته «نافا» زوجة إيهود باراك بأن الحاخامات زوّروا الإنتخابات الأخيرة ليفوز برئاسة الوزارة «آرييل شارون» حتى ينفذ خطة إبادة الشعب الفلسطينى، وأمرها زوجها بالصمت حتى لا تفسد على إسرائيل خطتها فى الاستحواذ على كل أراضى الضفة الغربية!!

الفيل.. ولَيْلَة الكريستا!!

بعد أقل من ٢٤ ساعة على انتهاء «ليلة السكاكين» فى إسرائيل بدا أنه لا يوجد شىء آخر فى هذا العالم غير المدعو آرييل شارون!!

لم يكن المراقب أو المحلل يحتاج إلى أكثر من تليفزيون أو جهاز كومبيوتر، لكى يكتشف ما لا يمكن أن يصدق: كل الأخبار عن شارون، كل التعليقات عن نتائج الانتخابات الإسرائيلية، وكل البيانات السياسية عن مستقبل عملية التسوية، كل التحليلات عن الاحتمالات المقلقة والمثيرة التى باتت تواجه منطقة الشرق الأوسط!

على مدار الساعة لم يكن لدى وكالات الأنباء العالمية ما تنقله تقريبا، غير قصة شارون والاتجاه المرضى الكبير، الذى أثبت نفسه مرة جديدة فى إسرائيل، بعد أقل من سنتين على تلك الانعطافة المثيرة من مسار بنيامين نيتنياهو الظلامى إلى مسار إيهود باراك الذى وعد بالضوء، ثم إلى مسار شارون الأشد ظلامة!

ربما فى استطاعة الأرقام هنا أن تصرخ بصوت مرتفع:

لقد حصل شارون على أعلى نسبة من المقترعين منذ بداية العمل بقانون الانتخاب المباشر لرئيس الوزراء وهى ٦٢٫٦ فى المائة مقابل ٥٦ فى المائة حصل عليها سلفه باراك عام ١٩٩٩، و ٥٠ فى المائة سبق أن نالها نيتنياهو عام ١٩٩٧.

والمعنى السياسى لهذا الارتفاع النسبى فى اصوات الذين ينشدون التطرف والهيمنة الظلامية العنصرية فى الدولة اليهودية، هو انخفاض نسبى بالطبع للفرص المتاحة أمام التسوية السلمية سواء على مسار أوسلو أو فى المنطقة عموماً!

لقد كانت بالطبع تجربة مثيرة جدا فى الساعات الـ ٢٤ التى تلت الاعلان عن نجاح شارون بالنسبة إلى الذين تابعوا من دون انقطاع شريط الأخبار وردات الفعل، فمن استراليا إلى جنوب أوروبا ومن روسيا إلى أمريكا مروراً بمعظم دول القارات الثلاث آسيا، أفريقيا، واوروبا، بدا أن كل المشاغل والهموم تراجعت أمام ما حصل فى إسرائيل.. كما لو أن حجراً سقط على رأس العالم، أو كما لو أن وباء ولن يلبث أن يتفشى ويصيب الجميع.

طبعاً يحتاج التعامل مع هذه الظاهرة المثيرة إلى ما هو أكثر من إبداء الدهشة، إذ لم يسبق حتى للانتخابات الأمريكية المثيرة للجدل كما هو معروف، إن حظيت بمثل هذا التركيز والاهتمام العالميين، والقصة فى عمقها وأبعادها الحقيقية لا تتعلق موضوعيا لا بإسرائيل كدولة ولا برئيس وزرائها الجديد كشخص، (ولو كان يمثل صيغة فريدة فى العدوان وصناعة القتل والمذابح على ما يحفل به تاريخه) بل تتعلق بموضوع السلام فى منطقة الشرق الأوسط وبالاحتمالات المقلقة الخطيرة المترتبة على وصول شارون إلى رئاسة الحكومة على التسوية السلمية.

وهناك دول كثيرة وخصوصاً فى أوروبا الشمالية وأفريقيا لايعنيها بالطبع أن يكون الذى صار رئيساً لحكومة إسرائيل «شيطانا أزرق» قفز لتوه من الجحيم ولكن علاقة هذا الشيطان بمسألة التسوية السلمية ومستقبل الشرق الوسط، استدعت من هذه الدول، أولا متابعة ما يجرى، وثانيا إبداء حرصها (وهذا أمر لافت ومهم) على استمرار مساعى السلام.

وفى الواقع لا يحتاج المراقب أكثر من مخيلة خصبة، لكى يرسم لوحة مثيرة، انطلاقا من هذا الدوى الواسع والشامل الذى رافق نجاح شارون:

كما لو أن دول العالم تجلس بكل حواسها على مقاعدها فى المسرح، ثمة جلبة فى الزاوية الإسرائيلية من الخشبة، ثمة صراخ وتدافع وفحيح يذكر بكلام «ألفريد ميشال» عن «ليلة السكاكين» أو «ليلة الكريستا» التى ظهرت فى فيلم يصور مذبحة الجنرالات فى إحدى قاعات الرايخ الثالث أيام النازية!

ثمة هتافات تتصاعد بقوة. يتراجع الضجيج تدريجياً ويرتفع صوت أقدام ثقيلة، قدمان ثقيلتان تتقدمان فى عتمة المسرح.. ثم فجأة تنهال أضواء قوية وكاشفة من كل الاتجاهات ليظهر رجل ضخم يتقدم وهو يستل سكيناً ويريد أن يقطع رقبة حمامة تنازع فى قفص: إنه ارييل شارون وهى حمامة التسوية، أما الأضواء فهى من أربع رياح الأرض: هل تم ضبط الرجل بالجرم المشهود؟ ربما أو بالأحرى تقريباً لكن تسليط الأضواء بهذه الكثافة على رئيس الحكومة الإسرائيلية الجديد، يكتسب أهمية كبيرة وله أكثر من مغزى.

قبل الحديث عن هذه المعانى، يتعين القول إن أكثر الشعارات شيوعاً واستعمالاً فى الصحافة العالمية قبيل الانتخابات الإسرائيلية، هو ذلك الشعار الذى أطلقته إحدى الصحف الاسرائيلية بالتحديد: «لا تدعوا الفيل يدخل إلى غرفةالخزف»!! أما عن «الفيل» فإنه معروف تماماً وهو «شارون»، وأما عن «الخزف» فالأمر يحتاج إلى كثير من التدقيق، على الأقل لأن المقصود بالخزف هنا ليس تلك الآنية والتحف الخزفية رائعة الجمال، بل التسويات السلمية على المسارات الناجزة، كما هو الحال مع مصر عبر «كامب ديفيد» والأردن عبر «وادى عربة» ومحاولات التسوية على مسار اوسلو.

وفى النهاية وقياساً بالواقع الموضوعى الذى تواجهه التسوية عموماً، يصبح من المشروع أن يتساءل المرء، إذا كان هناك فيل يدعى شارون فهل هناك فى الواقع خزفيات فنية لم يحطمها إيهود باراك ومن قبله بنامين نيتنياهو؟

على أى حال سيكون من الصعب جداً، لابل من المستحيل أن يحاول المرء الآن إضافة حرف أو حتى فاصلة إلى أبجدية التوصيات العربية الطويلة خصوصاً التى تتحدث عن تاريخ شارون الدموى وعن أفكاره التخريبية وخططه التى تكفل أبدية الصراع ضد العرب!

طبعاً، هذا أمر لا يختلف عليه اثنان، بل إن معظم دول العالم، تلك التى تنحاز تقليدياً إلى إسرائيل تملك مثل هذه الاقتناعات عنه، ولكن قد يكون من الأجدى فى الواقع التوقف عند أمرين أساسين:

أولاً: ما هى المعانى والأبعاد الكامنة وراء هذا التركيز العالمى على فوز شارون؟ وكيف يمكن للدول العربية، ان توظف هذا لمصلحتها أو على الأقل لمصلحة سلام عادل فى المنطقة؟

ثانيـــــا : ما هى الوقائع الدقيقة التى تجعل المجتمع الإسرائيلى، مثل قشة فى مهب الاختيارات تارة تميل إلى اقصى يمين وعود باراك بالتسوية وتارة إلى أقصى يسار شارون فى رفض مستلزمات هذه التسوية؟ وكيف يمكن للدول العربية أن توظف هذا التارجح لمصلحة سلام عادل فى المنطقة؟

فيما يتعلق بالسؤال الأول، لا داعى إلى تكرار القول، أن الاهتمام العالمى الواسع إنما ينطلق من الحرص على التسوية لا من الحرص على معرفة من سيحكم إسرائيل، واستطراداً فإن هذا يعنى أن هناك نسبة عالية جداً من الاقتناعات فى معظم الدول بضرورة استمرار مساعى التسوية توصلاً إلى السلام، الذى ينظر إليه كشىء مهم وضرورى، يجب عدم حذفه أو قتله أو إلغائه، ولكن هذا يعنى فى النهاية أن العالم حريص على مراقبة سياسات شارون حيال هذه المسألة، ون هذا الحرص يشكل فى عمقه ومعناه فرصة ملائمة أمام الفلسطينيين والعرب، لإبقاء شارون قيد المراقبة وعدم توفير أى عناصر أو مواقف أو تصرفات تساعده فى تغيير الصورة والقول ان العرب هم الذين لايريدون السلام.

إن الفرصة التى نشير إليها لم يسبق أزن توافرت على هذا النحو من الوضوح والصراحة، فمنذ اتفاق أوسلو تم تغيير خمس حكومات فى إسرائيل، ولكن لم يتم التركيز او التدقيق فى التغيير ومعانيه كما حدث، وهذا يعنى أن سمعة شارون السيئة و صورته القبيحة سبقتاه إلى العالم، الذى يشكل اهتمامه بالانتخابات الإسرائيلية حرصا على مصير التسوية لا على مصير رئاسة الحكومة فى تل أبيب!

وهناك نقطة جوهرية ومهمة، يمكن استخلاصها من الموقف الدولى العام، والتركيز عليها فى السعى لضمان صلابة هذا الموقف الداعم للتسوية وهى: أن شارون قال دائماً وبصراحة فجة كما هو معروف، أنه يأتى لينقض وخصوصاً اتفاق أوسلو وما ترتب عليه حتى الآن، بينما ظهر واضحاً وجلياً فى كل المواقف أن العالم يطالبه بأزن يكمل لا أن ينقض.

ولقد ظهر هذا الموقف المهم فى كلام وزير خارجية أميركا كولن باول، كما اعلنه مبعوث الامم المتحدة الخاص للسلام «تيرى لارسن» ومن إسرائيل بالذات، إضافة إلى معظم التصريحات والتعليقات التى أذيعت فى العالم وبكثافة غير مسبوقة، وهو ما جعل شارون يواجه منذ اللحظة الأولى وقبل تشكيل حكومته خياراً من اثنين:

إما أن يتمسك بسياساته ومواقفه المعلنة التى تدعو إلى نقض التسوية مع الفلسطينيين وبهذا سيواجه انتفاضة الفلسطينيين والعرب ولوم العالم، وإما أن يستجيب لرغبة الرأى العام العالمى ويقبل بمستلزمات التسوية فيواجه ما واجهه باراك من قبله، خاصة بعد ارتفاع نسبة التطرف داخل إسرائيل إلى الحدود التى جعلته يحصل على ٦٢ر٦ فى المائة من أصوات المقترعين.

أما فيما يتعلق بالسؤال الثانى، فمن الواضح تماماً أن الرأى العام الإسرائيلى يواجه حالة من الالتباس العميق والدقيق فى مقاربته لمسألة السلام وفهمه لعناصرها ومستلزماتها وأن إعادة التدقيق فى ظروف الانتصار الساحق الذى حققه باراك ضد نيتنياهو عام ١٩٩٩، وهو انتصار قام على شعارات تحقيق السلام «وإنهاء مائة عام من الصراع العربى - الإسرائيلى فى نهاية سنة ٢٠٠٠» (لمن يتذكر) وعلى قرار الانسحاب من جنوب لبنان، تؤكد أن هناك رغبة لدى شرائح واسعة فى المجتمع الإسرائيلى بتحقيق السلام.

ولكن التدقيق فى ظروف الهزيمة المنكرة التى منى بها باراك، أمام شارون، الذى يدعو إلى الاحتفاظ بالقدس ورفض عودة اللاجئين وعدم تنفيذ الاتفاقات، للانسحاب من الضفة الغربية، يكشف أن الرأى العام الإسرائيلى يريد سلاماً يوازى الاستسلام أو سلاماً بلا ثمن بمعنى أنه تحمس للسلام مع مجىء باراك، لكنه لم يلبث أن أسقطه عندما تيقن أن عليه أن يدفع ثمناً لهذا السلام!

لكن هذا الجنوح الطائش إلى التصلب والكراهية، وذلك الجنوح السطحى إلى السلام والتسوية يكشفان وجود انقسام مزدوج فى إسرائيل، انقسام هائل بين الإسرائيليين أنفسهم وانقسام داخل وجدان الاسرائيلى الواحد!

هذا الانقسام هو الذى يشطر المجتمع الإسرائيلى فى الوسط، إلى درجة أن الحكومات فى خلال عقدين، لم تتمكن قط من الحصول على أكثرية مريحة فى الكنيست.. وإذا تذكرنا الآن التآكل المتزايد لحزب العمل من جهة وتكتل ليكود من جهة ثانية، أمام الاحزاب المتطرفة الصغيرة التى شنقت باراك وقد تشنق شارون نفسه، يصبح فى الإمكان فهم تحذيرات «ألفرد لينتل» التى صدرت قبل ١٨ عاماً تقريباً، حيث حذر من أن الانقسام بين الإسرائيليين قد يقودهم إلى «ليلة الكريستال» أى «ليلة السكاكين» حيث تذابح الجنرالات

النازيون، ومثل هذه الليالى تذكر بانقسام المملكة اليهودية قبل ٢٧٠٠ عام إلى مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا!

عملية تجميل..!

وعلى مدى الشهور السابقة للانتخابات عكف المستشارون المحيطون بالجنرال على وضع صورة جديدة ومعدلة لشارون وتوحى بأنه رجل سلام - وربما السلام الصعب - وبما يلائم رغبة الناخبين الإسرائيليين الذين أصيبوا بخيبة أمل فى باراك الذى لم يحقق السلام.. وكان الهدف من الصورة الجديدة هو (تجميل شارون) وإزالة آثار حرب لبنان، ومذبحة قبية ومذبحة صابرا وشاتيلا، والمستوطنات وغيرها من الصفحات السوداء فى سجل السوابق والتى تعكس الخط المتشدد له. وحرص شارون على الظهور - فى مقابلاته التليفزيونية - فى مزرعته فى صحراء النقب والتى يقوم بتربية الماشية والأغنام فيها، بينما يحيط نفسه بأحفاده وسط حقول القمح! وكما يتهكم يوسى بيلين وزير العدل فى حكومة باراك قائلا: إن شارون يفضل صورة «الجدة» أكثر من واقع الذئب!

وقد استعان شارون (٧٢ سنة) بمكتب أمريكى متخصص فى الدعاية الانتخابية من نيويورك - وبمعاونة ابنه أومرى - لتجميل صورته فى الانتخابات وباعتبار أنه رجل يعمل من أجل السلام!

وحينما جلس إيهود باراك ليشاهد المقابلة التى أجراها التليفزيون الإسرائيلى مع خصمه اللدود شارون، فإنه لم يصدق عينيه - مثل معظم الإسرائيليين - وقال فى دهشة: «مستحيل أن يكون هذا هو الشخص الذى يظهر وسط الأبقار وحقول القمح ويداعب الأطفال الصغار - مستحيل أن يكون هو الذى نعرفه من قبل»!

والسؤال: هل يستطيع شارون - جنرال الحرب والمذابح - أن يخدع الإسرائيليين ويوهم العرب أنه رجل السلام الصعب؟

الإرهابى.. راعياً للهيكل!!

وإذا كان السفاح شارون قد عبر إبان حملته الانتخابية، وعبر بعض أعوانه المتطرفين عن عدوانيته البغيضة بإشعال أوار الحرب فى المنطقة، والتهديد بإعادة احتلال سيناء

وضرب السد العالى، فإن جانباً آخر من تطرفه بدا واضحاً فى تلك التحركات الخفية التى تتم بالتنسيق مع كبار الحاخامات اليهود، والتى تستهدف سرعة هدم المجسد الأقصى وإقامة «الهيكل المقدس الثالث لليهود» مكانه.

فقد شهدت الأيام الأخيرة لقاءات مهمة لشارون مع «شموئيل رينوفيتش» حاخام حائط المبكى، وفد من الحاخامات اليهود المتطرفين، حيث حصل هؤلاء الحاخامات على موافقة شارون الصريحة لتنفيذ عمليات إرهابية لهدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل الثالث المقدس، وكذلك تنفيذ عمليات كبرى ضد الفلسطينيين!

وفى ضوء ذلك عقد «المجلس الدينى الإسرائيلى» وفى حضور ٢٠ حاخاما يمثلون قيادة المجلس اجتماعاً اتخذوا خلاله قراراً مهما يقضى بإعادة بناء الهيكل المقدس الثالث فى غضون سنة واحدة من تاريخ اتخاذ هذا القرار فى ٩ من فبراير ٢٠٠١، وعلى الفور استدعى الحاخام «شموئيل» نحو أربعمائة شاب يهودى متطرف أوكلت إليهم مهمة تنفيذ سلسلة من العمليات الإرهابية ضد الفلسطينيين، خاصة فى منطقة الحرم القدسى الشريف.

ويستمد الحاخامات اليهود قوتهم من شارون، الذى وعدهم بأن تشهد فترة حكمه إعادة بناء الهيكل المقدس الثالث حتى يتذكره الشعب اليهودى، دوما بهذا الإنجاز العظيم.

ولهذا الغرض فقد بدأت بعض المؤسسات الرسمية مثل وزارة الدفاع فى تدريب المتطرفين اليهود على القيام بعمليات إرهابية ضد الفلسطينيين، الأمر الذى يعنى أن هؤلاء المتطرفين سيلقون دعما حكومياً هائلاً!!

ويذكر فى هذا الصدد أن مجلس الحاخامات اليهودى، والذى يترأسه الحاخام الأكبر «دورون» قد نجح - فى اللحظات الأولى التى أعقبت فوز شارون - فى الحصول على توقيعه على أخطر وثيقة سياسية للحاخامات والتى تؤكد على:-

١ - السيادة اليهودية المطلقة على ساحة الحرم القدسى، وأنه ليس للفلسطينيين أو غيرهم من أية أطراف الاحتجاج بأية ذرائع تاريخية أو دينية أو سياسية.

٢ - أن هذه السيادة المطلقة ليست من الاعتبارات الأمنية الإسرائيلية العليا فقط ولكن من صميم كيان الدولة الإسرائيلية، وأن التخلى عن ساحة الحرم القدسى يماثل تماماً ويفوق

فى الأهمية التخلى عن أراضى دولة إسرائيل المستقرة غير المتنازع عليها، ويلاحظ إضافة هذه العبارة تستهدف التأكيد على أن ساحة الحرم القدسى مثلها مثل الأراضى الواقعة فى تل أبيب، وليست أراضى الضفة أو قطاع غزة المتنازع عليها مع الفلسطينيين، وذلك للتأكيد على الأهمية القصوى لساحة الحرم القدسى.

٣ ـ إهدار دم أى إسرائيلى، مهما كانت درجته أو مواصفاته يعمل على نقل السيادة على الحرم القدسى إلى الفلسطينيين، لأن ذلك لا يمثل خيانة لدولة إسرائيل فحسب، بل خيانة لله ولكفاح الشعب اليهودى، ولأرواح الأجداد والآباء التى ترفرف دوما على جبل الهيكل.

٤ ـ اعتبار أية وثيقة، أو بيان، أو مقترحات، أو أفكار تم التشاور أو الاتفاق أو الاتصال بشأنها مع الفلسطينيين فى السنوات الماضية لاغية، ولا أساس لها فى المستقبل حول ما يسمى جبل الهيكل!!

٥ ـ أن كل الأعمال التى من شأنها تقريب جبل الهيكل إلى اليهود هى أعمال مجيدة تستحق التقدير والثناء، لأن مرتكبيها سيمجدهم الرب فى السماء!

٦ ـ أن الإرث اليهودى فى بيت المقدس يؤكد أن الهيكل هو من أقدس المقدسات للشعب اليهودى، وأن إبراهيم عليه السلام أرسل من الرب لتأكيد قدسية هذا المكان للشعب اليهودى، ذلك لأن النبى إبراهيم اختار هذا المكان ليتقرب إلى الله بابنه «يستحاق» وأن النبى داود أدرك ذلك بوحى من الله فقام بتأكيد هذا المكان للسيادة اليهودية، حتى أن النبى سليمان عندما سمع هذه التوصيات والترنيمات لداود حفظ هذا المكان بتشييد هذا المكان!

٧ ـ أنه إذا كان هناك فتاوى دينية صدرت قبل ذلك حول عدم دخول اليهود ساحة الحرم القدسى، فإن هذه الفتاوى صدرت لظروف معينة، ولأغراض كانت تستهدف إحداث قدر من الاستقرار والأمن، إلا أن هذه الفتاوى لم تشر فى أى وقت إلى أن ذلك ينتقض من الحق الدينى لإسرائيل على هذا المكان المقدس، وأنه لا يمكن الادعاء بذلك فى أية حقبة تاريخية مستقبلية، وأن هذا الحق الدينى لم يمنحه أحد من البشر لإسرائيل، وإنما

منحه الله، وأن ما يمنحه الله لايمكن أن يمنعه أحد من البشر، وأن الله منح ذلك شعب إسرائيل، وخصهم بهذه النعمة الإلهية من أجل الحفاظ عليها، وأن أى تهاون فيها يعنى ضياع حقوق اليهود التاريخية، كما أن هذه الفتاوى الدينية لايمكن أن تنتقص من حق السيادة اليهودية المطلقة على هذه الأماكن اليهودية المنشأ والتطور والأصل!.. كما أنه لا يجوز أن تكون هناك أية قرارات سياسية، أو ذات أغراض يمكن أن تمنع حق اليهود فى ارتياد ساحة الحرم القدسى.

٨ ـ ضرورة تقديم الدعم اللازم.. المالى والفنى والبشرى لدعم فكرة إقامة الهيكل المقدس الثالث.

وقائمة المخططين لهذا العمل تضم مجموعة الحاخامات والشخصيات اليهودية المتطرفة وأبرزهم:

* البروفيسور «هيكل فايس» المسئول عن الجوانب العملية فى تنفيذ المخطط.
* الحاخام فيحان أريئيل، والحاخام إسرائيل موشيه المسئولان عن الجانب الدينى فى العمليات الإرهابية القادمة، والمسئولان عن مشاركة أكبر عدد ممكن من الشباب اليهودى فى هذه الحركات.
* الإرهابى هاتسيون مازولا قائد حركة مملكة إسرائيل الكبرى، والذى يستحوذ على خرائط مزعومة ينسبها إلى النبى سليمان، ووصل إلى أن اليهود هم أصحاب تلك الأرض، ودوره فى المخطط هو قيادة مجموعة من المستوطنين الذين سيفدون للقدس من الجانب الغربى.
* الحاخام شابيرا موردى، هو المنظر الفكرى، وصاحب الرأى النهائى فى اغتيال العناصر الفلسطينية المستهدفة.
* الحاخام داود كيتس، وهو المسئول عن تأمين المستوطنين من ناحية الجنوب.. وتضم قائمة المخططين كذلك بعض اليهوديات اللائى أطلق على أنفسهن «نساء جبل الهيكل» حيث وهبن أنفسهن لجبل الهيكل حتى الموت، وسيدافعن عنه بدمائهن. وترأس هذه الحركة اليهودية «أبيفرر» وهى واحدة من المتطرفات اليهوديات، اللائى سيوكل إليهن القيام ببعض العمليات ضد الفلسطينيين، خاصة أنهن أعددن قوائم كاملة لعناصر فلسطينية مستهدفة بالاغتيال عبر سلسلة من العمليات الإرهابية الكبرى.

وترى تلك العناصر ضرورة استغلال الوقت لسرعة هدم بيت المقدس وإقامة الهيكل المقدس الثالث، وأن ذلك قبيل نزول المسيح المنتظر، على أن يكون آرييل شارون هو راعى اقامة هذا الهيكل، وعلى أن يدعى اليهود فى جميع أنحاء العالم لإقامة كيانهم الدينى الذى يعبر عنهم!!

بطل من غزة..!

الدافع إلى العمل البطولى الذى قام به هذا الفلسطينى النقى التقى الشجاع هو فداحة الظلم الذى تلحقه إسرائيل ببنى قومه وبوطنه ومن دون أن تخشى لومة تأتيها من راعية عدوانها على العرب «الإدارة الأميركية» أو خطوة فاعلة تصدر عن بريطانيا وفرنسا وروسيا والصين تلك الدول المتمنطقة بسلاح الڤيتو «فضلا عن عشرات الدول التى تصمت حكوماتها دهراً على الظلم الذى يلحق بالفلسطينيين وتنطق كفرا إذا أقدم شاب فلسطينى على التعبير عن غضبه عما تفعله إسرائيل بشعبه، أو إذا هو أطلق صرخة غضب أملا فى أن يسمعها العالم الأصم إذا جاءته الصرخة من فلسطينى أو عربى عموماً، والأبكم فى حال قيام الإسرائيليون بعدوان على الشعب الفلسطينى وعلى أى شعب عربى يقرر مقارعة العدوان الإسرائيلى المضمون الرعاية من الطغيان الأمريكى!

أمثولة بالغة الأهمية وهى أن الرصاص ليس هو وسيلة النضال الوحيدة، وأنه إذا كنت أيها الفلسطينى لا تعرف إطلاق النار فعليك بالحجر وإذا كان هذا لا يكفى فعليك اقتحامهم بسيارتك أو بـ «أوتوبيسك». كما أن الأمثولة ترى أن الغضب يجب أن يبقى قائما فى النفس، لأنه بمثابة المنبه إلى أن العدوان الإسرائيلى مازال مستمرًا وأن الظلم الدولى مازال قائماً وأن العدالة مغيبة فى استمرار وأن المقدسات الإسلامية والمسيحية فى الأسر الإسرائيلى وإن الصهيونية جاثمة على صدور أهل القرار فى العالم.. والغضب هو الذى جعل الجندى الأردنى أحمد التقامسة يلجأ إلى رشاشة عندما رأى بضع فتيات إسرائليات يسرحن ويمرحن على أرض أجداده المغتصبة وجعل الصبية ليلى خالد تقرر دخول معترك التذكير بقضيتها والاشتراك فى عملية خطف طائرة والغضب هو الذى جعل «علاء خليل أبو علبة» يقتحم بـ «أوتوبيسه» صبيحة يوم انشغال العالم بعيد العشاق «الأربعاء ٤ فبراير ٢٠٠١» تجمعا للجنود الاسرائيليين قرب تل ابيب فيقتل منهم حسب الرواية الرسمية تسعة ويصيب العشرات

بجراح، ويفاجىء بعمليته البطولية هذه عائلته وأصدقاءه ويخص بالمفاجأة المذهلة الشارونيين ورئيسهم بالذات آرييل الذى أفهمه البطل «الغزاوى الكاميكازى» أن البطولة هى أن تتحدى ومع شروق الشمس وليس أن تكون سفاحاً فى عتمة الليل فى صبرا وشاتيلا وفى غيرها على نحو ما فعله باراك وآخرون... فى زمن المهانة والاسترخاء العربى!

كول نيدريه.. والكوميديا السوداء!!

إن التحلل من العهود جزء أساسى من العقيدة اليهودية، التى كما يقول الفيلسوف الفرنسى: فولتير «تخللها روح المصلحة الذاتية»!.. وصلاة «كول نيدريه» أو كل نذرة.. هى التى تفتتح بهاطقوس مساء عيد الغفران «يوم كيبور» وجوهرها الإعلان بالتحلل من كل النذور والعهود والمواثيق التى قطعها اليهودى على نفسه ـ طوال العام ـ ولا يريد أن يلزم بها نفسه!

وتتلى هذه الصلاة قبل الغروب، وقبيل التلاوة، يفتح التابوت المقدس: ويخرجون أسفار التوراة، ويختص صفوة الحاضرين بإمساكها تبركاً، وقد اتخذوا أماكنهم بجوار الحاخام الذى يؤمهم فى الصلاة، ويتلوها بلحن مميز، لم يتغير على مدار الزمان، وتتكرر تلاوتها ثلاث مرات.. حتى يتأكد «إحساس الجميع بالتخلص من ذنب تخليهم عن خيانتهم لكل العهود التى قطعوها على أنفسهم، والوعود التى التزموا بها تجاه الآخرين»!

ثم يبدءون الاحتفال بأقدس أيامهم «مرتاحو الضمير» معافون من نقض عهودهم وإخلاف وعودهم!!

إن ما جرى فى الكيان الصهيونى يخضع تماماً لمخطط «توزيع الأدوار» المتفق عليه بين فئات القوى السياسية، سواء أكانت فى الحكم أو فى المعارضة، واقتحام السفاح الإرهابى «آرييل شارون» لساحة المسجد الأقصى، محاطاً بقوات جيش الإرهاب الإسرائيلى، مستعيداً طريقته التى فاقت النازية فى اقتحام مخيمى «صابرا وشاتيلا» حيث أدار مجزرته الشهيرة.. فاستفز المشاعر وأشعل الانتفاضة الفلسطينية، فاتحاً الباب على مصراعيه لمجزرة جديدة تلطخ بالدماء قدسية المكان! معلناً مزايدة حزبه على قضية القدس، فقام الإرهابى «باراك» بالرد بالصواريخ والهليكوبتر والدبابات، ليدفع بالمزايدة إلى أقصاها!.. ويسقط المزيد من

الشهداء من زهرة شباب فلسطين . بينما تكتفى الحكومات العربية بدبلوماسية «إبراء الذمة»! .. من خلال بيانات الشجب والاستنكار رداً على المجازر اليومية التى يمارسها الإسرائيليون ضد الشعب الفلسطينى!

وأى سلام هذا الذى يجرى الحديث عنه، بينما الأرض والمقدسات و«الكرامة» فى فم الذئب. و«الراعى الأمريكى» يسوقنا بعصاه!!

إن صورة الطفل الفلسطينى «محمد الدره» وهو يستشهد فى حضن والده، محتمياً فى طفولته، لتروى بالدم مأساة وملحمة الشعب الفلسطينى، ودليلاً على إرهاب الدولة اليهودية، وإرهاب زعماء العصابات الذين أصبحوا قادة سياسيين!!

إن مظاهر الغضب الواسعة التى اجتاحت الشارع العربى، لم تكن فقط ضد الإرهاب الإسرائيلى وعدوانه على الحقوق والمقدسات العربية، بقدر ما كانت غضبة ضد ضعف المواقف الرسمية فى مواجهة دولة العصابات الصهيونية، وضد مجمل الأوضاع العربية المتردية، وشلالات الدماء التى تفجرها يومياً الحكومات الإسرائيلية والمستوطنين اليهود، أعادت الأوضاع إلى أصولها وجذورها، بفضل تطرف العنصرية الصهيونية النازية، وروح المقاومة الفلسطينية التى ردت بالحجارة على أرض فلسطين العربية، وردت بإعلان الغضب والتمرد فى الشارع العربى!

ولنا القدوة فى «سلام» حزب الله الذى لا يعرف لغة التفاوض القائمة على الشعور المسبق بالعجز تجاه الآخر، والذى يكبل أطرافه بالتزامات سياسية وأمنية رهيبة، ولا يفهم لغة بعثرة أوراق الضغط بطريقة مجانية كما يفعل «عرفات»!

إن الانتفاضة الفلسطينية تعلمنا درس البديهيات العسير، فلن يكف الصهاينة عن محاولات فرض السلام - من وجهة نظرهم! السلام الذى لايعد الفلسطينيون بأكثر من الإقامة على أطراف الخريطة!.. لقد استنفذ الفلسطينيون كل رصيدهم من المرونة والتنازلات لإنجاح عملية السلام «السراب»!.. لكن الشارع العربى - المطرود من السياسة!.. يعود إلى السياسة من باب القدس المخضب بالدماء، ليعبر عن تراكم المكبوت، وعن مدى القطيعة مع نظم تمادت فى الحياد، وفى حسن الظن بالولايات المتحدة!.. وعن مدى

القطيعة مع دولة الإرهاب التى لم تفهم من التسوية غير ما يوفر لها القدرة على أن تنجز فى مناخ السلام «الكاذب» ما لم تنجزه فى مناخ الحرب من هيمنة إقليمية!

لقد صارت سيوف العرب مجرد حلية تراثية صدئه فى مضارب الصحراء!.. فمتى نخرج من خيامنا القديمة، وضمائرنا التى ماتت على أرصفة العجز والعهر السياسى؟!.. ومتى تتوقف ألسنتنا الطويلة عن الشجب والصراخ.. وإنشاد قصائد البطولة؟!. وأى الأنهار يمكنها أن تغسل ـ عارنا ـ وفلسطين والأراضى العربية المحتلة تستصرخ «المعتصم» فلا تجد غير الصدى.. لأن المعتصم قد صار عبداً خصياً!! أم سنكتفى بالدعاء إلى الله فى صلاة الجمعة أن يسخط بنى إسرائيل!!

إن من واجبنا جميعاً كعرب، أن ندرك مخاطر أبعاد التآمر اليهودى، وأحلامهم التوسعية الجامحة!.. وآن لنا أن ننهى هذه الكوميديا السوداء المسماه بـ «سلام الشجعان»!

فاليهودى يهودى فى كل زمان ومكان، إلى أن يلقى بخزعبلات وترهات التوراة والتلمود وتعاليم الحاخامات جانباً.. لقد وضع اليهود مع «العهد» فى التابوت المقدس: المنطق.. الأمانة.. الشرف.. واستراحوا من الفضائل وهموم البشر!!

وسوف تتكرر القصة اليهودية القديمة «الحاخام والخنزير».. فهى نفس القصة التى يتبعها جنرالات الكيان الصهيونى، حتى يجعلوا الاختيار الوحيد بين «السئ» و«الأسوأ»!!

ومنذ إعلان دولة العصابات الإرهابية حتى انتخاب السفاح «شارون».. يزداد الموقف صعوبة وتعقيداً لأن تحالف الإرهابى والحاخام والجنرال هو الذى يحكم ويتحكم!.. ولأنهم تربوا على الإرهاب.. فسوف تتكرر القصة المعروفة لأن «الحاخامات» كثيرون.. والخنازير أكثر!!

الفهرس

مقدمة	٧
الفصل الأول: الصراع بين التطرف والعلمانية وأزمة الهوية!	
تصاعد التطرف الدينى اليهودى	١٣
ـ ما بين الجغرافيا والتاريخ	١٤
ـ الابارتهايد الثقافى وتمرد السفارديم	١٥
مجانين الرب	١٦
أزمة الهوية فى المجتمع الإسرائيلى	١٧
دولة مقيدة بالتمائم الدينية	٢٣
ـ الثورة العلمانية وهيمنة الأحزاب الدينية	٢٥
ـ تفاقم التيار الدينى ومخاطره	٢٦
الفصل الثانى: من زعامة العصابات الإرهابية إلى مواقع السلطة الرسمية	
إسحق رابين (١٩٢٢ ـ ١٩٩٥)	٣٥
ـ اغتيال رابين	٣٧
ـ شيمون بيريز (١٩٢٣ ـ)	٣٨
ـ صعود بيريز	٣٩
ـ حكومة رابين / بيريز	٤١
ـ بيريز الحائر المضطرب	٤٤

- موعد الانتخابات ٤٤
- بيريز والجنرالات السياسيين ٤٥
- مهندس حماس ٤٧
- الأخطاء ... والصعوبات... تتجمع ٤٩
- حملة انتخابات تحت تأثير المخدر! ٥٠
- ثورة عرب إسرائيل ٥٣
- مذبحة «قانا» ٥٥
- مخاطر.. الاعتذار ٥٧
- الهزيمة ٥٨

الفصل الثالث: «بيبى».. ميراث التعصب

نيتنياهو! ٦٣
- من هو نيتنياهو ٦٤
- آل نيتنياهو وميراث التعصب ٦٧
- الاستيلاء على حزب الليكود ٧٢
- الدكتاتوريات المجاورة!! ٨٠
- فكرة تقسيم مدينة القدس ٨١
- انتخاب.. غير متوقع! ٨٣
- عملية تغيير جلد.. صعبة! ٨٤
سياسة نيتنياهو تجاه العرب ٨٥
- نفق الشقاق ٨٧
- انتزاع الاتفاق ٨٨
- الانسحاب الثانى الإجبارى ٩٠
- السقوط ٩١

الفصل الرابع: موردخاى.. فى نادى القلوب المحطمة!!

موردخاى على المسرح السياسى! ٩٧
- الجنرال يطرق أبواب حزب العمل ٩٨
- الانضمام لحزب الليكود ١٠٠
- موقع موردخاى لدى الرأى العام ١٠٢

- طموح موردخاى.. وألاعيب نيتنياهو! ١٠٣
- زيارة للملك عبد الله الثانى ١٠٦
- نادى القلوب التى يحطمها «بيبى»! ١٠٦
- إسحق موردخاى واتفاقات أوسلو ١٠٧
- علاقات موردخاى بقادة العرب ١٠٨
- مفارقات الدور الثانى ١١١
- استمرار مسلسل الفضائح!! ١١٣
- موردخاى.. والفعل الفاضح!! ١١٧

الفصل الخامس: باراك الدودة فى الفاكهة!!

باراك وحركة «إسرائيل آهات» ١٢٣
- إيهود باراك ممثل جيل الصابرا............ ١٢٤
- السباق نحو القمة ١٢٥
- الدودة فى الفاكهة ١٢٦
- باراك رئيساً للحزب ١٢٨
- الصحافة وطلب الصفح ١٣١
- باراك يطالب بإرغام رجال الدين على أداء الخدمة العسكرية ١٣٣
- باراك وسوريا ١٣٣
- المواجهة بين باراك ونيتنياهو ١٣٥
- باراك والمشكلة اللبنانية ١٣٥
- باراك والفلسطينيون ١٣٦
- باراك.. السياسى المجدد!! ١٣٧
- حاييم رامون منافس أمكن تحييده ١٣٨
- حزب إسرائيل آهات ١٤١
- حزب ميرتيز ١٤٢
- بوب بوليتيكا!! ١٤٣
- مرشح عربى لرئاسة الحكومة!! ١٤٣
- العرب منقسمون ١٤٤
- حزب هاداش ١٤٤
- الحزب الديمقراطى العربى (مادا) ١٤٥

- حزب الوحدة الديمقراطية (بالاد) ١٤٥
- حزب هاآرابى هاداش ١٤٦
- صراع المتطرفون.. ومجلس القضاء الأعلى ١٤٧
- أزمة فى حزب المفدال ١٤٨
- ياهادوت هاتوراه ١٥٠
- تناقضات حزب شاس ١٥١
- حزب السوميت ١٥٤
- محاولات اليمين المتطرف ١٥٤
- حزب التيار الثالث ١٥٥
- اتحاد اليمين المتطرف حول بيجين ١٥٥
- حملة انتخابية شخصية ١٥٦
- بديل للدولة الفلسطينية ١٥٧
- حدث ٤ مايو ١٩٩٩ الذى لم يحدث ١٥٩
- انتعاش مغربى ١٦١
- قضية تقسيم القدس ١٦٣
- الانسحاب من الجولان ١٦٥
- الخروج من لبنان ١٦٦
- مقاومة الاحتلال ١٦٧
- حملة إنتخابية تليفزيونية ١٦٨
- المواجهة بين نيتنياهو وموردخاى ١٦٩
- حملة شعارات ١٧٠
- الشعب الآخر ١٧١
- إلى سوق كارميل ١٧٢
- بارقة أمل ١٧٥
- ذكرى.. وبهجة ١٧٥
- فريق من الجنرالات ١٧٦
- فى تياترو الكنيست ١٧٨
- أثام وأخطاء ١٧٩
- مجتمع تجار البركات ١٨٠
- هزيمة.. تؤدى إلى النصر! ١٨٠

ـ أغلبية مفقودة	١٨١
ـ تحالفات حزبية	١٨٣
ـ تقسيمات عرقية	١٨٤
ـ تجربة قاسية للتيار اليمينى	١٨٧
ـ تيار الوسط المفقود	١٨٨
ـ حكومة جديدة	١٨٩
ـ مواجهة المشاكل	١٩١
ـ سقوط قناع باراك	١٩٣
ـ «نيرون» القرن الحادى والعشرين!	١٩٥
ـ يهودى متنكر	١٩٦
ـ الصداع المزمن	١٩٦
ـ الهروب الكبير	١٩٧
ـ السلام على الطريقة الإسرائيلية!!	١٩٨
ـ الاستقالة البهلوانية!!	٢٠٢

الفصل السادس: القدس التى فى السماوات

القدس التى فى السماوات والمندوب السامى لإسرائيل فى البيت الأبيض	٢٠٧
ـ سرقة الأرض والتاريخ	٢٠٨
ـ مواكب تاريخية	٢٠٩
ـ حادث السوق..!	٢١٠
ـ المؤتمر الشعبى للدفاع عن القدس ميثاق الدفاع عن القدس	٢١٩
ـ المؤتمر الشعبى للدفاع عن القدس	
استراتيچية المواجهة الشعبية للغزو الصهيونى للقدس وفلسطين والأراضى العربية	٢٢٥
ـ على الصعيد السياسى	٢٢٦
ـ على الصعيد الاقتصادى	٢٢٧
ـ فى الثقافة والإعلام والتربية والتعليم	٢٢٨
ـ إنتفاضة الأقصى	٢٢٩
ـ الانتفاضة والمستوطنون	٢٣١
ـ الانتفاضة وعرب ١٩٤٨ فى إسرائيل	٢٣٢
ـ الانتفاضة وجماعة السلام	٢٣٣

- لغة القوة ٢٣٣
- قضية عودة اللاجئين فى الصحافة الإسرائيلية ٢٣٤
- أميركا.. إسرائيل.. علاقة خاصة جدًا
الخلفية التوراتية للعقل الأمريكى! ٢٣٩
- إسرائيل - الولايات المتحدة ٢٤٣
- أميركا.. ليست قدرنا!! ٢٤٥
- المندوب السامى.. لإسرائيل ٢٤٦
- وقائع ما حدث فى كامب دافيد الثانية ٢٥١

الفصل السابع: الملف الأسود.. لإسرائيل القبيح!
- الطريق إلى وزارة الدفاع ٢٦٢
- وضاعت فرصة رئاسة الأركان ٢٦٤
- غزو لبنان ٢٦٥
- الأردن هى فلسطين! ٢٦٧
- متعته.. فى رؤية الدم العربى! ٢٦٨
- هل يمكن أن ننسى نحن أيضًا.. ما فعله فى «دير ياسين» ٢٧١
- قتل العرب واجب دينى مقدس!! ٢٧٧
- فرقة التطهير! ٢٨١
- إلى غزة ٢٨٢
- هذا المكان ٢٨٣
- الحاخامات يزورون الانتخابات ٢٨٦
- الفيل.. وليلة الكريستا!! ٢٨٩
- عملية تجميل! ٢٩٤
- الإرهابى.. راعياً للهيكل!! ٢٩٤
- بطل من غزة ٢٩٨
- كول نيدريه.. والكوميديا السوداء ٢٩٩

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٠٧٩ /٢٠٠٢

I.S.B.N 977-01-7741-5